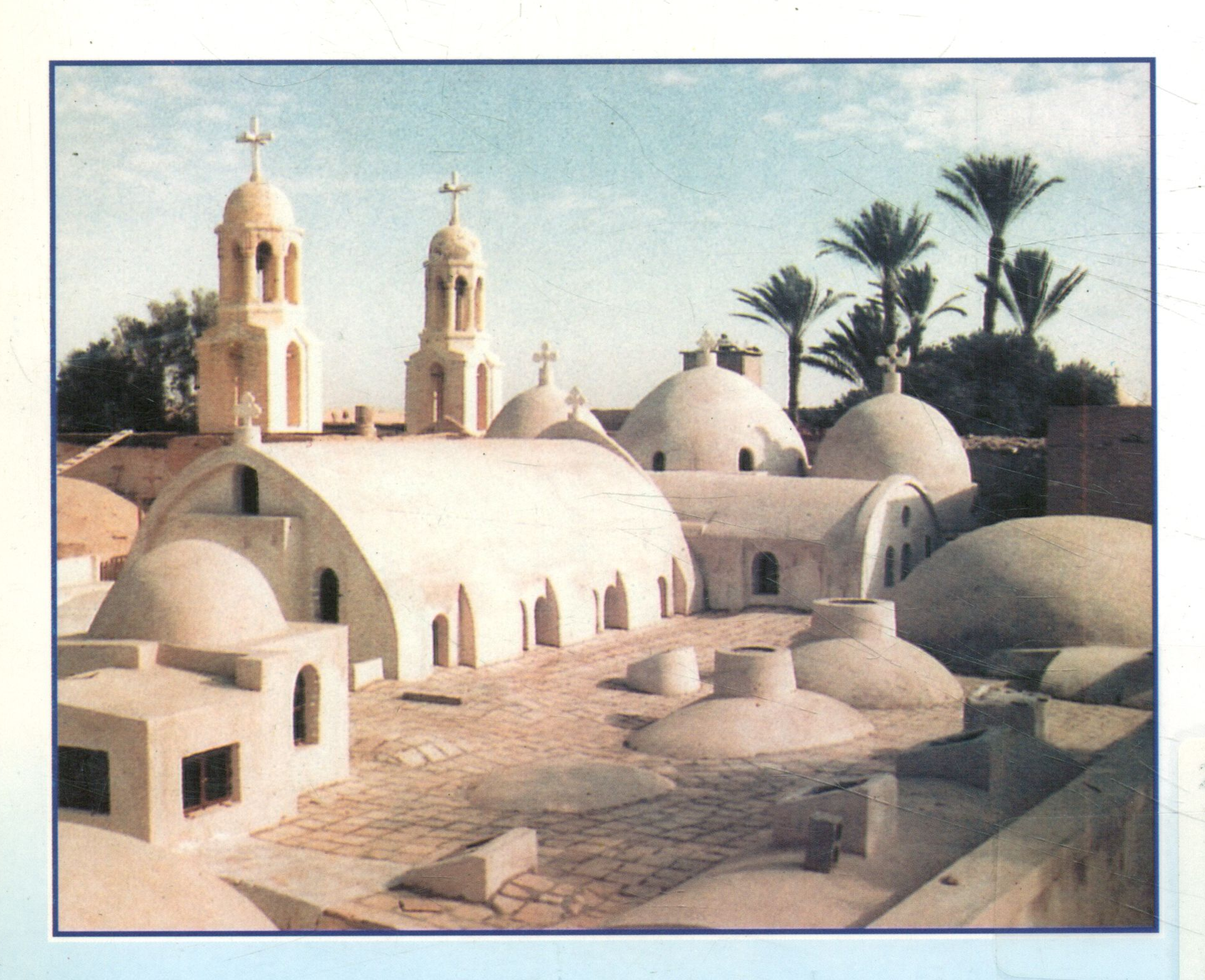
رسالة مارمينا

عن :

الرهبنة القبطية



مطبوعات جمعية مارمينا العجايبي بالاسكندرية

(الطبعة الثانية)

رسالة مارمينا
عن



الرسالة الثالثة
(الطبعة الثانية)
تصدرها

جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية

بمناسبة
العيد الثلاثينى
لجلوس
قداسة البابا شنودة الثالث
على كرسى القديس مرقس

١٤ نوفمبر ٢٠٠١م - ٣ هاتور ١٧١٨ش



الكـتـاب: الرهبنة القبطية.

الناشـر: جمعية مارمينا العجايبى للدراسات القبطية بالإسكندرية

٤ ش موسى كاظم – محرم بك – الإسكندرية

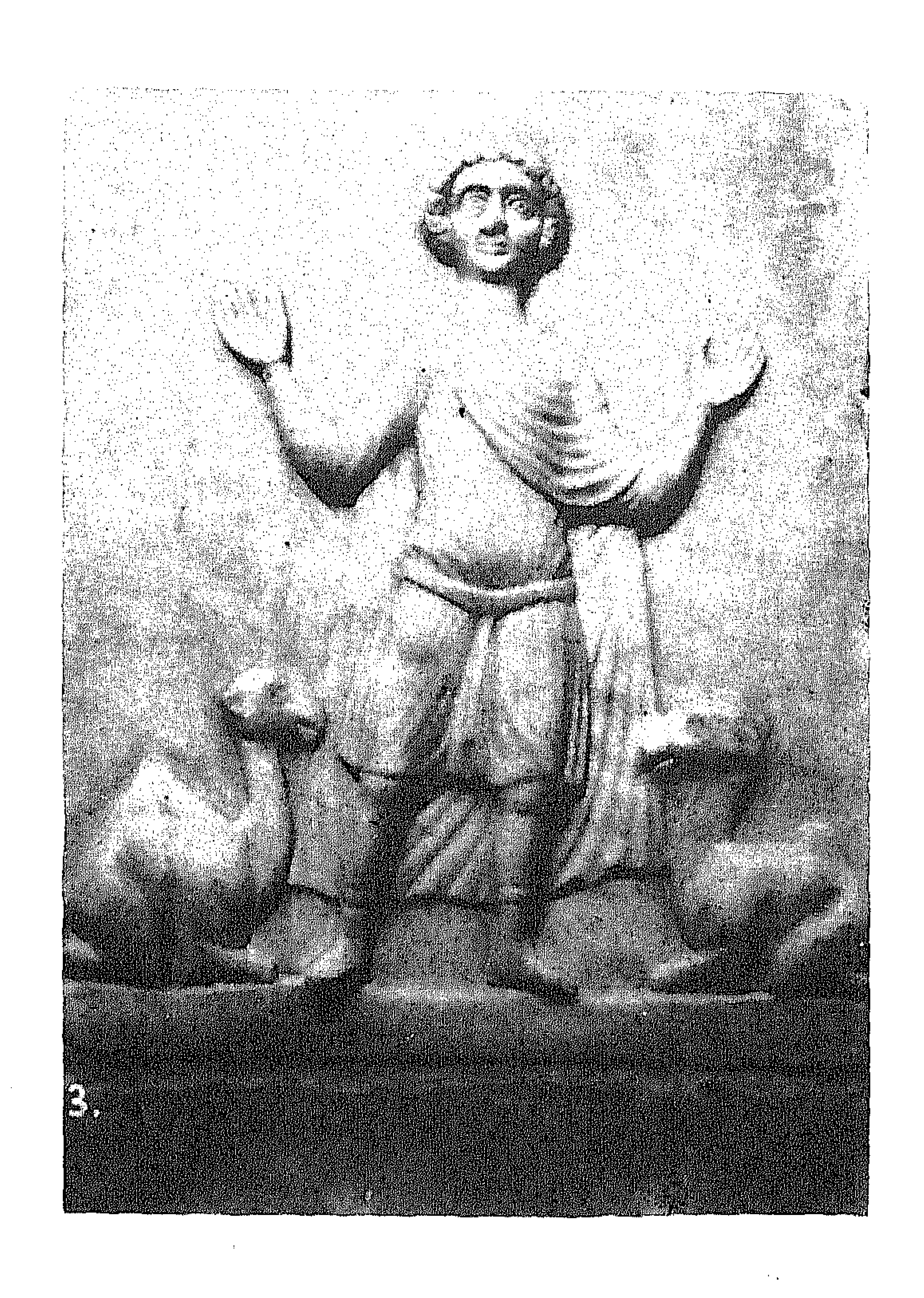
E-mail: minab@aucegypt.edu

الطبعـة: الثانية (نوفمبر ٢٠٠١)

المطبعة: مركز الدلتا للطباعة – ٢٤ شارع الدلتا سبورتنج إسكندرية

☎ وفاكس: ٥٩٠١٩٢٣ (٠٣)

رقم الإيداع بدار الكتب: ١٩٦١٠ / ٢٠٠٢



الشهيد المصرى العظيم مارمينا العجايبى
عميد شهدائنا القبط وشفيع مسيحى مصر
(٢٨٥ — ٣٠٩م)
(عن لوحة رخامية من بقايا الكنيسة الاثرية للقديس بمنطقة مريوط وموجودة حالياً بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية)



القديس العظيم أنبا باخوميوس
أب الشركة

(٢٩٠ — ٣٤٨م)

(من رسم الفنان الأستاذ بديع عبد الملك عام ١٩٤٨)



صاحب القداسة والغبطة

البابا الأنبا شنوده الثالث

البطريرك ١١٧

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس

صفحة

الرسوم والصور للأستاذ بديع عبد الملك

كلمة الجمعية فى

العيد الثلاثينى لجلوس قداسة البابا شنوده الثالث
(مقدمة الطبعة الثانية)

فـــى ٢٢ مايو ١٩٤٨ – الذى يوافق الذكرى المئوية السادسة عشرة لنـــياحة القديس آنبا باخوميوس المعروف بأب الشركة الرهبانية – أصدرت جمعـــية مارميـــنا العجايـــبى للدراسات القبطية بالإسكندرية رسالتها الثالثة بعـــنوان "الرهبـــنة القبطية" وقد أستعانت فى ذلك بالعديد من رجال التاريخ والمهتميـــن بالدراسات القبطية لاصدار تلك الموسوعة الفريدة التى كان لها أثـــر واضح فى تاريخ الكنيسة القبطية. فعلى أثر صدور هذه الرسالة طرق أبـــواب الأديـــرة القبطـــية الكثير من أبناء الكنيسة رغبة صادقة فى الحياة الرهبانية. ومن بين هؤلاء الشباب الألتقياء من أصبحوا قادة للكنيسة القبطية فى عصرنا الحالى.

كـــان من ثمار هذا الكتاب خادم تقى وشاب كنسى هو الأستاذ نظير جـــيد الـــذى ترهبن فى دير السريان العامر بوادى النطرون فى ١٨ يوليو ١٩٥٤ وعـــاش الحياة الرهبانية الصادقة كما وضعها آباء الرهبنة الاوائل وفى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ قام البابا كيرلس السادس بسيامته أسقفاً للتعليم باسم الأنـــبا شنوده وفى ١٤ نوفمبر ١٩٧١ كانت الارادة السماوية أن يكون هو خليفة القديس مرقس باسم البابا شنوده الثالث البطريرك ١١٧. وعلى مدى ثلاثيـــن عامـــاً رأينا العديد من الانجازات التى يصعب حصرها فى بضعة صفحات نذكر منها:

١- إقامـــة أسقفيات جديدة: الشباب، فرنسا وطولون (للأجانب)، أفريقــيا، برمنجهام، لوس أنجلوس بأمريكا، فلوريدا وتكساس بأمــريكا، الأقــباط الارثوذكس بانجلترا (للأجانب)، أسكتلنده وأيرلندا وشمال شرقى أنجلترا، ميلانو بإيطاليا، تورينو وروما بإيطالــيا، ملــبورون باســتراليا، أستيفينج بإنجلترا، سيدنى باستراليا.

٢- وضـــع عدة مبادىء خاصة بالأسقف: الأسقف ترثه أيبارشيته وليســت البطريركــية، استطلاع موافقة الشعب فى المرشح للأسقفية، تقسيم الايبارشيات الكبيرة إلى حدود أصغر من أجل عمــل رعــوى أفضل، إقامة أساقفة عموميين لتغطية الخدمة المــتزايدة والأعــباء الكثــيرة فــى عمل البطريركية، إقامة الأســاقفة فــى عــيد العنصرة (عيد ميلاد الكنيسة فى عصر الرسل).

٣- أهــتم بالكــنائس الأثرية والسياحة الدينية فشكل لجنة التراث القبطى ولجنة الآثار القبطية ولجنة للبحث عن كنيسة العذراء بأتريب ولجنة جرد الكنائس الأثربية.

٤- أهــتم بعــرفاء الكــنائس (المرتليــن) فــأدخلهم نقابة المهن الموسيقية.

٥- فــى عــام ١٩٧٢ أعــاد رفــات الــبابا أثناسيوس الرسولى البطريرك ٢٠ والمُلقَّب بحامى الإيمان من إيطاليا.

٦- فــى أبريل ١٩٧٧ قام بأول زيارة - يقوم بها بابا الإسكندرية - لــتفقد كنائس أمريكا وكندا وأستغرقت أربعون يوماً، وفى ١٩٨٩ قــام بأول زيارة رعوية لثلاث قارات أوروبا وأمريكا وأســتراليا. وتوالــت زيارات قداسته الرعوية سنوياً لجميع كنائسنا بالمهجر.

٧- أول بابا يتبادل الزيارات مع رؤساء الكثير من الدول.

٨- أول بابـــا يقــوم بزيارة لدول الخليج وبلاد الشام حتى أطلقوا عليه لقب "بابا العرب".

٩- أول بطريـــرك مـــن بابوات الإسكندرية يصير رئيسا لمجلس الكنائس العالمى، ورئيساً لمجلس كنائس الشرق الأوسط.

١٠- أول بطريـــرك يقوم بإصدار أكثر من مائة كتاب (لاهوت – عقــيدة – روحــية – كتابــية – شخصــيات كتابية – سير قديسين...الخ).

١١- أول بطريرك يصير عضوا فى نقابة الصحفيين ويصدر مجلة تحمل أسم "الكرازة" حيث يرأس تحريرها.

١٢- أول بطريرك بعد القرون الأربعة الأولى يصير ناظراً للكلية الاكليريكـــية ويقــوم بالتدريس ويلقى عظة أسبوعية وينشئ معاهد متخصصة (معهد الرعاية – معهد الكتاب المقدس).

١٣- فى يونيو ١٩٨١ قام بتكريس ٢٧ شماسة بالقاهرة فأحيا بذلك درجة الشماسية.

١٤- وجه أهتماماً خاصاً بتعمير دير الأنبا بيشوى زراعياً ومعمارياً ورهبانياً، ومن مظاهر هذا الأهتمام.

(أ) تشــجير مســاحة خمسين فداناً قبل الدير وحفر ترع صغيرة لتجميع المياه الجوفية لإستخدامها فى الرى.

(ب) ســعى لشراء ٣٠٠ فدان حول الدير ونقل اليها الطمى من القاهرة والخطاطبة لتحسين خواص التربة الرملية.

(ج) فـــى عـــام ١٩٨٧ قـــام بشراء ١٠٠ فدان أخرى على الطــريق الصـــحراوى (بيـــن مزرعة الدير والطريق الصحراوى) وتمت زراعتها.

(د) فى عام ١٩٧٢ (فور توليه منصب البطريركية) بدأ فى تعمير كنيسة مارجرجس بالدير، كما أعاد كنيسة السيدة العـذراء بالحصن القديم إلى ما كانت عليه، كما طلب مـن هيـئة الآثار ترميم القبة الرائعة لكنيسة القديس إيسـخيرون، فى عام ١٩٧٧ أهتم بانشاء قلالى منفردة للرهـبان ملاصـقة للسور الشرقى للدير، وفى أبريل ١٩٩٩ (فـى أحـتفال الكنسية القبطية بأحد الشعانين) أفتتح بالصلاة كاتدرائية ضخمة بالدير تم بنائها بالكامل فى غضون ستة أشهر فقط.

١٥- أنشـأ أسقفيات فى كل من: دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون (فـى ١٩٧٧/٥/٢٩)، دير مارمينا بمريوط (فى ١٩٨٠/٥/٢٥)، دير الأنبا صموئيل بالقلمون (فى ١٩٨٥/٦/٢).

١٦- أنشأ مقر بابوى بأمريكا وإنجلترا.

١٧- فـى ١٩٩٩/١/٥ تم توقيع - لأول مرة - المشروع الموحد لقـانون الأحـوال الشخصية باجماع الطوائف المسيحية فى مصر.

١٨- قـام بعمل الميرون المقدس ٤ مرات فى أعوام ١٩٨١، ١٩٨٧، ١٩٩٣، ١٩٩٥.

١٩- أهـتم بإحياء الأديرة القديمة بصعيد مصر: الأنبا باخوميوس (إدفو)، مارجرجس (الرزيقات)، الأنبا شنوده (سوهاج).

٢٠- فى ١٩٩٨/٥/٨ قام بسيامة أول بطريرك لأريتريا قداسة أبونا فيلبس الأول.

٢١- قام بسيامة ١٠١ أسقفاً لأبيارشيات قبطية بالإضافة إلى خمسة أساقفة أرتيريين (تمت سيامتهم فى ١٩٩٤/٦/١٩).

ومازال العمل الرعوى مستمراً بمعونة الرب ورعايته.

وأود هـنا أن ألفـت نظـر القارىء أن يقرأ أولاً مقال البابا شنوده الثالـث عـن "رهبـنة وادى النطرون فى عصرنا الحاضر" اذ أن صورة الرهبـنة كمـا جـاءت فى الطبعة الاولى (عام ١٩٤٨) تختلف تماماً عن صورتها فى ايامنا الحاضرة.

ولا يفوتـنا أن نسـجل بكل تقدير وحب الآباء أساقفة الاديرة القبطية الذيـن طالـبونا مراراً وتكراراً فى اعادة طبع هذا الكتاب وأيضاً المراكز العلمية ومنها معهد الدراسات القبطية بالقاهرة والكليات الاكليريكية بالقاهرة وفـروعها العديدة بالايبارشيات المختلفة. آملين أن يكون هذا العمل لخدمة الكنيسة واحياءً لتاريخها العظيم، فالكنيسة القوية الكارزة تسندها رهبنة قوية مصلية.

وانـه مـن دواعى سرورنا أن يظهر هذا العمل فى أحتفال الكنيسة القبطـية بانحاء المسكونة بالعيد الثلاثينى لجلوس قداسة البابا شنوده الثالث على كرسى مارمرقس والذى هو أحد ثمار الطبعة الاولى من هذا الكتاب. الرب يحفظ حياته للكنيسة أباً وراعياً ومعلماً ومرشداً ومعمراً وكاتباً.

ويسـعدنا أن نسجل بكل الشكر دور الأخوة العاملين فى مركز الدلتا للجمع التصويرى والمجهود السخى الذى بذلوه فى سبيل إخراج هذا الكتاب بـتلك الصـورة الرائعة. ولكن بعض الظروف الخارجة عن ارادتنا كانت سبباً فى تأخر صدور الكتاب فى موعده المناسب.

د. مينا بديع عبد الملك

كلمة الجمعية فى

ذكرى القديس باخوميوس

(مقدمة الطبعة الأولى)

لعـل أوفـر الـناس حظاً من اهتمام التاريخ، أولئك الذين لم يحققوا للأنسانية من النفع والخير بقدر ما جروه عليها بحروبهم المروعة وثوراتهم المنكرة من آلام وآثام، وكأنهم بضجيج حياتهم الصاخبة قد أكرهوا التاريخ على الاعتراف بهم وتسجيل أعمالهم.

أمـا الشخصية التى يطيب لنا أن نقدمها اليوم للقارىء الكريم فليست لملـك او حاكم أو قائد من أمثال هؤلاء، فما كان باخوميوس سوى راهب قبطى متواضع قضى معظم حياته بين أسوار دير منعزل فى صعيد مصر، ومع ذلك فقد كانت حياته العظيمة صفحة من خالص النفع والخير لا تزال الإنسانية متأثرة بها إلى اليوم وإلى غد وإلا آخر الدهر.

وتسـتطيع إن شئت ان تعزو عظمته إلى مواهبه الطبيعية، فقد كان الرجل ولا شك ذكى القلب، نافذ البصيرة، واسع الآفاق والإدراك. وتستطيع إن شـئت أيضـاً ان ترجعها إلى ميزاته الخلقية، فقد كان الرجل ولا شك هادئـاً، وديعـاً متواضعاً، تقياً نقياً. ولكنك غير مستطيع على كل حال أن تصـور الحقيقة كاملة حتى تؤلف بين هذه جميعاً وبين تلك النعمة السماوية التى يختص الله بها صفوة مختاريه، والتى لا أجد إلى وصفها من سبيل.

اهتدى باخوميوس إلى المسيحية فاعتنقها، وأدرك سر الرهبنة وجوهرها فاتخذهـا حـياة له عن فهم وإيمان، ثم سعى لهداية الناس إلى ما هداه الله إليه، ولاعانـتهم على إدراك ما أعانه الله على إدراكه، فوضع للرهبنة تلك الأنظمة المعـروفة التى بلغ من كمالها وسموها ان عزيت إلى مصدر إلهى، فكان ذلك منشأ الحـياة الديرية التى تدين له بكيانها واستمرارها.

ولم يكد ينتهى إلى ذلك حتى استهوت هذه الحياة الجديدة قلوب الناس وعقولهم، فإذا الأديرة تبنى فى طول البلاد وعرضها، على جنبات الوادى وفوق سفوح الجبال وبين تلال البرارى، وإذا أصداء ذلك تتجاوب فى أقطار الأرض فتؤسس الأديرة المسيحية طبقاً للأنظمة الباخومية، وإذا أديرة الشرق والغرب تصبح موطناً للفضائل والمثل العليا فى أشد العصور جهالة وفساداً، فتؤثر بذلك على التقاليد والعادات والمبادىء الخلقية، وإذا هذه الأديرة تضحى موئلا لتراث الأقدمين ولعلوم المحدثين مما كان له الأثر كل الأثر على تاريخ الكنيسة والحضارة والإنسانية جميعاً. وبهذا يكون باخوميوس قد طبع الإنسانية الحديثة بنفس الطابع الذى تركه أجداده على الإنسانية القديمة وأعنى الطابع المصرى الخالد.

وما بى من حاجة إلى الإسهاب فيما ذكرت، ولا إلى تفصيل ما أوجزت، فسيجد القارىء الكريم كثيراً من هذا كله فى الفصول التى بين يديه. وحسبى أن أسعى لتشويقه إليها لعله واجد فى مطالعتها ما وجدناه فى إعدادها من فائدة ومتعة، آنستنا ما عرض لنا من عناء ومشقة.

وبعد، فإذا كان الله قد وفق جمعية مارمينا العجايبى إلى إصدار هذا المؤلف إحياء للذكرى المئوية السادسة عشرة لباخوميوس العظيم، فإنما يعود فضل ذلك إلى أساتذتنا وأصدقائنا الذين زودونا ببحوثهم فضلا عن إرشاداتهم. فلحضراتهم من الله خير الجزاء، ومنا أصدق الشكر والدعاء.

وثمت تحيه طيبة أوجهها باسم جمعيتنا فى فيض من الامتنان العميق للجنة إحياء ذكرى أنبا باخوميوس، تلك الهيئة الموقرة التى تألفت لهذا الغرض من كافة الطوائف المسيحية فى مصر، فأتى عملها الموفق هذا مظهراً من أروع مظاهر عرفان الجميل عبرت به تعبيراً كريماً عن مدى تقدير العالم المسيحى أجمع لباخوميوس العظيم.

بانوب حبشى

رهبنة وادى النطرون فى عصرنا الحاضر*

للبابا شنوده الثالث

إن لنا ١٦ ديراً داخل مصر، ولكن أكثرها فاعلية فى العمل الرهبانى والرعوى هو أديرة وادى النطرون، أو برية شيهيت أو الإسقيط. فهذه هى ألقاب هذه المنطقة.

وقد جذبت هذه البرية أنظار كثير من الرحالة والمؤلفين، فكتب عنها الأمـير عمر طوسون كتابة "أديرة وادى النطرون". واقتبس فيه من كتابات المقريـزى، و(أبـو المكارم). كما صدر أيضاً المؤلف الكبير لـ Evelyne White. وكذلك كتاب Prof. Otto Meinardus.

وحالياً توجد الأديرة الأربعة العامرة:

وهى حسب تاريخ نشأتها: دير البراموس، ودير أبا مقار، ودير الأنبا بيشـوى، وديـر السـريان. وهى التى قاومت الزمن، وعواصف الرمال، وهجمات البربر، وظلت قائمة. بينما تهدمت أديرة أخرى، أو أختفت تحت كثبان الرمال.

وقد ذكر عمر طوسون من الأديرة القديمة التى أختفت:

ديـر يوحـنا القصـير، ودير الأرمن، ودير إيليا (للأحباش)، ودير أبانوب.. وقد قامت منذ سنوات حفريات كشفت عن أجزاء من دير القديس الأنبا يوحنا القصير، وهى عرضة أيضاً لأن تردمها الرمال مرة أخرى، إذا لم يتم الحفاظ عليها.

كما تكشفت أيضاً بعض المنشوبيات (Ⲡⲓⲙⲁⲛ̀ϣⲱⲡⲓ) وتوجد بعض المغارات فى مرتفعات المنطقة.

---

* محاضرة ألقاها قداسة البابا شنودة الثالث فى الندوة التى قامت بتنظيمها مؤسسة مارمرقس لدراسات التاريخ القبطى وجمعية الأنبا شنودة رئيس المتوحدين بلوس انجلوس وذلك فى الفترة ١ – ٤ فبراير ٢٠٠٢ بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون تحت عنوان (الرهبنة فى وادى النطرون).

وحديثنا اليوم عن الأديرة العامرة في وادى النطرون

✠✠✠

حالياً هى الأديرة العامرة بأكبر عدد من الرهبان.

وقد ازداد عدد الرهبان فى أيامنا حتى وصل إلى الإحصائية التالية فى ٢٠٠٢/٢/٢:

دير الأنبا بيشوى: فيه ١٤٦ راهباً و١٤ طالب رهبنة.

دير السريان: وفيه ١٣٥ راهباً و١٧ طالب رهبنة.

دير البراموس: وفيه ٦٩ راهباً، و١١ طالب رهبنة.

دير أبا مقار: فيه حوالى ١٠٠ راهباً.

من أجل هذا، كان لابد من ازدياد مساحة الأديرة، وبناء عدد كبير من القلالى لتستوعب الازدياد الهائل فى عدد الرهبان:

لذلك بنيت فى كل دير ما بين ١٠٠ قلاية إلى ١٥٠ قلاية.

واضطر رؤساء الأديرة إلى شراء مساحات واسعة من أراضى الصحراء، سُجلت فى الشهر العقارى. وشيدت عليها الأبنية الخاصة بالعمران الرهبانى. واستصلحت الأراضى الصحراوية، وحفريات لذلك كثير من الآبار، وبعض الترع الصناعية لرى الأراضى. كما بُنيت بعض صهاريج المياه بماكينات ترفع المياه الباطنية من أعماق تصل إلى تسعين متراً تحت الأرض، مع تحليل الماء وثبات صلاحيته ونقاوته.

وغُرست كميات كبيرة من أشجار الكافور والكازوارينا، لحماية الحقول من العواصف الرملية، ولتخطيط الأرض، ولتدفئة المكان أيضاً. إلى جوار غرس أشجار الفاكهة، وزرع المحاصيل العديدة، لغذاء الرهبان والعمال وضيوف الدير وزوّاره. وما يلزم من ذلك من تربية الأغنم والبهائم والدواجن.

✠ ✠ ✠

وسارت الحياة الرهبانية على مستويات عديدة:

- ✠ منها رهبان الدير الذين يعيشون فى مجمع الرهبان، ويلتزمون بالاجتماع فـى جـرس نصـف اللـيل، وجرس باكر للتسبحة والقداس، وجرس الغروب. ويشتركون فى أعمال الدير ومسئولياته.
- ✠ وهناك أيضاً مجموعة من الرهبان المبتدئين فى الوحدة، الذين لهم قلالى خاصة، خارج المبنى الأثرى للدير، فى حديقة الدير، أو فى امتداده.
- ✠ ثم طائفة أخرى يعيشون حياة الوحدة، إما فى القلالى المبنية على التلال أو المرتفعات المحيطة بالدير، أو فى بعض المغارات.
- ✠ والراهب بعد أن يقضى فترة أختبار تصل أحياناً إلى ثلاث سنوات، يتلو – قـبل سـيامته راهـباً – تعهداً أمام مجمع الرهبان بالتزامه بالحياة الرهبانية السليمة حسب قوانين الآباء وطقس الرهبنة، والالتزام بالقوانين التى سنّها المجمع المقدس الخاصة بالرهبنة..

خدمّات قامت بها أديرة وادى النطرون:

١– مسئوليات للخدمة فى كنائس الإيبارشيات:

بعـض الرهـبان عملـوا كوكلاء للإيبارشيات، أو خدموا فى بعض الكنائس المحتاجة إلى خدمة.

٢– والبعض خدم فى بعض كنائس المهجر:

ونحـن نفضـل الكهنة المتزوجين لخدمة كنائس الغرب، فى امريكا وكندا واستراليا وأوروبا. ولكننا قد نضطر أحياناً إلى تكليف بعض الرهبان بخدمـة المناطق التى لا تستطيع القيام بالتكاليف المالية التى يحتاجها كاهن متزوج وأسرته وأولاده.

وهـناك رهـبان من أديرة وادى النطرون خدموا فى كنائس المملكة المـتحدة، وفرنسـا، والنمسا، وسويسرا، وهولندا، وفى البلاد العربية فى الخليج وفى ليبيا. وأيضاً فى أفريقيا السوداء.

واشترط المجمع المقدس أن خدمة الراهب خارج ديره لا تزيد عن ٦ سـنوات، يعـود بعدها على ديره، حتى لا ينسى حياته الرهبانية، وحتى لا يفتر روحياً.

٣- والبعض خدم فى تعمير أديرة أخرى.

فهـناك أديرة قديمة كانت الحياة الرهبانية فيها قد توقفت، وأردنا أن نعـيد إليها الحياة الرهبانية مرة أخرى. وقد أمكننا ذلك عن طريق إرسال رهبان من ديرة وادى النطرون إلى هناك. فاستقروا فيها وأثمروا، وجذبوا إلـيها طالـبى الرهبنة الجدد. وصارت تلك الأديرة القديمة المهجورة أديرة عامرة بالرهبان.

ومـن بين هذه دير الأنبا باخوم بحاجر أدفو بإيبارشية أسوان، ودير مارجـرجس بالـرزيقات، ودير الشايب، ودير العذراء بجبل أخميم، ودير الأنـبا شـنوده ببرية سوهاج، ودير الملاك غبريال بالفيوم، والدير المعلق بأبـنوب. وهـذه الأديـرة السبعة اعترف بها المجمع المقدس. فصار عدد أديرتنا فى مصر ١٦ ديراً.

٤- كما قامت أديرة وادى النطرون بتاسيس أديرة فى المهجر:

فارسلنا رهباناً من هذه الأديرة أسست دير الأنبا أنطونيوس بصحراء كاليفورنـيا، وديـر الأنبا أنطونيوس بسيدنى باستراليا، ودير الأنبا شنوده بملبورن، ودير كريفلباخ ودير هوكستر بألمانيا، ودير ميلانو بإيطاليا.

٥- وقامت أديرة وادى النطرون بتاسيس كنائسنا فى افريقيا السوداء:

فعـن طـريق راهـب مـن ديـر البراموس، سيم أسقفاً بأسم الأنبا أنطونيوس مرقس بدأت الخدمة وسط الكنائس المستقلة هناك، وهى كنائس كـان تبشـيرها بالمسيحية سطحياً، واختلطت مسيحيتهم بالديانات البدائية، ونسـبوا لأنفسـهم رتـباً كهنوتية بدون تسلسل رسولى. هؤلاء تم تعليمهم وتعميدهم وضمهم كأعضاء فى كنيستنا القبطية.

ثم عن طريق راهب آخر من دير الأنبا بيشوى، سيم أسقفاً باسم الأنبا بولـــس، زادت الخدمـــة وانتشـــرت فى بلاد متعددة فى أفريقيا السوداء. وتأسست كنائس قبطية عديدة.

وبخدمـــة هذيـــن الراهبيـــن، الأسقفين، صارت لنا كنائس فى كينيا، وزامبيا، وزيمبابوى، وزائير (الكونغو)، وساحل العاج، وأوغندة، وناميبيا، وجنوب أفريقيا. وصار لنا أكثر من ثلاثين كنيسة.

٦- ومن أديرة وادى النطرون، تم اختيار وسيامة غالبية أعضاء المجمع المقدس لكنيستنا:

فمـــن رهـــبان دير الأنبا بيشوى تمت سيامة ٣٣ أسقفاً بالإضافة إلى ثلاثة تنيحوا. ومن رهبان دير السريان تمت سيامة ٢٢ اسقفاً، بالإضافة إلى البابا ايضاً. ومن رهبان البراموس تمت سيامة ١٢ اسقفاً.

فيكون المجموع ٦٧ أسقفاً يمثلون غالبية أعضاء المجمع المقدس.

أنشطة أديرة وادى النطرون:

١- بيوت الخلوة للشباب Retreat Houses:

بـــدأ إنشاء أول بيت خلوة سنة ١٩٦٠ فى دير السريان العامر، أنشأه نيافة الأنبا ثاؤفيلس. ثم تعددت بيوت الخلوة فى باقى أديرة وادى النطرون. وذلك لمنح الشباب فرصة لقضاء بعض أيام فى خلوة روحية بالدير، تحت أشراف رهبانى روحى..

وهذه الخلوات كان لها تأثيرها العميق على روحيات الشباب، كما أن بعض هؤلاء الشباب أحبوا الرهبنة، وصاروا رهباناً.

٢- ويوجد بيت خلوة للفتيات:

فـــى المســـاحة الواسعة لدير الأنبا بيشوى، وداخل سور خاص يضم أربعة فدادين ونصف، مع كنيسة خاص بهن.

ويحضر لهذا البيت أيضاً لقضاء فترة خلوة، بعض الفتيات المكرسات. وهـو نظـام وضعته الكنيسة لمشاركة المكرسات فى خدمة الكنيسة. لأن الراهبات فى كنيستنا يتفرغن للعبادة.

٣- بيت ضيافة للآباء الكهنة الجدد:

الذيـن - حسب طقس الكنيسة - يقضون فترة أربعين يوماً فى خلوة روحية عقب رسامتهم وقبل بدء خدمتهم. وفى هذه الفترة يستلمون من الدير طقـوس الكنيسـة، والحـان القداس الإلهى والليتورجيات، ويعدون أنفسهم روحياً للخدمة الرعوية التى تنتظرهم.

٤- بيوت ضيافة عامة لزوار الدير:

وبخاصـة لمحـبى الدير المترددين عليه، ومن تعودوا قضاء أسبوع الآلام فى الدير، ومن يحضرون فى الدير باستمرار عيد قديس الدير. كذلك يوجد فرع من بيوت الضيافة هذه لاستقبال السائحين والزوار. وفى بعضها تستريح الرحلات القادمة للدير لنوال البركة..

الدير والعمل المسكونى:

وبالذات أحداث مسكونية هامة، تمت فى دير الأنبا بيشوى: ومنها:

١- عقد أول مؤتمر للرهبنة الأرثوذكسية:

تـم ذلـك فـى ٤ مـايو سنة ١٩٧٩، حيث اجتمع ممثلون للكنائس الأرثوذكسـية بعائلتيها: فمن الكنائس الشرقية حضر ممثلو الكنائس القبطية والسريانية والأرمنية والأثيوبية. ومن الكنائس البيزنطية حضر ممثلون لها من القسطنطينية وروسيا، ورومانيا، واليونان، وقبرص، وبلغاريا، وفنلندا.. وتفاهم الجميع فى قواعد الرهبنة وروحياتها.

٢- عُقد لقاء للاتفاق الكريستولوجى مع الكاثوليك:

وكـان ذلك سنة ١٩٨٩ وتم فيه أيضاً اتفاق اللاهوتيين فى موضوع الكريستولوجى. وبقى العمل على جمع الموافقة الرسمية للكنائس بمجامعها المقدسة. وتقديم ذلك للشعوب بطريقة سهلة.

٤- اجتماع مجلس كنائس الشرق الأوسط وكثير من بطاركته:

وبـــنى دير الأنبا بيشوى مبنى لاستقبالهم، سُمّى (بيت البطاركة) مع مبنى آخر للسكرتاريين والمرافقين.

٥- اجتمع فى الدير أيضاً حوار مع الكنيسة الإنجليكانية:

حضـــره بعض المطارنة من الكنيسة الإنجليزية، ونوقشت فيه بعض الأمور الخاصة بالكتاب المقدس، وسيامة النساء، والتعامل مع الشواذ.

٦- اجتماعات أخرى كثيرة عُقدت فى المجال المسكونى.



الرهبنة بين العالم ومصر

الرهبنة فكرة فلسفية، وليست الفلسفة قاصرة على شعب من الشعوب بل هي من نصيب الأمم الراقية والشعوب الناهضة، ولما كان الشرق مصدراً للنهضات الفكرية والآراء الفلسفية العلمية، عرفت الرهبنة بين شعوبه في أماكن مختلفة وعصور متباينة.

الرهبنة في الوثنية:

يعتبر البراهمة والذين يدينون بمبادئ كنفوشيوس وجواتما بوذا هم أول من فكر في العيشة الانفرادية، وإذلال الجسد وكبح جماحه بطرق في منتهى القسوة والخشونة. فقد تألفت منهم جماعات عديدة عاش أفرادها في كهوف وأحراش كما سكن البعض في مناسك المعابد والهياكل وعلى ضفاف الأنهار المقدسة حيث رضخوا تحت نير ثقيل تلهبهم سياط الفرائض المرة ويضنيهم الصوم الطويل.

ولما كانت معرفتهم بالخلاص والسعادة بعد الموت قاصرة على الأمانة الذاتية، لهذا نظروا إلى الجسد كعدو وأحاطوه بسياج من الشرائع القاسية بعد أن كبلوه بالأغلال والقيود، فمنهم من يمتنع عن الكلام أياما طويلة، ومنهم من يصعد على قمم الجبال العالية ويقطع المسافات النائية غير مبال بقيظ الصيف وزمهرير الشتاء، وأحيانا يعذبون أجسادهم بالكي والمناخس الحديدية بل ويقتحمون النيران في صبر وصمت عجيبين وبهذه الهمة النادرة والتفاني العجيب استطاع رهبانهم من نشر دينهم حسب معرفتهم في أنحاء الهند والصين واليابان والجزائر الواقعة وراء البحار، وهم يرون أن العالم لا يستقر إلا إذا اعتنق مبادئهم هذه، فلذا تراهم يعملون على ترويجها وقد سافرت جماعات منهم إلى أوربا والامريكتين كهيئات تبشيرية.

الرهبنة فى اليهودية:

سبق اليهود الأمم قاطبة فى معرفة الإله الحق كما انفردوا بعبادته على الطريق السوى، فخصهم بالشريعة وبعث منهم الأنبياء. فهذه الميزات التى لم تتوفر لغيرهم كشفت لهم عن بطلان العالم وأمجاده الزائلة، كما أنار الأنبياء بحياتهم المثالية طريق السعادة والخلود؛ فتعمق كثيرون فى العبادة الروحية وأخذوا يبحثون عن مسالك جديدة للحياة الأبدية، ترتب عليها قيام طوائف دينية كان أقربها إلى الحياة الرهبانية طائفة الاسينيين.

نشأت هذه الطائفة نحو سنة ٢٠٠ق م، ومع أن السيد أشار فى أحاديثه الإنجيلية إلى طوائف يهودية أخرى كالكتبة والفريسيين والصادوقيين إلا أنه لم يشر بتاتاً إلى هذه الطائفة التى عاشت بعيداً عن أورشليم حيث انفردت بمساكنها حول ضفاف البحر الميت، وكان أفرادها يحرمون الزواج على أنفسهم ويعيشون عيشة اشتراكية بسيطة ويعملون بعرق الجبين وينفقون ماديهم على أولاد الفقراء الذين كانوا يتبنونهم ليهذبوهم حسب عقائدهم كما كانوا يقدمون الإحسان بسخاء لجماعة المعوزين على السواء. وكان على طالب الانضمام إلى صفوفهم أن يقضى تحت الاختبار مدة لا تقل عن ثلاث سنوات، فإذا ظهر منه خلالها ما يدل على استعداده لقبول الحياة الجديدة فللرئيس أن يقبله فى حظيرة الجماعة، بعد أن يتعهد بخدمة الله بكل أمانة ونشاط ولا يظهر من أسرار الجمعية شيئاً ولو عرض نفسه للموت.

وقد ظهرت فى مصر فرقة يهودية أخرى سكنت بجانب بحيرة مريوط يقال لها تيرايوتا أى طائفة الشفاء، وكان كل من أفرادها يعيش منفرداً ستة أيام الأسبوع وفى يوم السبت كانوا يجتمعون بنفس واحدة لاقامة الشعائر الدينية الخاصة بهم، وقد تأثروا بالفلسفة اليونانية والمصرية وقالوا بفساد المادة التى تغلبوا عليها بالزهد والنسك وحياة الكمال.

الرهبنة فى المسيحية:

كان المصريون النصارى أسبق الناس إلى الحياة النسكية، حيث جعلوا منها مثلا رائعاً للحياة المسيحية الدقيقة لا يوجد فى معابد البوذيين

ويتضـــاءل أمامه تقشف الاسينيين، فى وقت امتلأت فيه البلاد من المخازى الوثنـــية وتفاقمت المظالم الرومانية التى جعلت البلاد مرتعاً للغش والقلاقل والمذابـــح الدينية والعنصرية. وقد أشار السيد المسيح إلى الرهبنة ولكنه لم يفرضـــها علـــى أحد من الناس بل جعل الإقبال عليها حسب إرادة الإنسان واختياره. ولكن لظروف الاضطهادات المره التى رضخ تحت نيرها الأقباط فـــى القـــرون الثلاثة الأولى، امتلأت الأودية والمغائر والكهوف والأماكن المهجـــورة بكثـــير من الأتقياء والأبرار، الذين وجدوا فى الحياة الرهبانية خلاصا من مظالم العالم ومتاعبه وراحة للضمير المتألم وطريقاً معبداً للحياة الأبديـــة، وقد دعا أحد الكتاب هذه المرحلة فى الكنيسة بالانتقال إلى البرية. ويعتـــبر القديـــس انطونيوس المصرى أول راهب اخرج الرهبنة بنظامها الحاضر إلى عالم الوجود، ولكن هذا لا يمنع من وجود كثيرين قبله عاشوا عيشـــة البتولية ونعموا بالحياة النسكية فى بيوت بعيدة عن القرى، حتى أنه فـــى حياته كان يقتدى بشيخ مبارك قديس كان يسكن فى قرية مجاورة له، حيـــث عاش منذ حداثته بصوم وسهر وصلاة ولكن انطونيوس كان أسبق الـــناس فى اقتحام مخاوف البرية، إذ توغل فى داخلها وصرع هناك قوات الشـــر وجـــنود الظلمة ولما سحق جحافلها وانتصر على جيوشها كشف لنا أخيرا عن أسرار الحياة الهنية.

أثر الرهبنة فى مصر:

لقد شاع صيت انطونيوس حتى ملأ البلاد، فهرع إليه النساك والعباد ليقفوا على نظمه وطرق عبادته وذهب إليه المؤمنون لنوال البركة والشفاء، وسرعان ما انتشرت السيره الرهبانية فى كل بلاد القطر فشيدت الأديرة فى الصـــحراء الشرقية والغربية وصعيد مصر، وبرز اسطاطينها النوابغ أمثال أسوان ومكاريوس وباخوميوس وشنوده الذين طافوا مكروبين معتازين فى جلـــود غـــنم ومعزى، تائهين فى برارى ومغائر وشقوق الأرض ولم يكن العـــالم مستحقا لهم واستطاعوا أن يحملوا رسالة المسيح وفى أدق المراحل الشـــائكة وأدماها، ويتركوا لنا من بعدهم كل ما يزين النفس وتتجمل به من

محبة وصبر وتواضع وإنكار ذات، وكل ما تعتز به الروح المسيحية من أخلاق سامية ومثل عليا.

الرهبنة المصرية فى الكنائس الشرقية:

لما اشتمت الكنائس المجاورة ارج الروائح الذكية التى انبعثت من صميم الحياة الرهبانية، توافد على مصر كثيرون من الذين عشقوا هذه المعيشة الملائكية، وفى مقدمتهم القديس هيلاريون الفلسطينى الكبير الذى بعد ان درس الفلسفة فى مدينة الإسكندرية تتلذ للقديس انطونيوس فرسم له طرق الحياة الروحية. ومن ثم عاد إلى بلاده وتعبد فى برارى غزه، وبعد أن قضى سبعين عاما فى العبادة انتقل إلى أمجاد السماء بعد أن ترك أديرته مليئة بآلاف الرهبان المتعبدين.

ويرسم لنا التقليد الكلدانى أن القديس اوجين المعروف عند عامة السريان بمار آيون، قدم من صعيد مصر ومعه عدد من رهبان الأقباط يقدر بسبعين راهبا ونزلوا بالقرب من ماردين ونصيبين، وبنوا الأديرة فى الموصل وجزيرة ابن عمر وطور عبدين وسنجار وأماكن أخرى، حيث أذاعوا بشرى الخلاص بين الآشوريين وعبدة النار من المجوس والقبائل الأخرى؛ كما وفد على مصر القديس افرام كبير ملافنة الكنيسة السريانية، حيث درس مبادئ الرهبنة فى الاسقيط المقدس وتقابل مع القديس العظيم الأنبا بيشوى الذى كانت تربطه به صداقة روحية متينة. ثم عاد إلى بلاده وهناك كتب قصائده الروحية على كل الأوزان السريانية التى ترجمت فى حياته إلى اليونانية، وما زالت تتغنى بها كل الكنائس المسيحية.

وقد تأثر بروح الرهبنة القبطية مار يوحنا وهو عالم جليل من علماء الكنيسة النسطورية، ترك خلافتها فى أيام الجافليق تيموثاوس الكبير وكتب مقالاته النسكية وميامره الروحية الذائعة الصيت، وهى المعروفة لها بأقوال الشيخ الروحانى وعند الروم بأقوال القديس سابا.

الرهبنة المصرية فى الكنائس الغربية:

أمـــا فـــى الغـــرب فقد وصلت حياة القديس انطونيوس إلى مسامع اوغســـطينوس وهـــو مـــدرس الفلسفة فى إيطاليا، فأثرت عليه تأثيراً بالغاً وجعلـــته يقبل على اعتناق المسيحية بشوق ولهفة، وقد صار فيما بعد أسقفاً على قرطجنة وقائدا عظيما من قادة الرأى فى الكنيستين الشرقية والغربية. كمـــا أتى إلى مصر القديس ارسانيوس معلم أولاد الملوك وعاش فى برية الاســـقيط كـــل أيام حياته. كما وفد عليها الأميران العظيمان مكسيم وشقيقه دوديم الذى كان أحدهما وارثاً لعرش القيصرية الرومانية. وقد نشر الرهبنة المصـــرية فى البلاد الغربية القديس اثناسيوس الرسولى البابا الإسكندرى، الذى وفد على روما سنة ٣٣٩ ميلادية وأخذ معه عددا من الكهنة وراهبين مصـــريين وأعلـــن هناك فضائل رهبان الاسقيط وما يقومون به من أعمال خلاصية نافعة. فبنيت الأديرة فى إيطاليا على نظام الأديرة المصرية. ثم قام فـــى أواخر القرن الخامس القديس بندكت (مبارك) الذى صار فيما بعد أبا للرهبـــنة الغربـــية، وقد سبقه القديس مارتينوس فى فرنسا فى أوائل القرن الـــرابع وشاد ديره المعروف (Ligugé) ولما رقى إلى أسقفية طورس ابتنى هـــناك ديـــرا اكبر من الأول، وقد أسس تلميذه مكسيموس ديرا بالقرب من ليون، كما شيد القديس كاسيان ديرين فى مرسيليا. وقد سافر رهبان الأقباط إلى سواحل فرنسا الجنوبية، ووصلوا إلى ارلندا وإنجلترا وبشروا بالإنجيل فى هذه الأصقاع النائية، وأعادوا بعملهم هذا الحياة الرسولية الأولى. فخرج منطقهم إلى كل الأرض وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم.

هـــذه صـــفحة رائعة يارب من تاريخ كنيستك المصرية الكرمة التى غرستها يمينك، قد زيل مجدها وسقط تاجها فليس لنا ما نريده أمامك سوى آثارنـــا التليدة ولا ما نفخر به غير الخرب القديمة، فقم يارب ورمم الثغرة وجدد الأسوار المتهدمة فيفرح الشعب بخلاصك ويتغنى بقوة يمينك.

القمص صموئيل تاوضروس السريانى

من تراث الكنيسة القبطية

لا يوجـد بلـد آخـر ترك من التراث ما أثر تأثيراً عميقاً على نمو الديانة المسيحية كما تركت مصر فى نمو وانتشار هذا الدين فى العالم أجمع، ولو أردنـا التدقـيق لقلنا بالأحرى إن مدينة الإسكندرية وجهت الكنيسة العالمية لـيس فقط سياسياً، بل فلسفياً وعقيدياً، وقد يقال إن الإسكندرية كانت مدينة يونانية محصنة، وإن رؤساء الدين فيها كانوا يونانيين، ولكن مما لا شك فيه أن أوريجانوس كان مصرياً اسماً (حور اكن) وجنساً، وكان من اكبر علماء الكنيسة وأول من فسر الفلسفة الأفلاطونية بالعقيدة المسيحية فأثر بذلك على عقائد جميع الكنائس الأخرى.

ولقـد انتشـرت هذه الطريقة العلمية الافلاطونية لعلم اللاهوت التى ابتدعـتها مدرسة الإسكندرية فى أواخر القرن الثانى للميلاد، والتى نظمها نـبوغ العلامـة اوريجانوس سالف الذكر، وليس هناك ما يدعو لشرح هذه الطـريقة هـنا بالتفصـيل إذ يمكن الاطلاع عليها فى مراجعها، على أن الأفلاطونية المسيحية كانت قد ابتدأت فعلا فى الإسكندرية قبل أوريجانوس على يد اكليمنضوس الاسكندرى سلف اوريجانوس واستاذه.

فلقد رأى اكليمنضوس ضرورة تقديم العقيدة المسيحية مفسرة حسب التفكير الفلسفى لعصره، ولولا ذلك لما فهمت هذه العقيدة بل كانت رفضت من كل كبار المفكرين، ولذلك فانه اقتبس فكرة "الاغنوسيس" (Gnosis) أى المعرفة، بعد أن نقاها من هرطقة المعلمين الأولين.

ولا ريـب بالمرة فى حقيقة مسيحية اكليمنضوس تبعاً لعقيدة الكنيسة الأرثوذكسـية، ولكـنه تقدم من مجرد الإيمان الكافى إلى زيادة معرفة الله وكـنهه، ولذلك كان هو واتباعه عبارة عن روح الكنيسة. وهكذا أيضا كان اوريجـانوس، فقد تعلم من الفلسفة الأفلاطونية أن النهاية الأخيرة هى غير

ماديـــة وأن العالم الذى يقضى فيه الإنسان حياته الأرضية ليس هو النهاية الأبدية، وكما كانت للعالم بداية فلا بد أن تكون له نهاية أيضاً وبعدها يكون الله الكل فى الكل.

وعـــندنا عـــدة إثباتات أن الديانة المسيحية كانت انتشرت فى مصر حوإلـــى منتصف القرن الثانى للميلاد، فقد عثر على ورقة بردية فيها جزء مـــن إنجـــيل يوحنا وتاريخها سنة ١٥٠ بعد الميلاد. وكذلك عثر على عدة كتابات أخرى إنجيلية كذلك يقرب تاريخها من ذلك العهد، وإذا ذكرنا فضل الإسكندرية على الكنيسة المسيحية، فلا ننسى الترجمة السبعينية للعهد القديم الـــتى قام بها علماء اليهود فى الإسكندرية والتى كانت أهم صلة بين العالم اليهودى والعالم المسيحى.

أما التراث الثانى الذى تركته مصر للعالم المسيحى فهو الرهبنة التى لعبت دوراً هاما فى تاريخ الكنيسة من القرن الثالث الميلادى إلى يومنا هذا. فقـــد كانت الأديرة مقر العلوم والمعارف فى القرون المظلمة، وخرج منها المجتهدون والمبشرون الدين المسيحى، وفى داخلها نمت تلك الحياة الروحية الخالصـــة والأسرار التى كان تأثيرها عميقا فى الحياة الدينية. وترجع كل هذه الحركة بأنواعها المختلفة وطرقها المتعددة إلى أصل ومنشأ واحد وهو وادى النـــيل؛ الذى نشأ فيه أولا بأحوال فردية ثم تدرجت إلى حياة الرهبنة المـــنظمة التى تركت أثراً عميقاً فى كل كنائس العالم، ولم تنشأ الرهبنة فى الإســـكندرية التى كانت بلدا يونانياً محضا، ولكنها نشأت بين الأقباط سلالة المصريين القدماء أى فى بعض جهات الوجه البحرى وفى الوجه القبلى.

وتمـــت الرهبـــنة علـــى حقبتين، الأولى حقبة المتوحدين الذين كان معظمهم وليس كلهم من النساك او ساكنى الصحراء. وتبعتها الحقبة الثانية وهى رهبنة الشركة، التى بدأت باجتماع عدد من الرهبان حول معلم محترم بيـــنهم. ويـــتفق الرأى على أن أول من خرج إلى الصحراء ليعيش متنسكا وحيداً كان الأنبا بولا من طيبة، وتبعه بعد ذلك الأنبا انطونيوس الذى اجتمع حوله عدد كبير من الرهبان.

كان بولا أول من هرع إلى الصحراء بعيداً عن ضوضاء العالم، ولو أنـــه لم يكن أول من تنسك، إذ كان هناك فى قرى متفرقة كثير من الأتقياء الذين اختاروا عيشة التبتل وكرسوا حياتهم لمقاومة الطبيعة البشرية وتعليم الآخريـــن عيشـــة الطهـــارة وآووا إلـــى المغائر والمقابر القديمة وسكنوها متوحدين.

وفـــى أواخـــر عصر دكيوس (٢٥٠م) هرع كثيرون من الأقباط إلى الصحراء هربا من الاضطهاد المرير، وبعد نهاية الاضطهاد رجع كثيرون منهم ولكن بقى كثيرون أيضا، وكان من الآخرين الأنبا بولا.

وقد كتب القديس ايرونيموس تاريخ الأنبا بولا، ولكن يظهر أن سيرته لا تســـتند إلى وثائق تاريخية، وأتى بعد الأنبا بولا انطونيوس الكبير الذى توفـــى ســـنة ٣٥٦م وقد عرفه شخصيا الأنبا اثناسيوس الرسولى بطريرك الإســـكندرية. ولقـــد اتخذ انطونيوس حياة الرهبنة عندما سمع فى الكنيسة قـــراءة إنجـــيل مـــتى ص١٩ : ٢١ بالقبطية، لأنه لم تكن له معرفة باللغة اليونانـــية. وتـــرك أهله وعشيرته فى قرية قمن العروس مركز الواسطى (حوإلـــى ســـنة ٢٧٠م) وعاش متوحداً أولا بالقرب من قريته ثم توغل فى الصـــحراء. وفى سنة ٢٨٥ عبر النيل واحتل قلعة قديمة بالقرب من بشير ومكـــث بها نحو عشرين سنة، ولكن لما تبعه تلاميذ كثيرون ومشوا وراءه حـــتى محـــل عزلـــته، اضطر فى سنة ٣٠٥ أن يكون جماعة صغيرة من الرهبان ثم تركهم وانسحب بعيداً فى الجبل حيث عاش متوحداً فى مغارة لا تزال موجودة للآن بقرب الدير الذى بنى على اسمه فيما بعد. وكان يوافى رهـــبانه مـــن آن لآخـــر بـــزياراته وتعاليمه، كما كتب لهم بالقبطية قانونا يتبعونه، وترجم فيما بعد إلى اليونانية، وكان ذلك حوإلى سنة ٣١٠.

وفـــى ســـنة ٣٣٨ ســـافر إلى الإسكندرية وكان شيخا واشترك مع اثناســـيوس فى مقاومة بدعة اريوس، ومع أن وضع رهبنة الشركة كان فى الحقـــيقة من عمل انطونيوس إلا أن منظمها الحقيقى باخوميوس الذى توفى سنة ٢٤٩م.

وكـــان نظام باخوميوس نظاماً شديداً محكما، وأسس باخوميوس عدة أديرة اتبعت كلها نظاما واحدا وتقليدا واحدا.

وتـــبع باخوميوس، شنوده الذى توفى حوالى سنة ٤٥١، وكان شديدا فـــى معاملته ولكنه كان خطيبا قديراً وكاتبا ضليعا وهو الذى أسس الديرين العظيميـــن الموجوديـــن للآن قرب سوهاج والمعروفين باسم الدير الأبيض والديـــر لأحمر، وفى نفس الوقت أيضا شيدت أديرة أخرى بالوجه البحرى أسســـها مكـــاريوس الكبير حوالى سنة ٣٤٠ فى وادى النطرون، ولا يزال بعضها باقيا إلى الآن.

وانتشـــرت شهرة الرهبان المصريين فى سائر أنحاء العالم المسيحى حـــتى اعتـــبرت مصر الأرض المقدسة عوضا عن فلسطين، ووفد لزيارة الأديرة المصرية كثيرون من مشاهير الكنيسة الغربية والشرقية كباسيلوس الكبير وهيلاريون وابرونيموس، وكتب بلاديوس وكاسيان وغيرهما كتبهم المعـــروفة عن الرهبان الأقباط بعد ما مكثوا فى مصر مدداً مختلفة وكانت هذه الكتب عماد الرهبنة فى العالم أجمع وكانت تقرأ فى العصور المتوسطة ولا زالـــت تقرأ إلى الآن فى أديرة البندكتين. وقد أشار القديس بنديكت فى قانونـــه إلى أن الآباء الأطهار أى الرهبان المصريين كانوا يواظبون على قراءة كتاب المزامير مرة كل يوم.

وانتشرت الرهبنة فى سائر أقطار العالم بسرعة مدهشة، وتكونت عدة أديـــرة فى جزائر البحر الابيض المتوسط حتى وصلت فرنسا حوالى سنة ٤٠٠م. فى "لرين" (Lerins) التى أصبحت مركزا كبيرا خرج منه مبشرون عديـــدون إلى سائر أقطار العالم، وهناك تتلمذ القديس باتريك حامى ايرلندا ومؤســـس كنيســـتها، وهذا ما يفسر لنا وجود مشابهات كثيرة بين الكنيسة القبطية والكنيسة الايرلندية التى سيطر عليها الأباء الرهبان مدة طويلة ومع أنـــه لا توجـــد صحارى فى ايرلندا إلا أن كل البلاد التى فيها أديرة سميت صحارى مثل (Desert Martin) أى برية مارتن، ورغماً عن بعد المسافة بين ايرلندا ومصر فإن الكنيسة هناك حافظت على علاقاتها مع الكنيسة القبطية،

ويوجــد فــى مكتبة باريس الأهلية مخطوطة عبارة عن دليل كان يستعمله الرهبان الايرلنديون عند سفرهم إلى مصر.

ولمــا دخــل الاسلام مصر لم يتعرض العرب للرهبان بل تركوهم يمارســون حياتهم بحرية تامة، لكن حدثت مع الأسقف فى عصر الأمويين وما بعده تلك الاضطهادات التى كادت تودى بنظام الرهبنة فى مصر، غير أن حارســها الســيد المسيح له المجد حافظ عليها للان، ولا تزال الكنيسة القبطية حية رغم ما حل بها من ضعف.

جورجى صبحى

آباء البرية

ما كتب عنهم وما لهم من أثر عالمى

أود أن يشعر معى القارئ الكريم بتلك المتعة واللذة الروحية اللتين يبعثهما فى النفس موضوع الرهبنة. ولا أجد وسيلة لذلك أحسن من أن أبدأ موضوعى هذا بترجمة صفحة مما كتبه كاسيان (Cassien) وهو فى مقدمة من كتبوا عن آباء البرية. ولن انتقى صفحة خاصة ففى كل ما كتب نلمس ذلك الجمال الروحى والسمو اللذين يمتاز بهما كل ما خط وسطر عن الرهبنة؛ ولتكن مثلا تلك الصفحة التى يختتم بها كاسيان القطعة الأولى من كتابه المواعظ (Conférences).

وإذا كانت الظروف قد سمحت يوما للقارئ أن يزور برية شيهات أو وادى النطرون ففى استطاعته أن يزيد فيما يشعر به من متعة ولذة بأن يتصور ذلك المكان وقد أرخى الليل سدوله وساده سكون عجيب... وقد جلس كاسيان مع صديقه جرمان (Germain) فى قلاية الأنبا موسى الذى استقبل هذين الحاجين وجلس معهما مدة طويلة، وقد وفدا من فلسطين لينهلا من ذلك المورد العذب للتعاليم الروحية، وليأتما بتلك المثل العليا فى النسك والفضيلة التى اشتهر بها آباء البرية، ولنترك كاسيان يخبرنا كيف ختم الأنبا موسى حديثه معهما.

"وبهذه الكلمات ختم قديسنا المسنّ حديثه معنا ولم يزد عليها رغما عن إلحاحنا الشديد عليه، وعن أننا كنا نلتهم أقواله بأسماعنا. ثم أشار علينا بأن نفترش الحصيرة التى كنا جالسين عليها حتى ننام قليلا لعلنا نجد فى ذلك شيئا من الراحة، وقد أعطانا حزمة من البوص الهش لأجل أن نسند عليها رؤوسنا، وهو بوص ناعم الملمس يجمعونه حزما ويستعمل فى النهار لجلوس النساك عليه عندما يجتمعون عوضا عن الكراسى ويستعمل فى الليل كوسائد نظراً لطراوته ونظافته وسهولة نقله. وهو سهل الجمع ولا يكلفهم

شيئا، وينمو بكثرة على شاطئ النيل، ويستطيع من يشاء أن يجمع منه كما يشاء، وهو خفيف فى حمله ونقله... وقد امتثلنا لنصيحة ذلك الرجل الطيب القلــب، وتمددنا فى هذا المكان ملتمسين شيئا من الراحة، ولكن كيف للنوم سبيل إلى جفوننا، وقد اهتزت نفوسنا طربا لما سمعناه، وكنا نتوق شوقا إلى سماع ما وعدنا به".

فــإذا لــم تكن هذه الأسطر القليلة كافية لأن تحرك رغبتك فى قراءة تاريخ آباء الرهبنة، بل وفى أن تشعر بتلك المتعة النفسية التى انشدها، فانى استسـمحك فى تقديم مقدمة الموعظة الثامنة وهى على قصرها قد تحقق ما أسعى إليه.

"فــبعد أن قمــنا بما يتطلبه منا يوم الأحد من تقديس وانصرفنا من الكنيسة، رجعنا إلى قلاية القديس العجوز سيرينيوس الذى اكرم وفادتنا؛ إذ عوضـــا عن ذلك الحساء الزائد الملوحة الذى تعود أن يشربه كغذاء يعد أن يضـــع عليه نقطة زيت، قدم لنا فى ذلك اليوم قليلا من نوع آخر وزاد قليلا كمــية الزيت التى تعود أن يضعها. ونقطة الزيت هذه لم يكن الغرض من إضـــافتها الاســتمتاع بطعمها، إذ لا تصل إلى درجة أن يستساغ لها طعم، وإنما غرض هؤلاء النساك من وضعها أن لا يجعلوا للزهو والخيلاء سبيلا للتسرب إلى نفوسهم، وأما إذا اشتد بهم الحرمان والتقشف فقد يسهل ذلك... وأعطانا أيضا ثلاث زيتونات بعد طهيها بالملح، وأتى لنا بصحفة فيها بعض من حبات الفول فى قليل من المرق وقد كانت لهم بمثابة الحلو من الطعام. ولم نأخذ سوى خمس وحدات وبرقوقتين وتينة إذ أن تجاوز هذا العدد غير مألوف فى البرية.

وبعد أن انتهينا من تناول الطعام مباشرة، رجوناه أن يبقى لنا بوعده فيفسر إصحاحا تعذر علينا فهمه من رسائل القديس بولس".

وقــبل أن استرســل فى موضوعى أرى لزاما علىّ أن أبيّن أنى ما قصـــدت من تقويم هاتين القطعتين أن أجعل خيال القارئ يسبح معتقدا بأنى سأقدم له بعد ذلك صوراً ممتعة عن حياة الصحراء وما يحوطها من سحر

وجاذبـــية، بل أردت ان ابدأ بإعطاء ذلك الخيال ما يشبعه منذ البداية حتى يـــرقد ساكنا ويترك المجال بعد ذلك ليصحو ويتحرك كل ما هو عميق في النفس لأشياء بالغة في السمو.

وكاسيان هذا اسمه الكامل جان كاسيان (Jean Cassien) توفى سنة ٤٣٥ ولم يـــتفق إلــى الآن على وطنه الأصلى، فمن قائل انه شرق أوروبا ومن قائل انه فلســطين وآخر النساك المصريين في البرية فذهبا إليهم، وقد زارا مصر السفلى وعاشا على الأخص في برية شيهات ولا يبدو انهما ذهبا إلى مصر العليا. ثم قفلا راجعين إلى بيت لحم، وقد يكون ذلك ليحدثا القديس ايرونيموس وغيره عما بهرهم ممــا رأيــا وســمعا، ومكثا مدة قصيرة ثم أسرعا بالتالى إلى برية شيهات التى استهوتهما إلى درجة كبيرة. وذهبا بعد ذلك إلى القسطنطينية وكانا ضمن المدافعين عن يوحنا ذهبى الفم، الذى رسم كاسيان كاهنا، وحملا إلى البابا خطابات اكليروس القسطنطينية مدحا في اسقفهم، وذهب بعد ذلك كاسيان إلى مرسيليا حيث اسس دير القديــس فيكـــتور وديـــراً آخر للسيدات، ويقال أنه كتب هناك كتابيه: المواعظ (Conference) والمعـــاهد(Institutions) ، وأيضـــا كتـــب مؤلفا في تجسد المسيح (De Incarnatione Christi) ضد نسطور وبدعته إجابة لطلب القديس لاون (Leon) .

وهو يعتبر في الحقيقة زعيم أدبياتنا الروحية، إذ يلخص بريشة استاذ كبـــير كل ما وعاه من دروس صحراء مصر وعنه معظم الكتاب في هذا الموضـــوع، فلـــم يكن مثلا القديس توما الاكوينى (St. Thomas D'Aquini) سوى معلق على هذه الثروة النسكية.

وهو بهذه المؤلفات وبهذا الدير الذى أسسه في مرسيليا كان في مقدمة مـــن حمل إلى الغرب تراث الرهبنة كما أخذها من مصر. كان يدخل إلى قلالـــى الرهبان في وادى النطرون ويحادثهم ويسجل ما يسمعه منهم، وهو يدخل شيئا من صناعة الأدب في كتابته فيقسم المؤلف إلى أربعة وعشرين فصلا، وإن لهجة الكتابة والتناسق وقداسة المؤلف، كل ذلك يجعلنا نرى في كاسيان شاهداً لتعاليم البرية لا يرقى إليه الشك. وارى أن استطرد هنا فاذكر لمحة مختصرة عن المصادر الرئيسية الأخرى لتاريخ الرهبنة:

كان القديس اثناسيوس أول من كتب سيرة عن أحد آباء الرهبنة، وقد حمل معه هذا التاريخ إلى الغرب فكان الرسالة الأولى من رهبنة الشرق ولا زال أسم بطله انطونيوس يحتل مركز الشرف فى جميع التقاويم. وفى (حياة القديــس انطونــيوس) تستطيع أن تتبين تلك العلاقة التى كانت بين طهارة العقيدة والأرثوذكسية النسكية، كما نتبين أيضا ذلك التأثير المتبادل الذى كان بين المدافع عن الإيمان الحقيقى وبين الفيلسوف الروحى، ثم نلحظ بعد ذلك فــى إعجــاب ذلك الشعور بالاحترام للسلطة الكهنوتية الذى بدا من القديس انطونــيوس يقابله تواضع اللاهوتى العظيم اثناسيوس الذى ينزل إلى مرتبة التلميذ لأحد النساك!

ويــأتى بعــد ذلك كتاب (حياة باخوميوس) وقد كان اقل انتشاراً من سابقه. ويمتاز بأن كشف لنا عن تلك الروح العظيمة التى كانت تغذى هؤلاء النســاك. ولقــد اثبــت المنســنيور لادوز (Mgr Ladeuze) أن كتاب (حياة باخومــيوس) هــذا هو وثيقة تاريخية لا يرقى إليها الشك كتبت بعد نياحة القديس بمدة قصيرة بواسطة راهب مجهول الاسم.

ويلــيهم كتاب بستان الرهبان (L'histoire Lausiaque) وقد اثبت قيمته التاريخية دوم بتلر (Dom Butler) وقد كتبه بلاديوس (Palladius) وهو رجل مــن غلاطية قام بسياحتين إلى مصر الأولى فى سنة ٣٨٨ ودرس الفلسفة النسكية وأقام حتى ٣٩٩ ورقى إلى درجة الأسقفية لهيلينو بولس. وهو من المدافعين أيضا عن القديس يوحنا ذهبى الفم. وقد نفى إلى أسوان سنة ٤٠٦ ومكــث فى مصر ست سنوات وعندما رجع إلى غلاطية كتب تاريخا عما رآه وسمعه حوالى سنة ٤٢٠ وأهداه إلى لوزاس (Lausus) أمين الإمبراطور تيودوســيوس الثانى. وأنت تقرأ ما كتب فتلاحظ أنه لم يبغ منه أن يصور بطلا خاصا لا يرى إلا كل ما يقول ويفعل، كما أنه لم يتبع فى الكتابة نهجا أدبيا أو مدرسة معينة، ويلفت نظرك أن لا تنميقا فى الكتابة ولا ترتيبا ولا اختــيار خاصــا للألفــاظ، فهو يتكلم عن كل ما رأى وما سمع دون تحيز خاص. ومع ذلك فأنت ترتاح إلى ما يتجلى فى كتابته من صراحة وبساطة واستقلال. وهو يضع فى كتابه هذا خلاصة دراسة سبعة عشر عاما.

وهناك روفان (Ruffin) أيضا كتب عن آباء البرية، ويرى البعض أنه لم يكن سوى مترجم لكتاب بلاديوس إلى اللاتينية، ولكن مما لا شك فيه أنه زار نفس الأماكن التى زارها بلاديوس ورأى وعرف أكثر أبطاله وإذا كان هـناك شـئ مـن التشابه بينهما فى كثير من المواضع فان ذلك مما يؤكد قيمتهما التاريخية.

ولقـد ظـل العـالم المسيحى عامة يحترم هذه المصادر بحذافيرها ويعـترف بما فيها فى ثقة واطمئنان حتى انه عندما قام من يدعى هربرت روزويـد (Herbert Rosweyd) فى القرن السابع عشر يجمع فى مؤلف فخم حياة الآباء (Vitae Patrum) مستمداً من المصادر السالفة الذكر، قوبل عمله هذا بكل ترحاب وكان له صدى عميق.

وجـاء القرن التاسع عشر وانتشر النقد العلمى الجاف المنزمت الذى يـنظر إلى كل شئ نظرة شك وإنكار ويعنى بالهدم اكثر منه بالبناء، فقامت عاصفة هوجاء على الرهبنة المصرية مشككة فى قيمتها بل وفى وجودها! وإذا بحثنا بدقة فى أسباب هذه العاصفة وجدنا أنها لم تكن لوجه العلم وحده إذ أوقـد شرارتها البروتستانت فى ألمانيا مهد البروتستانتية وهم تناولوا كل مـا يمـت إلى الكنائس التقليدية بالنقد والتفنيد ولم تكن الرهبنة وتاريخ آباء الـبرية بـالهدف الذى يخطئونه إذ هى بمثابة العمود الفقرى لتلك الكنائس، ومن حسن الحظ ينطبق هنا المثل الذى يقول رب ضارة نافعة إذ حفز ذلك الهجوم كثيرا من العلماء إلى الاهتمام بذلك الموضوع وزادت الدراسات فيه تعمقـاً، ومن حسن حظ الإنسانية – نعم من حسن حظها – أن خرجوا من تلـك الدراسات وقد ارجعوا آباء البرية إلى مكانهم السابق من التاريخ. حقا قـد تبع ذلك أن تبلبلت الأفكار حقبة من الزمن ولكنها رست إلى الأبد على أسس قوية راسخة. وسأفصل فيما يأتى ما أجملته من هذه الحركة وهى ما زالـت تزداد حماسا واتساعا أكثر من أى وقت مضى، وما نهوض جميع الطوائف المسيحية فى مصر واجماعها على تخليد الذكرى المئوية السادسة عشـرة على نياحة الأنبا باخوميوس إلا أحد المظاهر الرائعة لهذه الحركة التى سأجتهد فى إعطاء خطوط واضحة تبين خط سيرها.

قلت إن حركة تجريح الرهبنة وتفنيدها قد نشأت في ألمانيا في القرن الماضـــي، وقد قاد هذه الحركة هناك وينبارتن ولوسيوس (Weingartin & Lucius) إذ قامـــا يدقان الطبول أمام (تاريخ آباء البرية) وهما يشيعانه إلى خـــارج حدود الحقيقة والواقع ووجدت هذه الحركة صدى لها في إنجلترا – تلك القلعة المحافظة – فقام فيها أمثال فرر وجواتكين (Farrar & Gwatkin) ينشـــرون الدعوة إلى إنكار وجود القديس انطونيوس. ولم تسلم فرنسا طبعا بحكـــم موقعها الجغرافي بينهما من وصول هذه الدعوة إليها حيث وجد لها نصراء يتزعمهم اميلينو (Amelineau) وهو ولو أنه لم يذهب إلى الحد الذى ذهـــب إلـــيه إضرابه في ألمانيا وإنجلترا إلا أنه حاول أن ينتقص كثيرا من قـــيمة الوثـــائق اليونانـــية التي لدينا وعلى الأخص كتاب "بستان الرهبان" (Histoire Lausiaque) وهو ما ذكرته آنفا كأحد المصادر الرئيسية الرهبنة.

ولكـــن ما أوشك هذا القرن – القرن التاسع عشر – على نهايته حتى قوبلـــت هـــذه الآراء رد فعـــل شديد في ألمانيا ذاتها وقام فريق المحافظين يشنون هجوما مضادا فجائيا وناجحاً فيما بين سنتي ١٨٩٨، ١٩٠٤ وقد قاد هـــذا الهجوم الموفق إلى النصر زعيمان من الدرجة الأولى هما المنسنيور لادوز (Mgr Ladeuze) ودوم كتـــبرت بتلر (Dom Kuthbert Butler) فأخرج لـــنا الأول كـــتابه عن الرهبنة الباخومية في القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس.

(Cénobitisme Packomien pendant le 1Ve siécle et la premiére moitié du Ve.)

في سنة ١٨٩٨ الذى فتح به عهدا جديدا في بحث ما يتعلق بالرهبنة الباخومـــية وقـــد اقتفى أثره كثير من العلماء منذ ذلك الوقت في تناول هذا الموضوع أذكر منهم على الخصوص لوفور (M. Lefort) وأخرج لنا الثاني كتابه في نقد بستان الرهبان لبلاديوس بين سنتي ١٨٩٨، ١٩٠٤ وقد أثبت القيمة التاريخية لكثير مما ورد فيه.

كـــان لهذين الكتابين تأثير عميق فى الحركة الفكرية المتعلقة بتاريخ الرهبـــنة، كمـــا كانا إيذاناً بعهد اشتدت فيه حركة البحث والتأليف فى ذلك الموضـــوع. ولا أســـتطيع فـــى هـــذه العجالـــة أن ألم بكل ما صدر عنه مـــن مؤلفـــات وأبحـــاث وإنما اكتفى بذكر أهمها، فهناك مثلا ذلك الفصل الضـــخم عن رهبان الشرق (les Moines d'Orient) فى كتاب تاريخ الكنيسة القديم (Histoire Ancienne de L'Eglise)'l بقلم دوشين (Duchesne) المطبوع ســـنة ١٩٠٧، وأيضـــاً فصل فى رهبنة الشركة ((Cénobitisme فى كتاب قـــاموس الآثـــار المســـيحية والطقوس (Dictionnaire d'Archétienne et de Liturgie) بقلم دوم لكلرك (Dom Leclercq) المطبوع فى سنة ١٩١٠ ويقع هذا الفصل فى مائتى عمود وقد أحاط كاتبه بالموضوع إحاطة تامة وعالجه بـــروح حماسية بلغ بها الذروة فى الحماس، وهناك أيضاً كتاب الوثائق والمتون (Textes et Documents) تألـــيف بول ليجى وهيمر (Paul Lejay el M. Hemmer)، وفى سنة ١٩١٢ ظهرت الترجمة التى قام بها لوكو (M. Lucot) إلى الفرنسية لكـــتاب بستان الرهبان لبلاديوس فقوبلت بترحاب وشغف من الكثيرين فى فرنسا.

وتأتى الفترة بين سنتى ١٩١٦ و١٩٢٣ فإذا هى أيضا تزخر الأبحاث والمؤلفات وإنما تميزت بذلك التحامل الذى بدأ من ريتزنشتين (Reitzenstein) فى نقده لكتاب بستان الرهبان سنة ١٩١٦ وكان من أظهر الكتب فى هذه الفترة ذلك الكتاب الذى أخرجه بوسيه (Bousset) سنة ١٩٢٣ بعنوان أقوال الآباء .(Apophtegmata Patrum)

وما كتاب ريزنشتين هذا إلا دليل على موقف المذاهب البروتستانتية نحـــو تاريخ الكنائس التقليدية وتاريخ الرهبنة فيها بصفة خاصة، فأنت تمر فـــيه على فقرة لهرنك (Harnack) تعطيك فكرة واضحة عن ذلك الموقف إذ يقول فيها "لا أتردد فى التصريح بأن ما من كتاب سبب انحطاطاً فكرياً فى مصـــر وآسيا الغربية وأوروبا مثل كتاب حياة انطونيوس تأليف اثناسيوس الرسولى". هذا كلام يوجب كثيراً من الأسف كما يثير كثيراً من الإشفاق إذ هـــو بعـــيد كل البعد عن جادة الأنصاف. وأنت تتبين أيضاً أثناء قراءة هذا

الكـتاب كـيف أن البروتسـتانت لم يحاولوا أن يصلوا إلى أسس الرهبنة ودوافعهـا، فهم لم يروا أو لم يحاولوا أن يروا من الرهبنة سوى مظاهرها من تقشف وحرمان ولو يريدوا أن يقرعوا عنها سوى ما أحاط بها من رؤى وعجائب. ولكن هل هذا هو كل الرهبنة؟ ما كل هذه الأشياء سوى مظاهر ثانويـة ووسائل إلى ذلك الكمال المسيحى الذى تنطوى عليه تعاليم الرهبنة. ولكـنك تخرج من هذا الكتاب بعد أن تشاهد بروتستانت ألمانيا وقد تحولوا إلى معسكر المحافظين! وإذ بك ترى ريزنشتين ذاته وقد اقتفى آثار كاسيان فجلس على إحدى تلك الحزم من البوص الهش التى سبق وصفها فى قلاية الأنبا موسى!

ألا ترى معي كيف أن المحافظين ينتقلون من نصر إلى نصر؟ وأن التقدم قد وصل بهم إلى غزو الفريق المعارض فى ألمانيا معقله الحصين؟

وأما كتاب بوسيه فقد طبعه ونشره كروجر (G. Krüger)، وهو يلقى ضـوءا عظـيما على موضوعنا هذا، ويخبرنا بصفة خاصة عن كثير مما يتعلق برهبان برية شيهات المصريين نقلا عن المخطوطات فى المدة التى تقـع بين منتصف القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس، ويبرز لنا بصفة خاصـة الأنـبا بـآمون ومدرسـته وقد أتى بأقوال كثير من هؤلاء الآباء والمتصـفح لهذه الأقوال يعجب بما فيها من قوة وبتلك الروح القدسية التى تشـع مـنها، وحيا الله أحد تلامذتهم إذ يقول (إن أقوالهم ماضية كالسيف) وأنت تلاحظ فى هذه الأقوال أنهم كانوا يكثرون من الأمثال ومن القصص القصيرة كما كانوا يتجنبون النقاش الحاد والمواعظ ويقلون من ذكر الرؤى والمعجـزات، إلا أن أظهر ما فيها ذلك التعبير البليغ فى بساطة عن الحياة الروحـية العمـيقة. وإن من يبغى دراسة الحياة الجماعية للرهبنة فى برية شـيهات يجـد هذا الكتاب ذات قيمة دراسية عظيمة. ومن مزايا تتبع هذه الأقـوال ودراسـة كيفـية تناقلها وتسجيلها أن تكون فكرة أيضا عن أصل وتكويـن الأناجـيل. وكان أكثر هذه الأقوال جوابا على السؤال الذى كان يوجهه تلاميذ هؤلاء الآباء إليهم وهو (ماذا نصنع لكى نخلص وننال الحياة الأبديـة) ويذكـرنا هذا السؤال بذلك الذى كان يوجه إلى يسوع من الشاب

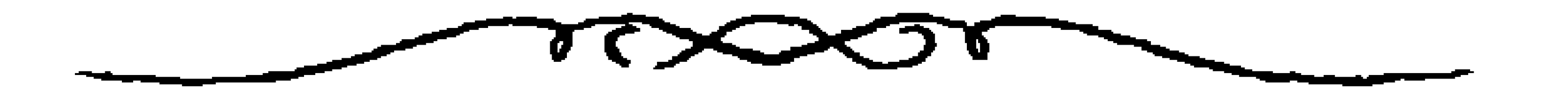
الغنى وأحد الكتبة وكثير غيرهم. كل هذه نقط تزيد فى قيمة ذلك الموضوع وفى الرغبة إلى تتبعه.

إن أقـوال هـؤلاء الآباء التى تكون ما يصح أن يسمى آداب البرية يصح تصورها – كما يقول أحد الباحثين – كطبقات جيولوجية بعضه فوق بعـض؛ ففى الطبقة العليا تجد الأرض المفلحة ذات المحصول الوفير وهى تمثل ما كتبه أمثال كاسيان وكليماك (Climaque)، وقد بنيت فوق تلك الطبقة بعد زمن كاتدرائيات وهى ما تماثل كتابات القديسين اللاحقين أمثال القديس تومـا الاكويـنى، ويأتى تحت تلك الطبقة ذلك القصص البسيط الذى جمعه أمـثال بلاديـوس وروفـان، ونجد فى الطبقة التى تليها فى العمق الوثائق والأقـوال الـتى أضـاعت كثيرا من رونقها الأصلى لكثرة المصادر التى تناقلـتها، ثـم تأتى بعد ذلك فى القاع تلك الطبقة الرقيقة من أوراق الذهب الصافى أى أقوال آباء الرهبنة الأولين كما صدرت عنهم. وكل هذه الطبقات متماسـكة، وقد نلاحظ بين طبقة وأخرى بعض التشقق الذى يشع منه وهج الطـبقة السـفلى، بل قد نعثر فى بعض الأحيان على بعض قطع من ذلك الذهـب مبعـثرة هنا وهناك فوق الطبقة العليا، وذلك بفعل ما أصاب تلك الأرض من حرث وتقليب!

ولا أريد أن أقول أنه باستثناء تلك القطع الذهبية المبعثرة فإننا لانجد سوى معدن رخيص فى مثل كتاب (المواعظ) لكاسيان وهو كتاب فريد فى نوعه ذات قيمة عظيمة حوى الكثير من تلك الآداب التى نشأت من الأقوال. وإنمـا أريد أن أقول أن فى استطاعتنا أن نتبين فى مثل هذا الكتاب بعض الأقوال التى تحمل ذلك الطابع الأولى الأصيل أى التى سجلت كما نطق بها آباء الرهبنة دون أى صقل أو تنميق، وإننا إذ نبحث عن هذه الأقوال يكون مثلنا كمثل ذلك المؤرخ الفلسفى الذى يجتهد فى التعرف على ما يحمل طابع سـقراط فـى أقـوال أفلاطون. ولكن بينما نستطيع أن نضع فكرة سقراط الفلسـفية فى أكثر من قالب وأن نعبر عنها بطرق مختلفة، فأننا نجد أنفسنا هـنا نبحث عن جمل ذات طابع خاص غير قابل للتغيير، نبحث عن أقوال نـتوق إلى العثور عليها كما لفظت يوما ما، جملا تهز النفوس وتحتاج إلى

شــئ مــن التأمل، وهى فى قالب نصيحة أكثر منها درساً. وهى فى شكل أمثال أكثر منها أقوالا عادية.

لقد وصفها بعضهم بأنها (تعبير وحى الخاطر للحياة الروحية العميقة) وهــو وصــف يمــيزها عن تلك الأقوال التى تصدر بعد التروى وإعمال الفكــر. ولكن هناك أيضا من يعتقد – وأظن هذا أصبح – أن هذه الأقوال لم تكــن بنت ساعتها كما تبدو لأول وهلة، بل هى تعبير عن عوامل نفسانية بطيــئة النضوج تبرز فيها الناحية الروحية وقد أتيح لها الوقت الكافى أثناء هــذا البطء لتصقل ويعاد صقلها حتى أفصح عنها اللسان أشعاراً قصيرة أو ما هو فى حكم الأشعار جزالة وجمالا.



ونرفع أعيننا عن هذه الأقوال ونحن مملوءين إعجابا، ونتجه بها نحو تلك الشخصيات التى صدرت عنها تلك الأقوال فيتولانا العجب لأول وهلة، إذ ترى جمعا من النساك أكثرهم من الأميين أو ممن هم فى حكمهم، لم يكن فى ماضى حياتهم ما يلفت النظر، يصعب عليك أن تميز شخصية كل منهم علــى حدة، إذ يصعب عليك حقا أن تجد لكل من هؤلاء الآباء طابعا خاصا فيما يصدر عنه من أقوال، فلا تجد فرقا مثلا بين أقوال الأنبا موسى وأقوال الأنــبا مكــاريوس. لقــد كانت البرية كجامعة كبيرة ذات ألف رواق ومن الســهولة بمكــان أن نضل فى أروقتها إذا حاولنا أن نتبين ما قاله كل من أســاتذتها على حدة، كما ضل الأنبا مكاريوس فى أرجاء الصحراء عندما غافله الشيطان وانتزع العيدان التى كان القديس قد ثبتها لتكون بمثابة معالم لأرجائهــا الفسيحة. فمن الخير أن لا نتشبث بضرورة معرفة نوع التعاليم الــتى كانت تصدر من كل منهم وأن لا نحاول البحث إلى مدرسة من منهم تنــتمى هــذه الأقــوال أو تلك. ولكن الذى يجب أن نعلمه عن هذه الآداب المتفرقة التى لا تحمل طابع شخصية خاصة ولا تنتمى إلى مذهب خاص، أنه كان لها ذلك التأثير الواسع المدى والعميق والثابت على الدهر ليس فقط علــى تقالــيد وعادات الشعوب المسيحية فى مختلف أرجاء العالم، بل على

المدنية ذاتها! ومسيحيو اليوم مازالوا يغترفون – دون أن يعلموا – من ذلك البحر الزاخر العجيب. كما يجب أن لا يغرب عن بالنا أن كثيراً من العلماء والفلاسفة قد تخرجوا فى جامعة البرية.

ولكن ما هى الدوافع التى أدت إلى قيام هذه الجامعة؟ عندما هدأت قليلا تلك الاضطهادات العنيفة التى لاقتها المسيحية فى بدء ظهورها، وبدأ الوثنيون يدخلونها أفواجا، كان هناك خوف على الفضائل المسيحية من أن تتلوث ببعض العادات الوثنية، بل كان هناك خوف أيضا من أن يحاول فريق ما أن يوفق بين تعاليم الإنجيل والروح الوثنية. نعم هناك الاكليروس متيقظون لمثل هذه المحاولات وللبدع التى كانت تصاحبها، وكانوا كفيلين بالقضاء عليها بما يصدرون من قرارات وقوانين، ولكن تهذيب النفوس وتكوين الضمائر أو تحويلها لا يكون بالأوامر والقوانين فقط، كما كان لابد من إيجاد حالة نفسية وروحية جديدة مهيئة لقبول واستساغة مثل هذه الأوامر والتعاليم. فكانت الصحراء أو البرية هى المعهد الجديد الذى تكفل بحفظ سمو ونقاوة التعاليم الروحية والخلقية للسيد المسيح مثل الزهد ونكران الذات والمحبة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، والعلم بأن الروح فى عراك مستمر مع شهوات الجسد ومع هذا العالم الذى ازداد إغراء وخطرا بعد انهيار المقاومة التى كانت تقابلها المسيحية فى ذاك الوقت.

وبالرغم مما فى امتلاء الصحراء بالنساك والمتعبدين وأساتذة الرهبنة من عمل عظيم فريد فى تاريخ الأديان فقد قام البعض بمحاولة فاشلة للتقليل بما فيها من قوة وشأن، وأرادوا أن يذهبوا إلى أبعد من ذلك فاتخذوا من المبالغة فى الحرمان والتقشف التى ذهب إليها بعض الآباء وسيلة لمهاجمة الإنجيل فاتهموا تعاليمه بأنها قد أخلت بذلك التوازن والتناسق بين قوانين الطبيعة وهو الذى عملت الوثنية على تدعيمه والمحافظة عليه. وقام البعض الآخر ينكر على هذه الدعوة طرافتها، ورمى هؤلاء النساك بتهمة العمل على إحياء تقليد وثنى قديم، وقد فاتهم أن ما يثير إكبارنا وتعظيمنا لهؤلاء الآباء ليس مجرد تركهم العالم – وهى حقيقة فكرة قديمة – بل هو جعل هذه الفكرة تجد قبولا لدى العالم أجمع الذى تلفت نحو جامعة البرية يستمد منها

تــراثه الروحى. إن انتزاع المسيحيين مما كان فى العالم من مفاسد أقامت صــرحها الوثنية وكانت مازالت محتفظة بقوة تأثيرها ومما كان فى المدنية القديمــة مــن إغــراء، ثم جذب الوثنيين بعد ذلك الذين ابهرهم منظر هذه الميادين الجديدة وما تجلى فيها من مظاهر البطولة والقوة الروحية، هذا هو المجهود الجبار الذى يقف أمامه الإنسان حائرا، هذه هى المعجزة!

لقــد قــام هــؤلاء النساك بتلقين مبادئهم وتعاليمهم فى جامعة شعبية ديمقراطية لم نسمع عن مثيل لها فى التاريخ، إذ بالرغم مما فى هذه التعاليم مــن حكــم عالــية وأفكار سامية فقد كان ينهل من مواردها العذبة بسطاء القلــوب من جميع الطبقات الاجتماعية على اختلاف درجة ثقافتهم، وكانوا يعنون بأن يكشفوا لهم عن أسرار أشد أنواع الخضوع والطاعة وكان التعليم علمــيا وعملــيا فــى وقت واحد، إذ كانوا يلقون هذه التعاليم وهم فى نفس الوقــت أمــثلة حية لها أمام ناظرى مشاهديهم والمستمعين إليهم، لقد كانت تصــدر عــنهم فى أقوالهم واعمالهم تلك المبادئ السامية التى تنم عما فى نفوسهم من قداسة، فى سهولة وطلاقة ودون أى محاولة للكلفة والتنميق.

وأننا لعلى يقين تام بأن علماء الأخلاق والأديان حتى فى يومنا هذا، لــيجدون فــى هؤلاء البسطاء مادة لا ينضب معينها لأى دعوة إلى التقدم والإصــلاح فى النواحى الروحية والتهذيبية، وهم على بساطتهم وقدم العهد بتعاليمهم لا يقلون شأنا عن قديسى الغرب فى العصور الوسطى الذين لمعت أسماؤهم فى سماء فلسفة الروحانيات. بل أننا لنذهب إلى أبعد من ذلك ونعلم من يقرأ أقوالهم وحكمهم، ويعجب كيف أنها تتمشى مع أسمى المبادئ التى نــنادى بهــا الــيوم، نعلمه بأن هؤلاء الفلاحين المجهولين الذين لم يكونوا ليمــتازوا عــن صيادى الجليل فى علومهم، قد وضعوا فى الحقيقة الأسس والمبادىء الخالدة على الدهر لكل ما يتعلق بالحياة الروحية!

يقول الأب روسيلو (Rousselot) فى كتابه كريستوس (Christus) "إذا بحثــنا بعــناية المثل العليا التى كان هؤلاء النساك يضعونها نصب أعينهم تتملكنا الدهشة ويستولى علينا العجب لما كانوا يتحلون به من دقة الملاحظة

النفسانية والحكمة العملية بل ما نضعه فى كلمة واحدة: الذوق السليم فى روحانياتهم".

وإنه لأولى واكرم بأولئك الذين يتخذون من تاريخ هؤلاء الآباء مادة للسخرية والتهكم، لو أنهم استعملوا إدراكهم لاستخلاص ما فى هذه الصفحات من دلائل التدين العميق ودقة الشعور التى تتوج كثيرا من فضائلهم، وما فيها أيضا من إنسانية تعطينا أحسن الصور عن الإنسانية المسيحية.

وللاهوتيى البرية الفضل فى الكشف لنا عن ضعف إبليس التام، وهم الذين بينوا لنا أنه يستمد قوته من ضعفاتنا، فهى التى تغريه بمهاجمتنا، ولكنه لا يلبث أن ينكص على عقبيه إذا لمس منا أى قوة فى مقاومته، فيقول عنه أحد هؤلاء الآباء (إنه ثعبان بلا أسنان). ويوضح لنا بلاديوس ما كانوا يشعرون به من قوة روحية وما كانوا يبدونه من مقاومة عنيفة فيقول (أننا نخاف الذباب أكثر مما يخاف الأنبا موسى إبليس) وهم لم يقفوا أمامه موقف الدفاع فقط بل علمونا أن هناك مجالا للهجوم فى متناول كل ضعيف. وكان من أثر هذا النضال المستمر ضد إبليس والخطية أن عنوا بدراسة جميع خطط ذلك العدو بكل دقة، ونعلم من قراءة أخبار هذه الخطط، والتدابير التى اتخذوها لإخفاقها بل والانتصار عليها، أن ليس من السهل غزو النفس القوية، وهى إذا تعرضت لأى هجوم استطاعت الصمود إلى النهاية. كما نعلم أيضا أنه يجب أن نخفى عن هذا العدو حركاتنا واتجاهاتنا، ولتورد فى ذلك المعنى تلك الأقوال الخالدة التى نقلها كاسيان عن الأب سيرينيوس: "يتفق الجميع على أن ليس فى استطاعة إبليس أن يعلم أفكارنا، إنما يتاح له ذلك بمراقبة حركاتنا وسكناتنا وأقوالنا، إذ هو يستخلص من كل ذلك نياتنا ورغباتنا، ولا سبيل له بغير ذلك لأن يعلم بكل ما تنطوى عليه صدورنا، ليس فقط بل إنه لا يستطيع أن يعلم أيضا أنه قد أصاب منا مقتلا إلا بملاحظة ما يبدو علينا من تعابير أو حركات بوجه عام. ولأضرب لك مثلا على ذلك، فإذا جرب أحد الأخوة بتجربة عدم الصبر مثلا لاحظ إبليس ذلك إذ يراه وقد بدأ يطل كثيرا من النافذة ليرى ميل الشمس حتى يعرف الساعة،

أو يسأل فى إلحاح إذا كان الوقت قد أمسى. ومن يعرف ان عدم الصبر قد ترك أثراً فى نفسه".

نقــرأ مــثل هــذه القطعــة فنتذكر ما يقصه علينا جليوم دى توكو (Guillaume de Tocco) تلميذ القديس توما الاكوينى من أن معلمه كان يقرأ يوميا بعض صفحات من مواعظ كاسيان وكان يقول عنها (أن هذه القراءة تمدنــى بقوة روحية وأشعر بعدها بالسهولة التى ارتفع بها فى تأملاتى نحو السمائيات).

نعم قد تبدو لنا غريبة اليوم بعض ضروب النسك والتقشف التى كانوا يمارسونها، ولكنها كانت تبدو غريبة أيضا لمن عاصروهم وها هو بلاديوس يســجل لــنا قطعــة – بــدت وقائعهــا غريبة فى نظره – عن مكاريوس الاسكندرى، ذلك الرجل الذى حاز بطولة البرية كما يقول عنه دوم بتلر:

"عندما سمع مكاريوس عما يقال عن رهبان دير طابنيس أى رهبان ديــر القديــس باخوميوس وقواعد حياتهم الدقيقة، أبدل ملابسه بثوب عامل عادى وسار حتى وصل إلى نواحى طيبة بعد خمسة عشر يوما... وما أن أدرك دير الطابنسيين حتى طلب رئيسهم الذى يسمى باخوميوس، وهو رجل محــنك، نــافذ البصيرة له موهبة الكشف عن الشخصية، ولكن لم يستطيع الكشــف عن شخصية هذا الزائر وعندما دخل عليه طلب منه أن يقبله فى ديره فأجابه باخوميوس (إنك رجل بلغت من العمر عتياً، ولا يطلب النسك فى مثل هذا السن المتقدم، وإنه لمن المشقة بمكان أن تحاول مجاراة الرهبان هــنا فــى عبادتهم وتقشفهم، ولن تلبث حتى يدركك الملل وتشعر بمضايقة فتتركــنا ســاخطا). وظل رافضا طلبه لمدة أسبوع، وظل مكاريوس ثابتا صــائما طــوال تلــك المدة ثم كرر سؤاله (اقبلنى يا أبتى وإذا حدث أن لم أتمكــن مــن مجــاراتهم فى صومهم ومعيشتهم فلتأمر بأن يقذفوا بى إلى الخــارج). فقبل طلبه وبعد وقت قصير بدأ الصوم الكبير وقام الرهبان كل يروض نفسه على نوع من الصيام فهذا لا يأكل حتى المساء... وذاك يظل علــى الطوى خمسة أيام، وآخر يظل واقفا طول الليل ويجلس أثناء النهار

وأما مكاريوس فقد وقف فى أحد الأركان، وظل طوال الأربعين يوما حتى عـيد الفصـح لا يذوق الخبز ولم يثن ركبته أو يرقد مرة، ولم يمسس شيئا سـوى بعض أوراق الكرمب فى أيام الآحاد فقط حتى يظهر انه يأكل وإذا خرج لقضاء حاجته فانه يرجع مباشرة دون أن ينبث ببنت شفة ليظل واقفا صامتا.

وعـندما رأى الرهبان هذا المنظر صغرت نفوسهم فى أعينهم، ونفذ صـبرهم فذهـبوا إلى باخوميوس فى سخط وتبرم وقالوا (من أين أتيت لنا بهذا الرجل الهزيل ليشعرنا بحقارتنا، اطرده وإلا تركنا لكما الدير).

واهتم باخوميوس بهذه الحالة التى أوجدها ذلك الرجل الغريب والتى سـببت له شيئاً من القلق، وصلى إلى الله أن يكشف عن بصيرته، ليعرف شخصـية هـذا الرجل العجيب، واستجاب له الله، وعند ذلك أخذه من يده وأدخلـه إلـى الكنيسـة أمـام المذبـح وقال له (والآن أيها العجوز! أنت مكاريوس، وقد أخفيت شخصيتك عنى، كم كنت أتوق إلى رؤيتك منذ سنين! إنـى أشكرك إذ هيأت الفرصة أيضاً لأولادى لكى يروك، فعسى أن يحذوا حـذوك فيزيدوا فى تقشفهم وندمهم ولا يكون لتجربة الغرور والخيلاء أى مكـان من نفوسهم. والآن لتمض بسلام إلى حيث تقيم فقد وعظتنا بما فيه الكفاية، صل لأجلنا ولتصحبك السلامة".

تـناول كثـير مـن الكتاب والمعلقين هذه القصة فكان يثير إعجاب الـبعض ذلك الصيام لمدة أربعين يوما والذى لم يتخلله سوى بعض أوراق الكرمب، وكان يرى البعض الآخر أن البطولة هنا كانت لباخوميوس الذى أدرك مـا خـالج نفوس رهبانه ورأى أن القلق الذى استولى عليهم لم يكن سببه عجزهم عن مجاراة ذلك الناسك العجيب، وإنما هو فيما تولد عن هذا المـنظر من شعور مختلط من الحسد والغضب واليأس. وأحس بما يحمل ذلـك فى ثناياه من الخطر كل الخطر على الروح المعنوية بينهم فتدخل فى الوقت المناسب وحفظ بذلك كيان الدير قبل أن تتعرض أنظمته لأى اهتزاز عنـيف. ومـن تتبع عن كثب أنظمة الجيوش فى الحرب العظمى الأخيرة

وعــرف كيف يجتهد القائد المحنك فى المحافظة على الروح المعنوية بين جـنوده والعمــل علـــى رفعها بجميع الوسائل، يستطيع أن يرى فى الأنبا باخوميوس الرئيس الأمثل، وهو هنا يعطى لنا درساً على جانب عظيم من الأهمية عن (الروح المعنوية) وأهميتها الحيوية وعلاقتها بالنظام فى تدبير شئون الجماعة أو (الشركة).

ونخــرج مــن قــراءة أمثال هذه الصفحات، وقد أدركنا ذلك المعنى العمــيق الــذى تــنطوى عليه الحياة النسكية فى جميع مظاهرها من مأكل ومســكن وفروض للتوبة والندم، وهذا المعنى هو الجهاد، الجهاد الروحى الجبار الذى كان بالأمس كما هو اليوم ضد الشهوات الجسدية التى لم تتغير، والذى وضع مناهجه الإنجيل والقديس بولس.

ولقــد حــرص آبــاء الرهبنة على أن يبينوا لكل من يطرق بابها ما ينتظره من جهاد عنيف، وعلى أن يبينوا لكل من يريد أن يدخل الدير أنه لا يدخــل ملجأ، وأن الطريق أمامه شاقة متعبة تتطلب إرادة من حديد، ولذلك يلاحظ القديس باخوميوس الملاك الذى أملى عليه قوانين الشركة أن فروض الصلاة الإجبارية قليلة، فيجيبه الملاك (وهذا هو تماما ما أرمى إليه. إذ لا يجــب أن تنهك قوى الحديثين بما يفرض عليهم من واجبات، وأما من هم أقــوى وأكمل فلا يحتاجون لقوانين. وأنى فيما أعطيك من قوانين أفكر قبل كل شيء فى جمهور الضعاف، إذ أود أن أجنبهم ما يتحملونه من عذاب إذا صادف أن كان لديهم ضمائر خائرة العزيمة مثبطة للهمة).

وباخومــيوس هذا هو مثال عظيم قل وجود نظير له، أجمع مؤرخو الرهبــنة على أن الرئيس النموذجى، أعطى كثيراً من روحه لآداب البرية، بــرز فــيها طابعه الخاص، بتلك النظم والقوانين التى يسرت حياة الشركة الرهبانية داخل الدير، وجعل مستوى الفضائل فيها بحيث يسهل على الجميع أن يرقوا إليه إن لم يتعدوه كان مثالا للرزانة والحكمة. وبالرغم من أنه كان معاصــراً للدعــوة إلى النسك عندما كانت فى أوج فورانها فقد استطاع أن يوجد الحياة فى الدير كما يجب أن تكون وإنه لما يدعو إلى العجب أن نرى

كـيف أمكنه منذ بدء دعوته أن ينظم الحياة تنظيما تاما لجموع زاخرة من الرهبان وعلى الأخص توزيع العمل فى الحياة الرهبانية، مما يصعب علينا أن نعـزوه إلـى عبقرية الإدارية فقط. ومما يزيد فى دهشتنا أن يقوم بذلك العمـل رجـل اشـتهر بدماثه أخلاقه ولين طباعه، وتميزت حياته بالهدوء والوداعة. كان تلميذاً لبلامون، وكان يدرك الشدائد التى يتحملها قلب باسل اخـتار الديـر، ولذلـك عرف كيف ينزل إلى مستوى الفضائل المتوسطة، ويـتفهم ضـعفات أبنائه الرهبان. كان الرجل الإنسانى بكل معنى الكلمة، وكانت له موهبة التسامح، والصبر مع التأنى، وأخيراً التدخل للإصلاح فى الوقت المناسب.

وفى الحقيقة لقد انفرد آباء البرية وتميزوا بتلك الموهبة العجيبة التى يصـح أن تسـمى (الموهبة السماوية أو السحرية فى جعل الغير يستعذبون آلامهم)، وهى موهبة لم يسبقهم أحد فيها قط ولم يتركوا فيها زيادة لمستزيد بعدهم، أو هى كما يقول عنها كاسيان (موهبة توجيه النفوس)، كأن الروح القدس قد حلت على هؤلاء البسطاء فمنحتهم تلك الموهبة.

منير شكرى



الرهبنة فى الحبشة

نشأتها وتطورها:

دخلت المسيحية الحبشة على يد فرومنتيوس فى منتصف القرن الرابع الميلادى، فاعتنقها ملك الحبشة وتبعه فى ذلك رجال البلاط، ثم أخذت تنتشر بين أفراد الشعب. وكان دخول المسيحية فى الحبشة على هذا الوضع، مخالفاً لما عهدناه فى البلاد الأخرى حيث كانت تجد طريقها إلى الشعب أولا ثم يعتنقها رجال البلاط فالملك.

وأخذت المسيحية تنتشر ببطء فى الحبشة مدة قرن من الزمان أو يزيد. ولما كان أواخر القرن الخامس وأوائل السادس أخذ كثير من الرهبان يفدون إلى الحبشة ليستقروا بها، وربما كان لقرارات مجمع خلقدونيا سنة ٤٥١ التى رفضها القائلون بالطبيعة الواحدة سبباً فى هجرة كثير من الرهبان إلى مصر حيث وجدوا فى أديرتها المزدهرة ملجأ لهم ومنهم من أخذ فى الانتقال هو ومن خلفه إلى النوبة ومنها إلى الحبشة، تدفعهم غيرتهم لنشر الدين المسيحى على مذهبهم، بين أقوام لم يتطرق الجدل الدينى إليهم، وقد حدا بهم خوفهم من المذهب النسطورى، الذى لم يكن له أتباع فى مصر أو الحبشة، إلى ترجمة بعض الكتب فى معارضة النسطورية مثل كتاب كيرلس استعداداً للطوارىء.

وكان بين الرهبان الذين وفدوا إلى الحبشة واستقروا فى أماكن متعددة من مقاطعة اليجرى تسعة عرفوا بالقديسين التسعة هم رسل نشر المسيحية فى الحبشة الذين أسسوا الأديرة وثبتوا العقيدة وهم:

أليف	مؤسس دير بحزا.
صحيما	مؤسس دير سدينيا.
أرجاوى	ولقبه زاميكائيل مؤسس دير داهو.

أفصى	مؤسس دير بها بالقرب من عدوا.
جريما	مؤسس دير مدارا.
بنطاليون	
ليقانوس	مؤسس دير قوناسل.
جوبا	من دير مدارا.
يمعاتا	مؤسس دير جرعالتا.

هؤلاء هم الرهبان التسعة الذين دعموا الرهبنة فى الحبشة ولكن الأحباش يرجعون إنشاء الرهبنة فى الحبشة إلى الأنبا باخوم ويقولون إن القديسين التسعة هم تلاميذ الأنبا باخوم نفسه. ولكن المعروف أن الرهبنة فى الحبشة قامت على أيدى الرهبان الأقباط بحسب انطونيوس ومقار وباخوم. والواقع أننا لا نعرف بالدقة كيفية تطبيق شرائع باخوم فى أديرة الحبشة قديما، وإن كل ما وصلنا عن تطبيقها نستمده من بعض إشارات جاءت عرضاً فى سير بعض القديسين منها ما تحدثنا به سيرة القديس زاميكائيل أرجاوى أن نظام دير دامو فى القرن السادس الميلادى كان يتبع شرائع باخوم.

وقد أخذت الأديرة فى الحبشة تزدهر فى القرنين السادس والسابع، وأخذ الرهبان يتفرغون إلى دراسة أدب الرهبنة وتفهمه معتمدين فى ذلك على ما يترجمونه من الكتب القبطية أو اليونانية الشائعة عند الرهبان الأقباط فى مصر.

وكانت الأديرة هى مركز النشاط الدينى وترجمة الكتب الدينية. وما أن ولى القرن السابع حتى نكبت الحبشة فى القرون الخمسة التى تلته بحروب داخلية أوقفت كل نشاط وتقدم فى هذه المدة. ولكن الأديرة بدأت فى استعادة نشاطها منذ القرن الثالث عشر لما استتب الأمر وقوى السلطان وتوجت هذه النهضة لما أنشأ تكلا هيمانوت (+ ١٣١٢) ديره فى مقاطعة شوا وأوسطانيوس (+ ١٣٤٤) ديره فى مقاطعة التيجرى. وسرعان ما اتجه الرهبان إلى الجدل الدينى حول الأقاليم الثلاثة وخلق الإنسان وتقديس

العـــذراء والصليب ثم حول جسد المسيح هل كان مثل أجساد البشر وغير ذلك. ثم لم يكد يهدأ هذا الجدل حتى منيت الرهبنة بمحنة الفتح الاسلامى فى أوائـــل القـــرن الســـادس عشر وأخذت الجيوش الاسلامية تخرب الكنائس والأديـــرة. ثم ساعدهم البرتغال على استرجاع ملكهم ولم يكد يستتب الحال حـــتى حلت بالرهبان محنة أخرى وهى التبشير بالكاثوليكية. فقام الرهبان يدافعون عن عقيدتهم واضطروا الملك سوسنيوس (١٦٠٧ – ١٦٣٢) الذى كان يوإلى الكاثوليكية أن يتنازل عن عرشه لابنه الملك فاسيلادس (١٦٣٢ – ١٦٦٧) الذى أعاد علاقة الكنيسة الحبشية بالكنيسة القبطية. وبذلك أرجع الاطمئـــنان إلـــى نفـــوس الرهبان فجنحوا مرة أخرى إلى تدعيم النظام فى الأديرة وأخذوا فى ترجمة الكتب الدينية التى أحضروها من مصر ولكن لم يلبـــث هذا النشاط طويلا حتى انقلب إلى جدل دينى حول المسحة والاتحاد، أدى بالرهـــبان أن ينقســـموا إلـــى حزبين: حزب يناصر رهبان دير تكلا هـــيمانوت فـــى مقاطعـــة شوا وحزب يناصر رهبان دير اوسطاتيوس فى مقاطعة التيجرى.

نظام الرهبنة:

رأس الكنيســـة فـــى الحبشة هو المطران الذى يلقبونه أبونا ويليه فى المركـــز رئيس دير ليبانوس الذى أسسه القديس تكلا هيمانوت فى مقاطعة شـــوا فهو إذن خليفة القديس تكلا هيمانوت ولقبه الإطشجى. والقديس تكلا هـــيمانوت هـــو حامى الحبشة وله منزلة ممتازة عن الرهبان الأحباش لأنه التفـــت إلى مصلحتهم لما جعل آخر ملوك أسرة الزجوا يتنازل عن عرشه إلـــى الملك يكونو أملاك (١٢٧٠ – ١٢٨٥) مجدد الأسرة السليمانية. وكان مـــن شـــروط التـــنازل أن يختص المطران بثلث المملكة حتى يتمكن من الصرف على الكنائس ورجال الدين والأديرة والرهبان، وكذلك اعترفت به الكنيســـة القبطـــية وهى تحتفل بذكرى موته فى ٢٤ مسرى (بالحبشة ٢٤ نهاسى) وبذكرى مولده فى ٢٤ كيهك (٢٤ تهساس) ويسمى الراهب مثكوس ويتبع رهبان الحبشة اما نظام تكلاهيمانوت أو نظام اوسطانيوس ولكل دير رئيس يسمى ممهر. ويمر الراهب فى ثلاثة مراحل فالمرحلة الأولى ومدتها

ثــلاث ســـنوات على الأقل يعطه بعدها رئيس الدير "القنات" وهى المنطقة وبعد الثانية يعطه "القوب" وهو الكوكليون أو الغفارة أو القلسوة وبعد الثالثة يلبسه "الاسكيما" وهو الاسكيم، ويحمل الرهبان ورجال الدين دائما الصليب فـــى الــيد اليمنى يقبله الناس تبركا عن التحية لأن عادة تقبيل الأيدى غير معروفة فى الحبشة. وكذلك يمر الراهبات بهذه المراحل.

ويعـــيش الرهبان عيشة تقشف وعبادة، فأكلهم الخبز المسمى الأنجرا وشربهم الخمر المسمى الطلا. وهم يستيقظون من منتصف الليل حتى الثالثة من بعد ظهر اليوم التإلى ويقضون هذا الوقت فى الصلاة والعبادة. وكثيراً مـــا يرى النساك وقد لبسوا الجلود يعيشون فى الكهوف أو فى أماكن بعيدة منفردين.

ويعـــيش الرهـــبان مـــن الأوقـــاف والهبات. وقد أصدرت الحكومة الأثيوبية قانوناً فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٢ لتنظيم ممتلكات الكنيسة ومراقبة الإيـــرادات والمصـــروفات وقد قسمت فيه الأديرة إلى ثلاثة أقسام بالنسبة لأهميـــتها وهـــى دير وجدام وجطر ثم قسمت أملاك الكنيسة إلى موروثة وموهوبة. وقررت الحكومة أن تحصل عنها كلها ضرائب ترسل إلى خزانة الدولـــة تصرف منها للمحافظة على الأديرة والكنائس وتتوسع فى سياستها الإنشائية للتعليم الدينى ورعاية الناحية الاجتماعية ويكون هذا تحت إشراف المجمع المقدس الأثيوبى لأن الكنيسة هى دائما كنيسة واحدة على حد تعبير الـــنص. أما النذور والهدايا وما يدفعه الشعب لرهبان أو كهنة الدير فيدخل فى خزانة الدير ويشرف رئيس الدير على الصرف منه فى إدارة الدير.

وقـــد وجـــدت الحكومة صعوبات كثيرة فى تنفيذ هذا القانون ولكنها جادة فى تنفيذه بحسب ما تسمح به ظروف كل دير أى بحسب بعده أو قربه مـــن أديـــس أبابـــا، وبحسب قوة رهبانه أو مطاوعتهم وبحسب قدرة حاكم المقاطعة التى يوجد فيها الدير وغير ذلك.

ويلحق بكل دير مكتبة تحفظ فيها الكتب وكلها مخطوطات كتبت ولا تزال تكتب على الرق. ولما كانت الحبشة تهدد دائماً بحروب داخلية يكون

مـــن نـــتائجها تخريب الأديرة أو نهبها، اضطر الرهبان أن يحافظوا على مخطوطـــاتهم فى مكان أمين خفى. أما الأديرة الكبيرة مثل دير ليبانوس أو ديـــر برهان ففيها حجرة مخصصة للمكتبة بها خزائن لحفظها ومكان لنسخ الكتـــب وتجلـــيدها. ولا نعرف الكثير عن عدد المخطوطات الموجودة فى أديرة الحبشة ولكن يظهر لنا أن مكتبات أديرة جوندار عاصمة المملكة قديماً كانـــت تحفظ فى خزائنها عدداً كبيراً من تلك المخطوطات ويحدثنا واضع تاريخ الملك تيودور (١٨٥٥ – ١٨٦٨) أنه كان يحمل معه ٩٨١ مخطوطة ليجعل منها نواة لمكتبة كنيسة مخلص العالم التى كان يزمع إنشاءها، ولكن عاجلة الجيش المصرى الانجليزى فقضى عليه فى مقدلا واستولى الإنجليز على ٤٠٠ من هذه المخطوطات نقلوه إلى المتحف البريطانى.

كتب الرهبنة:

كانـــت كتـــب الرهبنة هى أول ما توجه إليه مسيحو الحبشة، بعد أن تـــرجموا بعض أسفار الكتاب المقدس، منذ القرن الخامس الميلادى. وكان مـــن الطبيعى أن يكون أول ما يترجم منها شرائع باخوم التى ترجمت فى لقـــرن السادس تقريبا، حتى ينظموا حياة الرهبان فى الأديرة بعد أن أخذت الرهبـــنة تنتشـــر بسرعة بين المسيحيين هناك، متأثرة فى ذلك بمصر مهد الرهبنة، وساعد على ذلك الميل الطبيعى.عند الأحباش فى الصبر واحتمال المصاعب والتقشف.

ولم نعثر إلى الآن بين المخطوطت الحبشية على سيرة الأنبا باخوم. وإن كل ما يعرفه الأحباش عن حياته هو ماذكر فى السنكسار المترجم عن العربـــية فـــى ١٤ جنبوت (١٤بشنس) وقد وصلنا من الأنبا باخوم بالحبشة موعظـــة وصلاة قصيرة وهما مخطوطتان محفوظتان فى مكتبة باريس لم تنشرا بعد.

أما شرائع باخوم المعروفة فى الحبشة فهى تنقسم إلى ثلاثة أجزاء:

يشـــتمل الجـــزءان الأولان منها على ترجمة شرائعه المعروفة عن الـــنص اليونانى وربما كانت قد ترجمت عن نص قبطى لم نعثر عليه بعد.

أمـــا الجزء الثالث فهو خاص بالحبشية وقد أضيف إلى الجزئين الأولين فى عصـــر متأخر هو القرن الرابع عشر على الأرجح ويبدأ الجزء الأول من شرائعه بالحبشية هكذا:

باسم الثالوث المقدس. الشرائع التى أمر بها ملاك الرب الأنبا باخوم (باكومـــيس) كان فى أرض طربينس من مقاطعة تبايس رجل اسمه باخوم يحـــيا حـــياة طاهرة، وهبت له المعرفة ورؤية الملائكة. وكان يحب الناس ويحب أخوته. وبينما هو جالس فى صومعته ترائى له ملاك الرب وقال له لأجـــل خلاص نفسك تريد أن تقضى ما تبقى من حياتك فى هذه الصومعة، هلم اذهب واجمع الشبان وامكث معهم وعلمهم بحسب الشرائع التى أعطيها لك. ثم أعطاه لوحا من نحاس كتب فيه ما يأتى:...

وفـــى مكتبة الدار البطريركية بالقاهرة مخطوطة رقم ٢٢١ لاهوت تحتوى (من ١٨٢ – ١٨٤) على نصر هوفى الواقع مختصر للجزء الأول من الشرائع ننقلها هنا بنصها:

"هذه القوانين التى أعطاها الملاك للقديس أنبا باخوم أب الشركة وهى مكتوبة فى لوح نحاس وأمره أن يتخذ له أولاد ويعلمهم ويخلص نفوسهم ثم قـــال له: لا يجـــب أن تخلـــص نفسك وحدك بل تخلص أخوتك أيضا معك باجتماع واحد. قال يجب أن تصنع لهم موائدا يأكلون عليها كلهم فى موضع واحـــد يأكلون ويشربون الماء بقدر الحاجة. كل واحد واحد على قدر قوته ومـــن أراد الصوم لا تمنعه ومن أراد الأكل فلا تصده عنه. وأشغال الدير الصعبة أعطها للأقوياء الذين يأكلون كثيراً، والحقيرة للقليلى القوة. ويكونون فـــى القلالـــى ثلاثة ثلاثة ووقت المائدة يجتمعون كلهم فى الدقونية ويأكلون كلهـــم. ومـــراقدهم تكون على مصاطب وإذا رقدوا أن تكون وجوههم إلى الشـــرق ليصلوا وليكن لكل واحد منهم وزره بيضاء وثوب ينام فيه وتكون أوســـاطهم مشدودة بمناطقهم فى الليل والنهار ولكل واحد جلد يلبسه. وإذا أرادوا أن يتعروا ويحلون مناطقهم ينزلون إلى أسفل ولا يأخذون إلا قلسوة واحدة وتكون لهم قلسوة لا مغبرة اللون ولا مصبوغة وتكون بيضاء وعليها

صـــلبان لاغـــير. واجعلهـــم أربعـــة وعشرين طقساً وسمهم على الاربعة وعشرين جوقاً المكتوبة التي للكهنة (أى على عدد حروف الهجاء اليونانى) والســـاذجون ســـمهم بشـــيء يود (تحريف في النص وفى الحبشية يوتا أى حـــرف يوتـــا اليونانى وهذا يطابق الأصل وحرف يوتا مستقيم فى رسمه) لأجل استقامة قلوبهم والمعوجون قليلا سمهم (وهنا أسقط النص العربى كلمة كـــى واثبـــتها الـــنص الحبشى كما فى الأصل أى حرف كى اليونانى وهو معـــوج فى رسمه) لاجل مخالفتهم. وهكذا على قدر أخلاق كل طقس ادعه علـــى مثال الخراف (تحريف والأصل الحرف اى باسم حرف من حروف الأبجديـــة اليونانية) ولا تعلم أحداً هذا السر إلا الروحانيين الذين فيهم. وكل غريـــب يجئ إليكم وليس عليه أسكيم الرهبانية لا تدعه يعبر إلى مخادعكم الخفـــية ولا تأكلون معه على مائدة إلا أن يجتمعوا بكم خارج الدير أو فى طريق والذى يريد أن يسكن معكم ويصير راهباً فيقيم ثلاث سنين يعمل فى الغـــيط فى موضع البهائم وإلا فلا يترهب وإذا أكلوا يسبلون قلاستهم على وجوههم لكى لا يبصر أحد رفيقه كيف يأكل ولا يتكلم أحد منهم على المائدة إذا أكلـــوا ولا يلتفـــت أحد منهم خارجا عن المائدة والصحفة ويقولون أثنى عشـــر مـــزموراً فـــى كل صلاة وكل مزمور مطانوه هكذا فى أول النهار والثالـــثة والسادســـة والتاسعة والغروب كل صلاة منها أثنى عشر مزموراً وثلاثة مزامير عند الأكل. وفى الليل يصلون ستين مزموراً مثل الصلوات الخمس التى بالنهار وهى ستون مزموراً ومطانوه لكل مزمور. فقال الأب أنـــبا باخوم للملاك هذه الصلوات والمزامير قليلة فقال له الملاك هذا يكفى وألـــزمهم أنـــت بهذا لكى يلحقوا بهم الصغار ولا تتعب قلوبهم من أراد أن يصـــنع أكثر من هذا بخاصة فله السلطان أن يصنع ذلك فى قلايته بل هذا القـــانون يكون لزاما بلابد. والعميقون منهم الذين هم روحانيون يكون بهم ناموس يحتاجون أن يجلسوا دهرهم كله فى قلاليهم بلا شغل يتفرغون لنظر الله وهى التاوريا (وهى اصطلاح يونانى فى التصوف وهو المشاهدة) وأما الكســـإلى والصـــغار فلهـــم ذلـــك القانون لأنه ليس فيهم فهم ولا علم كثير فليصـــروا مثل الخدام ويكملون الذى أمرهم به سيدهم ليفعلوه ويكون فيهم

أيضـــا خوف الله. ولما صار الأولاد واجتمعوا صار الخدام الذين فيهم كل واحـــد فى شغله واحد يصنع الخبز وآخر يعد الأطعمة اللبسان "وهى لفظة يونانـــية لنـــبات الخردل البرى" والجبن والصبر وكان رسمهم أن فيهم قوم يأكلون فى السابعة من النهار وقوم فى التاسعة وقوم فى الحادية عشر وقوم فـــى وقـــت الغروب وقوم يطوون يومين يومين، كل أحد يعرف طقسه ولا يأكل أحد منهم سوى دفعة واحدة فى النهار".

ولـــم يتم هذا النص العربى تلخيص الفقرة الأخيرة من الجزء الأول من الشرائع وهى خاصة بتجنيز الراهبات.

أما الجزء الثانى فيشمل آداب الصلاة والمأكل ومعاملة المرضى من الرهبان والملبس والحديث وكذا الآداب العامة وهى ٢٤ وصية أساسية و٧ فرعية وهى فى حكم المواد القانونية وتبدأ كل منه بتعبير "ليس من يفعل..." وينتهى هذا الجزء بفقرة عن كيفية تجنيز الراهبات.

أمـــا الجزء الثالث فلم نعثر عليه إلى اليوم بالقبطية أو باليونانية ولم يصـــلنا إلا بالحبشية ويظهر أن الأحباش ألفوه ثم أضافوه إلى شرائع باخوم بعد ترجمتها بعدة قرون. ويشمل هذا الجزء على بعض العقوبات التى توقع علـــى الرهبان الذين يخالفون القوانين ثم يلى هذا رؤيا للقديس باخوم يقول "ورأيت خمس طوائف شريرة أحدها طائفة الضباع والثانية الكلاب والثالثة الذئـــاب والرابعة الثعالب والخامسة التيوس. ثم رأيت خمس طوائف أخرى حســـنة الأولى طائفة الخراف والثانية الحمام والثالثة اليمام والرابعة النحل والخامســـة الغـــزلان". ثم أخذ يعدد كيف تشبه أعمال الرهبان وتصرفاتهم بإحدى هذه الطوائف العشرة.

وشرائع باخوم هى أول ما ترجم إلى الحبشية من كتب الرهبنة وظل أثـــرها مـــدة طويلة فى الحبشة ولو أننا لا نعرف مداه، ويتبين لنا ذلك من سيرتى فيلبس ويوحنس من القديسين الأحباش.

ومـــن كتب الرهبنة المعروفة فى الحبشة كتاب "زينا أبو كبوران" أو قدوسان أى سر الآباء المكرمين أو القديسين ويسمى أيضاً جنات منكوسات

أى بستان الرهبان وهو مؤلف على مثال فردوس الرهبان لبلاديوس ويرجع تأليفه إلى ما قبل القرن الخامس عشر على الأرجح. والكتاب على طريقة السؤال والجواب وينقسم إلى ٢٨٣باباً.

أما كتب الرهبنة التى اشتهرت فى الحبشة باسم مصاحفت منكوسات أى صحف الرهبان فهى ثلاثة: مار يسحق وفلكسينوس وأرجاوى منفساوى (أى الشيخ الروحانى) وهى أساس دراسة الرهبنة فى الحبشة.

وكتاب مار يسحق ألفه مار اسحق أسقف نينوى بالسريانية وقد ذكر مترجم كتابه إلى العربية أنه عاش فى أوائل القرن السادس وانه لما اعتزل الأسقفية قضى بقية حياته فى وادى النطرون ولكن الواقع أن مار اسحق عاش فى أواخر القرن السابع لأن البطريرك جيورجيس (٦٦١ – ٦٨٠) رسمه أسقفا وانه لما اعتزل الأسقفية عاش فى دير ربان شاهبور وفقد بصره فى آخر حياته من كثرة القراءة. والنص الحبشى مترجم من العربى والعربى مترجم من السريانى أو اليونانى المترجم عن السريانية. وقد ترجم إلى الحبشية فى عصر الملك سر صادنجل (١٥٦٣ – ١٥٩٧). ويشمل النص الحبشى على ٣٤ بابا ينقسم كل منها إلى عدة فصول وفى أول النسخة الحبشية يذكر أن عبد الله بن الفضل ابن عبد الله الشماس "وهو الانطاكى" ترجمه إلى العربية من اليونانية.

وكتاب فلكسينوس هو لفلكسينوس اسقف مدينة منبج وهو سريانى عاصر يعقوب السروجى على مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة وقد جاهد جهاداً شديداً فى نشر مذهبه ورسم أسقفاً لمدينة منبج بالقرب من نهر الفرات سنة ٤٨٥ وقتل خنقاً بالدخان سنة ٥٢٣. وكتابه مؤلف على طريقة السؤال والجواب وهو يعالج النواحى المختلفة فى حياة الرهبنة ويعتمد على بستان الرهبان لبلاديوس وهو فى الحبشة ينقسم إلى خمسة عشر بابا بها ١٩٦ سؤالا (فى العربية ٢٣٨ سؤال) ويذكر المترجم فى آخر النسخة أنه ترجم من السريانية إلى العربية سنة ١٠٢١ للشداء فى شهر يونيه (= ١٣٠٥م) ونقله المطران سلامه من العربية إلى الحبشية فى أيام حكم الملك سيف

أرعـد (١٣٤٤ – ١٣٧٣). والمطران سلامه المذكور هنا هو الذى وصل الحبشـة حوإلـى سـنة ١٣٥٠ وتوفـى حوإلى سنة ١٣٩٠ وهو المسمى بالمـترجم لأنه ترجم أو عمل على ترجمة الكثير من الكتب العربية الدينية إلـى الحبشية ومنها كتاب فلكسينوس الذى نحن بصدده. أما كتاب أرجاوى منفساوى فهو يوحنا سابا المعروف بالشيخ الروحانى "سابا بالسريانية معناها الشـيخ وهى تقابل العربية شاب" وهو سريانى بلغ أوج نشاطه حوإلى سنة ٥٥٠. ويشـمل فى الحبشية على ٣٦ ميمراً "وهو فى العربية ٣٠ ميمراً" و ٤٨ رسـالة "كما فى العربية" وثلاثة ميامر تسمى رؤوس المعرفة "كما فى العربـية. ثم ينتهى الكتاب برسالة من القديس أرجاوى إلى أخيه ثم بسؤال لأخـيه فـى الجسد موجه اليه. وقد ترجم الكتاب من العربية إلى الحبشية اتشحى دير ليبانوس المسمى عنياقوم "حبقوق" وهو مصرى أو يمنى الأصل بأمر الملك لينا دنجل "١٥٠٨ – ١٥٤٠".

الحروم:

اهـتم الرهبان فى الحبشة اهتماما كبيراً بتطبيق نظم الرهبنة وقاموا بـبعض محـاولات لسد ما يكون قد نجم عن نقص فيها أو فى تفصيل ما يحتاجون إليه من تفصيل، دون أن يحيدوا عن روحها وذلك حتى تتمشى مع حاجـتهم أو طبيعـتهم وهـى تخـتلف بعض الشىء عن حاجة أو طبيعة المصريين الذين وضعت لهم هذه الشرائع.

وقد عثرنا على مخطوطة حبشية موجودة فى المكتبة الأهلية بباريس تحـت رقم ١٢٥ يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر وهى تشمل على ثمانية وثلاثين حرماً على الرهبان ننقلها هنا مترجمة حرفية، وقد حاولنا أن نشير إلى مواضع الآيات التى وردت فيها على قدر المستطاع.

١- حـرم على الراهب أن يعاشر امرأة ولا يشتهى ذلك لأن الأفضل أن يمـس الـنار من أن يمس امرأة، فأن النار إذا أحرقتنا لا تعاود أما الاتصال بالنساء فانه يتزايد وحديثهن يؤدى بالنفس إلى جهنم. لا تقل نجنا من النساء فانه لا يمكنك أن تكون أعدل من داود ولا أحكم من

سـليمان ولا يمكنك أن تزيد قداسة عن شمشون فهؤلاء قد وقعوا فى الخطــأ بسببهن ولكن من طهره الله فمن ينجسه "قارن اع ١٠ : ١٥" إن أحـنون بـن داود صـنع عملا محرما رجسا ليزيد الضحك "أو المجـون" مع ابنة أبيه تذكر ما يقوله الكتاب اهرب من المرأة لأنها تجربة والشراك فى أيديها والبار يخلص أمام الرب "جا ٧ : ٢٦:.

٢- حـرّم علـى الراهب أن يعيش مع امرأة ويساكنها لأنه مكتوب من يحتضن الجمر ولا تحترق ملابسه؟ ومن يمشى على الجمر دون أن تحترق رجلاه؟ "أم ٦ : ٢٧ - ٢٨". ومن يلمس القار دون أن تتسخ يداه؟ "شيراخ ١٣ : ١":.

٣- حـرّم على الراهب أن يكون مهملا لأنه مكتوب لا تختلط مع أمثال هؤلاء "قارن ٢ تس ٣ : ٦، ١١ - ١٢".

٤- حـرم على الراهب أن يكون مغرورا لأنه مكتوب الرب يضع المتكبرين ويرفع المتواضعين "أم ٣ : ٣٤ يع ٤ : ٦ ابط ٥ : ٥".

٥- حـرم علـى الراهب أن يغتاب لأنه مكتوب تجلس تتكلم على أخيك لابـن أمك تضع معثرة "مز ٥٠ : ٢٠" وأيضا فمن انت يامن تدين غيرك "يع ٤ : ١٢".

٦- حرم على الراهب أن يكون زانيا لأنه مكتوب وأما العاهرون والزناة فسـيدنهم الله "عـب ١٣ : ٤" وأيضـا إن كل زان ونجس لا يرث ملكوت الله "اف ٥ : ٥".

٧- حرم على الراهب أن يكذب لأنه مكتوب تهلك المتكلمين بالكذب "مز ٥ : ٦".

٨- حرم على الراهب أن يشتهى لأنه مكتوب الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً "يع ١ : ١٥".

٩- حـــرم علـــى الراهب أن يحارب الناس لأنه مكتوب أحبوا أعداءكم وصـــلوا لأجل الذين يطردونكم "مت ٥ : ٤٤" وأيضا كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس "١ يو ٣ : ١٥".

١٠- حـــرم علـــى الراهب أن يضرب أو يتشاجر لأنه مكتوب لكيلا يمد الصديقون أيديهم إلى الآثم "مز ١٢٥ : ٣".

١١- حرم على الراهب أن يتذمر لأنه مكتوب الشكوى تنتج الضرر "قارن ١ كو ١٠ : ١٠".

١٢- حـــرم علـــى الراهـــب أن يكون ذا وجهين لأنه مكتوب المخاطبين أصـــحابهم بالسلام والشر فى قلوبهم أعطهم حسب صنع أيديهم، رد عليهم معاملتهم "مز ٢٨ : ٣و٤".

١٣- حـــرم على الراهب أن يخرج لجمع المال لأنه مكتوب لا تكنزوا لكم كـــنوزاً علـــى الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويســـرقون "مت ٦ : ١٩" وأيضاً ثيابكم فقد أكلها العث وذهبكم وفضتكم قد صدتا وصداهما يكون شهادة عليكم "يع ٥ : ٢و٣".

١٤- حـــرم علـــى الراهـــب أن يتذكر النزاع لأنه مكتوب اغفروا خطايا جـــيرانكم وأيضـــاً اتركوا من قلوبكم زلات الناس لأن أباكم السموى يترك لكم خطاياكم "قارن مت ١٨ : ٣٥".

١٥- حـــرم علـــى الراهب أن يغضب على الناس لأنه مكتوب إن كل من يغضـــب علـــى أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم "مت ٥ : ٢٢".

١٦- حرم على الراهب أن يكون نواما لأنه مكتوب خمس عذارى جاهلات نمن وأنطفأت مصابيحهن وأغلق بيت العريس فلم يتمكن من الدخول مع العريس حتى يفرحن "قارن مت ٢٥ : ١ - ١٣".

١٧- حرم على الراهب المكر لأنه مكتوب الله يشتت مشورة الماكرين "أى ٥ : ١٣".

١٨- حرم على الراهب أن يحلف لأنه مكتوب الحق أقول لكم لا تحلفوا لا بالسماء لأنها كرسى الله ولا بالأرض موطئ قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ولا برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء بل ليكون كلامكم واحد إما نعم نعم وإما لا لا "مت ٦ : ٣٤ - ٣٧".

١٩- حرم على الراهب أن يكون مديناً لأنه مكتوب من أنت يا من تدين غيرك ولكن الرب يبقى (أى واضع الناموس دياناً وحده "قارن يع ٤ : ١١و١٢".

٢٠- حرم على الراهب أن يخدع لأنه مكتوب الحجاب (الشباك) والموت خادعان "قارن أم ١٧ : ٢٠، ١٨ : ٢١".

٢١- حرم على الراهب أن يغمز بالعين لأنه مكتوب يتبع فى الاستهزاء والخطية الطريق المعوق يغمز بالعين ويقول بالرجل "قارن أم ٦ : ١٣".

٢٢- حرم على الراهب أن يسكر لأنه مكتوب لا تسكروا خمراً فالمسكر عجاج "قارن ام ٢٠ : ١" وأيضا يقول من تهدمه الخمر؟ اليس من يدمن شربها "قارن أم ٢٣ : ٣٠".

٢٣- حرم على الراهب كلام الفضوليين لأنه مكتوب كلام الفضوليين يولد كلاماً كثيراً والفضولى الذى لا عمل له يصير شريرا "قارن ٢ تس ٣ : ١١" ويقول أيضا ألا تعرفون حين كنا عندكم أوصيناكم قائلين انه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً "٢ تس ٣ : ١٠".

٢٤- حرم على الراهب الضحك لأنه مكتوب ويل لهم ويل لهم الآن يضحكون لكنهم سيبكون "قارن لو ٦ : ٢٥".

٢٥- حرم على الراهب أن يتكل على الآنيان لأنه مكتوب ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان ويتوكأ بجسمه عليه "قارن ار ١٧ : ٢٥".

٢٦- حرم على الراهب أن يجتمع مع كل من عنده فائدة للذة الجسد لأنه مكتوب إن أمثال هؤلاء لا يخدمون المسيح بل بطونهم "رو ١٦ : ١٨".

٢٧- حــرم علـــى الراهب أن يؤمن بالأحلام لأنه مكتوب الحلم والسحر يقودان إلى الخطأ الكثير "قارن جا ٥ : ٣".

٢٨- حرم على الراهب أن يغرم بمسائل العالم مكتوب محبة العالم عداوة لله "يع ٤ : ٤".

٢٩- حــرم علـــى الراهــب أن يشهد زورا لأنها قتل نفس مكتوب شهادة الزور تقتل النفس "حكمة ١ : ١١".

٣٠- حــرم علـــى الراهب أن يكون وقحاً "أن لا يكون خجولا" لأنه يكون كالزانـــية فانه مكتوب الزانية تعطى نفسها بدون خجل "قارن ام ٧ : ١٣".

٣١- حــرم علـــى الراهب أن يكره ويلعن وان يخرج الباطل من فيه لأنه مكـــتوب لا يجب أن يكون هكذا يا أخوتي بالفم الذى نبارك به الرب به نلعن الناس الذين جبلوا على صورة الله. هل يمكن ان يخرج من الينبوع الواحد المر والعذب "قارن يع ٣ : ٩ - ١١".

٣٢- حــرم على الراهب أن يعمل لفائدة الجسد لأنه مكتوب انظروا إلى طيور الســماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوها السموى يقوتها فكم بالحرى يفعل معكم يا قليلى الايمان "مت ٦ : ٢٦و٣٠".

٣٣- حــرم علـــى الراهب أن يغش فهذا حكمه مثل حكم قتل النفس لأنه مكتوب رجل الدماء والغش يكرهه الرب "مز ٥ : ٦".

٣٤- حــرم علـــى الراهب أن يتآمر لأنه مكتوب دنهم يا الله ليسقطوا من مؤامـــرتهم بكثرة ذنوبهم طوح بهم. ولا يسقط أحد فى العصيان لأن كلمـــة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته. وليست خليقة غير ظاهرة قدامه وكلامه موجه لأجلكم "مز ٥ : ١٠ وعب ٤ : ١٢ - ١٣".

٣٥- حـــرم على الراهب أن يتكلم بالباطل لأنه مكتوب إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين "مت ١٢ : ٢٦" ويقول أيضاً لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان "مت ١٢ : ٣٧".

٣٦- حـــرم علـــى الراهب أن يكثر من الكلام لأنه مكتوب كثرة الكلام لا تخلو من معصية "ام ١٠ : ١٩".

٣٧- حرم على الراهب أن يكون مسرعا فى الكلام لأنه مكتوب لا تعجل بفمك ولا تسرع بإخراج ما يجول بخاطرك أمام الرب - ولذلك يجب أن يكون كلامكم قليلا "جا ٥ : ٤".

٣٨- حرم على الراهب الشره والإكثار من الأكل لأنه مكتوب أكل يعقوب وأشبع الجوع فسمن وغلظ وامتد وترك الرب خالقه وابتعد عن الرب حياته "قارن قث ٣٢ : ١٥".

التعليم الديني:

عرفت المناطق الشمالية الشرقية من الحبشة وهى المناطق التى تضم أكبر عدد من مسيحى الحبشة بكثرة أديرتها وكنائسها فتوجد فى الحبشة الآن حوالـــى خمســـة آلاف كنيســـة مـــنها ٢٠٠٠ كنيسة كبيرة و ٣٠٠٠ كنيسة صغيرة. وقد يشمل الدير أحيانا على أكثر من كنيسة. وتوجد فى كل كنيسة كبيرة إما مدرسة واحدة أو أكثر وهى لا تزيد فى المكان الواحد عن عشرة مدارس. والمدارس الموجودة الآن هناك هى حوالى ثلاثة آلاف مدرسة بين كبـــيرة وصـــغيرة. ويشرف المجمع المقدس الأثيوبى على المدارس الدينية كلها منها ٥٧٦ مدرسة تدخل تحت إدارته فعلا وتدخل جميع هذه المدارس تحت إشراف عالم يعينه المجمع المقدس هو الآن ممرى رأس ورق. وعدد الذين يدرسون فى المدارس لا نعرفه بالدقة ولكن عدد الذين يتلقون العلم فى المـــدارس الـــتى يديرها المجمع (أى ٥٧٦) فيبلغ تسعة عشر ألفا ويصرف عليها سنويا حوالى عشرة آلاف من الجنيهات وهذا بخلاف ما يصرف من المحاصيل الزراعية.

ولا يشترط فى هذه المدارس سن معينة لقبول الطالب. وينقسم التعليم فى هذه المدارس إلى أربعة أقسام:

١- قراءة جعز (اللغة الحبشية القديمة وهى لغة الكنيسة) والأمهرية.
٢- زيما (وهى الحان القداس وما يتصل بها).
٣- القنى (قرض الشعر الدينى وهو ثلاثة عشر نوعا).
٤- ترجوامى جعز وأمهرى (أى التفسير).

فبعد أن يتم الطالب دراسة هذه المواد يسمى "ليق" أما دراسة الزيما العليا فعلى من يريد التخصص فيها عليه أن يذهب إلى مدرسة بيت لحم فى مقاطعة بيجامدر، ودراسة القنى العليا توجد فى بعض مدارس فى مقاطعة جودجام، ودراسة الترلجوامى العليا فى أديس أبابا وجندار ودير ليبانوس. ويحتفظ الطالب بعد تخصصه فى إحدى هذه المواد بلقب "ليق" وإذا تخصص فيها كلها يلقب "ليق ممهر" وفى الحبشة الآن قليل من الرهبان الذين تخصصوا فيها كلها.

أما مدة الدراسة فهى:

١- المطالعة (أ) مبتدئون من ٦ أشهر إلى سنة.
(ب) متقدمون من سنة إلى سنة ونصف.

٢- زيما (أ) وداسى مريم (مدائح العذراء) إلى سالست (نوع من الألحان) من سنة إلى سنة ونصف.
(ب) صوم دجو ومعراف (وهى الحان للصوم وللأعياد) من سنة إلى سنتين.
(ج) دجوا وأنقصو (ألحان للسنه كلها) من سنتين إلى ثلاث سنوات.
(د) زمارى ومواسعت ،الألحان للسنة كلها) من سنة إلى سنة ونصف.
(هـ) الأربعة عشر قداسا (لم يبق منها فى الكنيسة القبطية الآن إلا ثلاثة قداسات) من سنة إلى سنة ونصف.
(و) أقواقوم (وهو توقيع الألحان على أربعة أضرب زمامى ومرجد وصفعات وزيق) من سنتين إلى أربع سنوات.

٣- قنى "أ" قنى إلى مقنيات سنة واحدة.

"ب" التوسع فى الدراسة سنة واحدة.

"ج" كيفية التعليم "أجياب" سنة واحدة.

٤- تراجوامى "أ" تفسير العهد القديم من ٤ إلى ٥ سنوات.

"ب" تفسير مصاحفت ليقاونت (كتب العقائد) من ٣ إلى ٤ سنوات.

"د" تفسير مصاحفت منكوسات (كتب الرهبنة الثلاثة) من ٢ إلى ٣ سنوات.

"هـ" تفسير كتب حساب التقاويم من سنة إلى سنة ونصف.

ونرى من ذلك أن الطالب يتخرج بعد دراسة تتراوح بين ٢٥ و٢٦ سنة وهى مدة كافية أن تصل بالطالب إلى درجة كبيرة فى تفهم علوم الدين.

القديسون الاحباش:

كان الرهبان فى الحبشة منذ ظهور المسيحية هناك على اتصال وثيق بالحياة الدينية العامة وقد أظهرت الظروف المختلفة التى مرت بالحبشة رجالا مبرزين من الرهبان اعتبرتهم الكنيسة الحبشية من القديسين وأدرجت سيرهم فى السنكسار الحبشى والكنيسة القبطية لم تعترف إلا بأحدهم هو تكلا هيمانوت كما ذكرنا ولكننا لا نعرف بالدقة الإجراءات الكنسية التى تمت فى الاعتراف بهؤلاء القديسين. ويمكن أن نقسم العصور التى أظهرت هؤلاء الرجال إلى خمسة عصور:

١- العصر الأكسومى وهو عصر المملكة حين كانت عاصمتها أكسوم. وقد دخلت المسيحية فى هذا العصر وأخذت تنتشر بين الأحباش ولذلك تعتبر الكنيسة الحبشية الرهبان الذين نشروا الدين المسيحى هناك من قديسيها وكذلك يرجع الأحباش وضع ألحان الكنيسة الحبشية إلى أحد رهبان ذلك العصر وهو يارد،

وقد اعتبرته الكنيسة قديساً. أما القديس زاميكائيل أرجاوى فهو أشهر القديسين التسعة ويمكن أن نعتبره باخوم الحبشة لأنه أول من أنشأ ديراً للراهبات وآخر للرهبان. ومن قديسى هذا العصر أيضاً الملك كاليب "٥١٤ – ٥٤٢" وهو الذى أعاد المسيحية فى اليمـــن رضـــوخا لطلب البطريرك تيموثاوس الثالث "٥١٨ – ٥٣٦" وقضى على ذى نواس واليهودية فى اليمن وانتقم لشهداء نجـــران. ولمـــا ساعده الله بعجائب كثيرة أرسل تاج ملكه إلى القـــدس ليعلق على القبر المقدس اعترافا منه بفضل الله وزهداً فـــى الدنيا التى تركها ودخل الرهبنة وتحتفل الكنيسة الحبشية بذكراه على أنه مؤسس الرهبنة فى الحبشة.

٢- العصر المظلم وهو من القرن السابع إلى الثالث عشر وقد ظهر فى آخره القديس تكلا هيمانوت حامى الحبشة.

٣- عصر الاضطهاد: قام رجال الدين فى وجه الملك عمد صيون "١٣١٤ – ١٣٤٤" لـــزواجه من أخته، فأخذ الملك فى اضطهاد رهـــبان ديـــر ليبانوس وشردهم وهرب رئيس الدير الاطشجى فيلبيس ومعه كثير من رهبان الأديرة الأخرى إلى أماكن نائيه. وكذلـــك قـــام فى أيام هذا الملك جدل حول تقديس يوم السبت وتحديـــد تاريخ عيد الميلاد. وقد رفعت الكنيسة الحبشية كثيراً ممـــن استشـــهدوا فـــى هذا الصراع إلى مرتبة القديسين منهم أنوريـــوس وأياسو والاطشجى فيلبيس. ويرجع إلى هذا العصر أيضاً بصلوات ميكائيل وأرون العجائبى وفيلبيس من دير بيزان وتلميذه يوحنس وكذلك الملك تيودور الأول "١٤١١ – ١٤١٤" وأهمهـــم القديس أوسكاتيوس مؤسس الرهبنة المعروفة باسمه وقد عاش فى النصف الأول من القرن الرابع عشر.

٤- عصـــر الملـــك زرأ يعقـــوب "١٤٣٤ – ١٤٦٨" وهو عصر ازدهـــار الكنيســـة هـــناك. وكان له فضل كبير فى نشر الدين

وتدعيمه ولهذا رفعته الكنيسة الحبشية إلى مرتبة القديسين كما رفعــت امــرأته وأحــد قــواده وخلفه بأيدى مريم إلى مرتبة القديســين. ومن هذا العصر القديس يصوع أفلاك مؤسس دير أندا سلاسى فى شمال الحبشة والقديس يوناس من ارتيريا وقد عاشا فى أواخر القرن الخامس عشر.

٥- عصر الحروب: كانت الحروب الكثيرة التى نشبت فى الحبشة بين المسلمين والمسيحيين ثم بين الجالا والمسيحيين وما تبعها من جدل دينى بين الأحباش ارثوذكس والكاثوليك الاجانب باعثا علــى إظهــار رجــال صالحين رفعتهم الكنيسة إلى مصاف القديســين مــن بينهم عدد من الملوك مثل لينادنجل "١٥٠٨ - ١٥٤٠" وجلاوديــوس "١٥٤٠ - ١٥٥٩" ويوحــنس الأول " ١٦٦٧ - ١٦٨٢" وبعــض النساء والرجال منهم ولنا بطرس وهى التى وهبت نفسها لحياة الرهبنة وأنشأت شركة للراهبات وماتــت ســنة ١٦٧٢ والقديس زرأ بروك الذى استشهد سنة ١٧٠٥.

مراد كامل



الاديرة الشرقية ودير المحرق

في مستهل عام ١٩٢٩ أهدينا كتابنا عن رحلتنا "في صحراء العرب والأديرة الشرقية" لسعادة مرقس باشا سميكه اعترافا بفضله في إنشاء دار الآثار القبطية – واليوم وقد اتسعت هذه الدار وأصبحت مؤسسة علمية محترمة لها مكانتها الملحوظة بين المؤسسات العلمية الأخرى – يسرنا أن نهدى هذا البحث الموجز لروح مؤسس هذه الدار.

لا أكاد أتصور اليوم أن أكثر من عشرين عاما قد انقضى على زيارتي للصحراء الشرقية وأديرتها، فلا زلت أذكر تماما – وكأن ما حدث بالأمس القريب – كيف صحت عزيمتي عام ١٩٢٧ أنا وزميلي وصديقي الأستاذ زكي تاوضروس على زيارة الأديرة الشرقية، بعد أن زرنا زميلاتها الغربية قبل ذلك ببضعة أشهر، ورأينا فيها ما حفزنا على زيارة بقية الأديرة – ولا زالت الصعوبات التي اعترضت طريقنا لزيارة الأديرة الأولى ماثلة حتى اليوم أمام أعيننا، فلقد كان الخلاف التقليدي بين رجال الدين والشعب على أشده في تلك الآونة، مما جعل المشرفين على الأديرة يتشككون في كل حركة ويسيئون الظن بكل محاولة لزيارة الأديرة، فما بالك بزيارة أديرة بعيدة عن العمران لم يقدم على زيارتها أحد قبل ذلك الوقت.

لازلت أذكر هذا وأذكر كيف نجحنا أخيراً في أخذ التصريح بزيارة تلك الأديرة وفي إقناع المشرفين عليها بعمل الترتيبات اللازمة لزيارتها – ولم يكن للأديرة إذ ذاك سيارات يستطيع المرء أن يستقلها ليصل إلى غرضه في ساعات معدودات ولم يكن من المتيسر أخذ بواخر مصلحة الحدود ليصل المرء إلى الأديرة في يوم أو إثنين بل كان علينا أن نسير بالقوافل ستة أيام في الذهاب ومثلها في الإياب وكان في استطاعة الأديرة وحدها أن تعد العدة لمثل تلك الرحلة الطويلة الشاقة.

نعم لازلت أذكر هذا كله وأذكر كيف بدأنا رحلتنا فى الثانى عشر من نوفمبر من نفس العام، والقافلة مكونة منا ومن أعرابيين وثلاثة جمال خصص احدها لحمل الأمتعة وأعد الأخيران لركوبنا، ولكن كيف لنا أن نحتمل الجمل وركوبه ولم يكن لنا به عهد من قبل، فكان علينا أن نسير بعض الوقت حتى إذا مللنا السير اعتلينا ظهر الأبل مضطرين، فلا نبقى فترة حتى يصيبنا الإعياء من حركتها الاضطرارية التى لا قبل لنا على احتمالها وقتا طويلا، فنعود للسير من جديد، وهكذا أمضينا ثلاثة أيام كاملة ننتقل فيها من السهول المنبسطة للأخاديد المتعرجة ومن الوديان الواسعة للدروب الجبلية الوعرة، حتى يأتى اليوم الرابع فاذا بأسوار الدير تلوح لنا من بعيد ولا تزال تختفى عن أنظارنا كلما هبطنا أحد الأودية ولا تزال تظهر من جديد كلما اعتلينا بعض الآكام حتى ينتصف النهار، فاذا بنا أمام أسوار الدير الشاهقة واقفين عند بابه الضيق نقرع الأجراس ليعلم الرهبان بقدومنا.

ونمضى اليومين التاليين مع هؤلاء الذين هجروا العالم وانقطعوا للعبادة فى تلك الجهة النائية ونستطيع إذ ذاك مشاهدة بعض أجزاء الدير وإعداد العدة لزيارة دير بولا، فلا يكاد يطلع علينا اليوم الثالث حتى نكون فى طريقنا للبحر الأحمر نسير شمالا وجبال القلالة أو القلالى عن يميننا حتى إذا انتهت هذه السلسلة من الجبال انحدرنا جنوباً بمحازاتها من الجهة الأخرى لنمضى ليلتنا قبل بلوغ الدير، وفى اليوم التالى نسير فى بعض الأودية التى لا تلبث أن تضيق وتتعرج حتى لا نستطيع أن نرى الدير إلا قبل وصوله بدقائق.

ولن أنسى ما حييت وعورة الطريق المؤدى إلى هذا الدير ووحشة المكان الذى أقيم فيه، فعلى كثرة ما رأيت من أماكن الصحراء الموحشة وأراضيها المجدبة ودروبها المقبضة فلا أذكر أنى رأيت مكانا تتمثل فيه الوحشة والجذب والانقباض مثلما رأيت فى الطريق المؤدى لدير بولا والمكان الذى بنى فيه، فهو يقع فى نهاية وادى ضيق تكاد تحوطه الجبال العالية من كل جانب وهو إلى هذا بعيد عن العمران بمسافة يقطعها المرء

فى ستة أيام كاملة، لهذا لم نبق به سوى يوما واحداً وودعنا من بعده آباءنا الرهـبان الذيــن أمضــوا السنين الطويلة بين جدرانه وسوف يقضون بقية عمــرهم حــتى يلبوا فى النهاية نداء ربهم، فتستقر عظامهم فى تلك البقعة المقدسة مع عظام من سبقوهم من الآباء القديسين.

ونســير فى نفس الوادى الذى جئنا به حتى إذا ما انتهينا منه شعرنا بأنــنا خرجنا للحياة، ولا تلبث مياه البحر الأحمر أن تلوح لنا من بعيد فنجد فــى الســير حــتى نبلغه فى نهاية النهار، وفى اليوم التالى نمر على نقطة الهجانــة المعــروفة بمرسى ثلمت، ثم احدى منارات البحر لاحمر المسماة بفــنار زعفــرانه لنرى فيها نوعا آخر من النساك الذين يقضون أغلب أيام الســنة بعيديــن عن العالم وما فيه ليقوموا على هداية السفن وإبعادها عن مواطن الخطر وما أكثرها فى البحر الأحمر، وهناك نقضى ليلة فريدة نسير من بعدها طول اليوم حتى نبلغ دير انطونيوس ثانية.

هــناك نمضى ثلاثة أيام أخر صحبة الآباء الرهبان نسمع فيها الكثير عــن تاريخ الأديرة وعن سير الآباء الذين عاشوا بين جدرانها، ونمر معهم علــى كــنائس الديــر وأجزائه المختلفة، وننعم فيها بذلك السكوت الشامل والهدوء الجميل الذى يسيطر على هذه الأمكنة، وبتلك الذكريات الطيبة التى تثيرها الزيارة لهذه الأماكن المقدسة وبودنا لو طال بنا المقام فى تلك البقعة ولكــن الحياة ومشاغلها والعالم وما فيه لا يلبث أن يجذبنا ثانية لنبدأ الرحلة من جديد فنمضى أربعة أيام أخرى نصل فى نهايتها إلى بوش (مركز بنى سويف) حيث بدأنا رحلتنا.

ثمانية عشر يوما قضيناها بين الطريق والديرين لازالت ذكراها عالقة فــى أذهاننا، ماثلة أمام أعيننا، فلقد عشنا فى تلك الأماكن اكثر من شهرين قــبل أن نــراها عــندما أخذنــا نطالع الشذرات التى كتبها رحالة الافرنج وعلمــاؤهم، وعشنا فيها بعد ذلك سنة كاملة نتجول فى طرقها ونطلع على أجــزائها المخــتلفة عــندما أخذنا ندون ما رأيناه، ونثبت ما شاهدناه ونبين

آراءنا فيما كتب عنها وما سمعناه بخصوصها، فلا غرو بعدئذ إن أصبحت صورها واضحة جلية أمامنا، وإن تقادم العهد على زيارتها.

أن مـــن يـــزور هذه الأماكن لابد أن يسرح به الخيال إلى تلك الأيام الخوإلـــى التى عاش فيها مؤسسوها الذين شاءوا وشاءت لهم العناية الالهية أن يهجروا العالم وما فيه من مغريات ويختطوا لأنفسهم فى الحياة خطة لم يتـــبعها أحد من قبلهم – فهذا انطونيوس تتفتح عيناه على الدنيا فيجد نفسه محوطا بمظاهر العز والجاه ولكنه مع ذلك لا يلبث أن يزهد فى الحياة وما أن يدخـــل الكنيسة يوما ليسمع الكاهن يرتل الآية "إن أردت أن تكون كاملا فـــامض وبـــع كل أملاكك واعط للفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعـــنى" حتى يقرر توزيع ما عنده ليذهب إلى الجهة التى تقع عليها اليوم ديـــر المـــيمون (من أعمال بنى سويف) لقربها من مسقط رأسه وهى قمن العروس.

هناك يعيش فى تلك البقعة الخالية من السكان مخصصا نفسه للعبادة الحقـــة ولكـــنه لا يلبث طويلا حتى يوطد العزم على التغلغل فى الصحراء لكـــثرة تـــردد الناس عليه كما تقول إحدى الروايات أو بسبب أنه رأى مرة إحـــدى الاعرابـــيات تستحم مع جواربها فلما نهرها قالت له لو كنت راهبا لسكنت البرية فاعتبر أن هذا القول من الرب وليس من تلك المرأة.

يذهـــب بعدئـــذ إلى جبال القلالة حيث يستقر بجوار عين المياه التى تـــتفجر عند سفح إحدى جباله وهى العين القريبة من موقع الدير الذى بنى علـــى اســـمه فيهما بعد، ويستقر هناك ليجذب الكثيرين إليه ما بين مريض يطلب الشفاء على يديه، ومن زائر يرغب التبرك منه وبين متدين يريد أن يتـــتلمذ علـــيه. وتـــتكون من هؤلاء جماعة ولا يلبث أن يتسامع الناس فى الجهات البعيدة بسيرة القديس وجماعته حتى يفكر الكثيرون فى أن يبتعدوا عـــن حياة المدنية ويخصصوا حياتهم للعبادة وبهذا تظهر الرهبنة لأول مرة فـــى مصر ومنها تنتشر بعدئذ فى العالم كله وبهذا يطلق على القديس بحق لقب أب الرهبان.

وفـــى الوقت الذى كان يعيش فيه انطونيوس محوطا بتابعيه ومريديه عند جبال القلالة كان يعيش فى الجانب الآخر من تلك الجبال شخص آخر قـد اخـتط لنفسه نفس الخطة التى رسمها انطونيوس لحياته، ذلك هو بولا الناسك الذى ولد بالإسكندرية عام ٢٢٨م، قبل أن يولد انطونيوس بنحو ٢٣ سـنة، والذى ذهب إلى البرية قبل أن يذهب إليها أب الرهبان، فالمعروف عنه أنه كان قد ورث عن والده ثروة كبيرة طمع فى امتلاكها أخوه بحسب إحدى الروايات أو زوج أخته بحسب رواية أخرى، وأنه فيما هو ذاهب مع قريـبه إلى الوإلى ليحتكما إليه رأى جنازة أحد الأغنياء فاتعظ به، وللوقت هــرب خـــارج المدينة حيث ذهب إلى الجهة التى اقيم فيها فيما بعد الدير المسمى باسمه، هناك عاش ثمانين عاما متعبداً متقشفا لم ير فيها وجه إنسان ولم يلبس فيها سوى الياف النخيل المجدول، أما قوته اليومى طول هذه المدة فكـــان لا يـــتعدى نصــف خبزه كان يأتيه بها غراب كما تقول بذلك كتب سيرته.

وتحدثـنا نفس هذه الكتب عن مقابلة ذلك القديس بانطونيوس فتقول بأنـــه لما قربت أيامه على الانتهاء سنة ٣٤١م أرسل الله ملاكه لأنطونيوس عند ما هجس بقلبه أنه أول من سكن البرارى فأتاه الملاك وقال له فى رؤيا إن هناك بالقرب منك إنسان لا يستحق العالم موطئ قدميه وبصلاته يرسل الله المطر على الأرض ويأتى فيضان النيل فى وقته، فلما سمع أنطونيوس بذلك قام على الفور ومضى إلى داخل البرية وأرشده الملاك إلى مغارة بولا فدخـــل عليه وسجدا لبعضهما. ولما كان المساء وأتى الغراب بخبزة كاملة قـــال بـــولا "الآن علمت أنك مرسل من عند الله لأنه لى اليوم ثمانون سنة يرســل إلـــى "الرب نصف خبزة كل يوم وهو ذا قد أرسل لك طعامك" ولا ينقضـــى وقت طويل حتى يفارق الحياة ويواريه انطونيوس التراب ويعود لتلامــيذه ليحدثهم عن القديس وتقشفه وتواضعه وتمضى بعدئذ أربعة عشر عاما حتى يلحق بزميله فى الدار الآخرة.

وكمـــا ارتبط القديسان إبان حياتهما برابطة الأخوة الروحية فلقد بقى الديـــران اللذان سميا باسميهما مرتبطين فى أكثر الأوقات – فمما لاشك فيه

أن الديريـــن قد بنيا فى وقت متقارب عقب وفاة القديسين بوقت قصير ومن المســـلم به أن الفضل يرجع للإمبراطور يستينيان "حوإلى عام ٥٣٧م." فى تعمــير الديريــن وزيادة مساحتيهما وإقامة الكثير من أبنيتهما ولو انه من المعلوم انه قام بذلك العمل من أموال الأوقاف التى استولى عليها.

يمر على الديرين بعدئذ عصر مظلم لا نكاد نعلم فيه شيئاً عنهما حتى يــأتى عــام ١٤٨٤م. فــيهجم البدو على الرهبان ويقتلوهم ويستولوا على ممتلكاتهم ويبقى الديران خربين مهجورين حوإلى ثمانين عاما إلى ان يأتى الانبا غبريال السابع وهو الخامس والتسعون فى عداد بطاركة الإسكندرية " ١٥١٨ – ١٥٦١م" فــيقوم بترميمهما وتعميرهما برهبان الأديرة الأخرى. وبعد ذلك بحوإلى قرنين يجرى المعلم إبراهيم الجوهرى بعض الزيادات فى كلا الديرين مع إصلاح ما تهدم من أجزائهما وفى القرن الماضى يقوم الأنبا كيرلس الرابع أبو الإصلاح بعمل إصلاحات واسعة فى دير انطونيوس. فلقد كــان هذا البطريرك مغرما بالإصلاح فى كل ناحية فليس بغريب أن يوجه اهــتماما أعظم لذلك الدير الذى قضى فيه أيام رهبنته، لهذا تراه يقيم سوراً ضخماً يضم فيه للدير مساحات واسعة حتى يغدو أكبر الأديرة كلها مساحة – وفــى دير بولا يقوم الأنبا خريستوذولس ببعض الإصلاحات. فلقد قضى هذا المطران أيام رهبنته فى هذا الدير فلما عين مطرانا للقدس لم ينس ديره فقام بعمل الأسوار التى ضمت بعض المساحات للدير.

مــن هــذا نــرى أن الأدوار التى اجتازها الديران تكاد تكون واحدة ويــبدو أن وجــود الديرين فى جهات متقاربة وفى أمكنة متشابهة محاطين بعربان قبيلة واحدة كان سبباً فى تشابه الحوادث التاريخية التى مرت بهما، وقــد حدثــنا بعــض الرهبان إن إدارة الديرين كانت حتى منتصف القرن الماضــى، تتبع هيئة واحدة، وكان الرهبان فيهما ينتقلون من دير إلى آخر حســب أحوالهم، فكان الشبان الذين ينخرطون فى سلك الرهبنة يذهبون تواً إلى دير بولا حيث يخدمون الشيوخ، ويستفيدون من تعاليمهم، فإذا ما بلغوا سناً معيناً ودرجة جيدة من العلم والمعرفة تركوه إلى دير أنطونيوس حيث

يعيشـــون مع الرهبان الحديثى السن، إلى أن يبلغ الراهب السن الذى يحتاج فيه للراحة فيذهب ثانية إلى دير بولا.

وهـــذان الديران يتشابهان فى مظهرهما العام وان اختلفا فى تفاصيل أبنيـــتهما، شأنهما فى ذلك شأن الأديرة الأخرى، فمن المعروف أن كل دير يحتوى على عدد من القلالى والكنائس وعلى الحصن القديم والمكتبة وقصر الضـــيوف الحديـــث والحديقـــة والمخازن والمائدة والناقوس والساقية التى يـــرفعون بها المياه فى الأديرة الغربية وعيون المياه التى تخرج من الجبل فى الأديرة الشرقية.

غـــير أن هذه تختلف باتساعها وكثرتها باختلاف أهمية كل دير. ففى دير انطونيوس ومساحته ١٨ فدانا تقريبا تجد عدد القلالى أو غرف الرهبان كثـــيرة لكثرة رهبانه ونجد أن به خمس كنائس لعل أهمها الكنيسة المسماة بأســـم القديس فلقد بنيت فى حياة القديس أو بعد وفاته بقليل كى يجتمع فيها اتباعه للصلاة والعبادة واستمرت حافظة لشكلها رغم تعاقب الأجيال ورغم النزاع الذى قام بين الرهبان الملكيين واليعقوبيين ورغم تخرب الدير أيضا بواســـطة البدو وسكناهم إياه مدة طويلة، ولعل السبب فى عدم تخريب هذه الكنيسة راجع إلى العقيدة الثابتى فى قداسة مؤسس الدير – تلك العقيدة التى لا تؤمن بها طوائف المسيحية فحسب بل لعربان أيضا فى تلك الجهات حيث كانوا ولا زالوا يعتبرونه حاميهم فى البرارى والقفاز.

وإلى جوار هذه الكنيسة توجد كنيسة الرسل أو كنيسة بطرس وبولس وهى كنيسة كبيرة بناها من يدعى لطف الله شاكر فى القرن الخامس عشر كمـــا تدلـــنا على ذلك إحدى الكتابات بالكنيسة نفسها – وهناك أيضا كنيسة العـــذراء وهـــى مبنـــية فى الطابق الثانى ثم الكنيسة الجديدة وقد بناها أبو الإصلاح وتعد من أفخم كنائس الأديرة ولو أنها لم تستعمل للآن لأنها لم تبن متجهة للشرق تماما – ثم كنيسة الملاك بالحصن القديم.

أيضا الكنيسة التى بنيت على أسم مؤسس الدير وتمتاز بغرابة موقعها فهـــى مبنية على بعد ثلاثة أمتار تحت سطح الأرض فى نفس المغارة التى

عـــاش فـــيها القديس – وليست الكنيسة كلها مبنية، فأن سقف الهيكل القبلى والأوسط من الجبل نفسه – وهذه الكنيسة يرجع عهدها إلى وقت بناء الدير او قبله بقليل، وذلك لأن الرهبان عندما استقر بهم المقام هناك لابد وأنهم قد بـــنوا كنيسة يجتمعون فيها للاشتراك فى الصلوات العامة، ولم يكن أمامهم أنســـب لذلـــك الغــــرض من مكان المغارة التى صرف فيها القديس الجزء الاعظم من حياته.

وفـــوق هذه الكنيسة توجد كنيسة أخرى سميت بأسم أبى سيفين وقد شيدها المعلم إبراهيم الجوهرى فى أواخر القرن الثامن عشر كما تدل على ذلك الكتابة المسجلة على أحد أبواب الكنيسة، وإلى هذا توجد كنيسة الملاك وهى تشبه إلى حد كبير كنيسة الرسل بدير انطونيوس، ولعل ذلك يدل على انهمـــا بنيا فى وقت واحد، أما الكنيسة الرابعة فموجودة فى الحصن القديم وهى مكرسة على اسم السيدة العذراء.

وأهـــم مـــا فى الأديرة جميعا بعد الكنائس هى الحصون القديمة التى أقيمـــت ليلجأ اليها الرهبان عندما يقتحم الاعداء عليهم الدير – هذه الابنية الضخمة الشاهقة يخيل للمرء إذا نظر اليها وهى مغلقة وكأنه ليس بها باب ولا نـــافذة، ولكن الواقع ان لها باباً فى الدور الأعلى، أمامه كوبرى يتحرك طـــرفه عـــند الحصن أو يمكن تثبيت طرفه الآخر على بناء عال مواجه، وعلـــى هذا الكوبرى يمكن للزوار ان يدخلوا الحصن، ولكنه اذا ما رفع سد الـــباب ســـداً محكما واصبح من المتعذر على أى شخص دخول الحصن – وبهذا يستطيع الذين فى داخله أن يعيشوا آمنين ويستطيعون أن يبقوا به مدة طويلـــة دون حاجة للخارج ففيه فى العادة بئر للمياه – وفيه مخازن للمأكل وإلى هذا ففيه كنيسة يستطيعون أن يقيموا فيها صلواتهم.

ويغلب أن تكون المكتبة فى هذا الحصن – فلقد كان ولا زال الرهبان يعتزون بمخطوطات ديرهم فكانوا يحفظون كتبهم فى مكان أمين بالحصن – علـــى أن بعـــض الأديرة يحفظ كتبه الآن فى إحدى الحجرات القريبة من القلالـــى لـــتكون فـــى متـــناول يد الرهبان – وبدير انطونيوس كثير من

المخطوطـــات ولكـــن قـــل منها ما هو قديم وأغلبها إن لم يكن كلها يرجع تاريخهـــا إلى ما بعد تعمير الدير فى القرن السادس عشر وهو ما نلاحظه كذلك فى المخطوطات القليلة الموجودة فى دير بولا.

وإلى هذا ففى كل دير نجد مخازن الوقود ومخازن الغلال والطاحون الـــذى يستعمل لأحالة الغلال إلى دقيق والفرن والمائدة وهى بناء مستطيل مقبـــب يتناول فيه الرهبان غذاءهم أيام الصوم الكبير بينما يتلو أحدهم احد فصول الكتاب المقدس.

والمائدة تقع فى الوسط من هذه الحجرة مرتفعة عن أرضيتها بحوإلى المـــتر وعلـــى جانبها مقعدان يمتدان بامتداد المائدة وقد بنيت جميعها من الحجر أو الآجر.

وفـــى كـــل دير حديقة يزرع بها بعض الخضروات والفاكهة. ولعل أكـــبر الحدائـــق فى الأديرة حديقة دير انطونيوس - كما انه يوجد بجوار الحديقة الناقوس أو القبر حيث مدفن الرهبان الذين يموتون فى الدير - وفى أغلـــب الأديرة الآن مبنى حديث مجهز بكل وسائل الراحة لنزول الضيوف ويشـــذعن هـــذا ديـــر بولا حيث لا يوجد به إلا حجرة واحدة تستعمل لهذا الغرض ولعل السبب فى ذلك راجع لقلة الوافدين على هذا الدير.

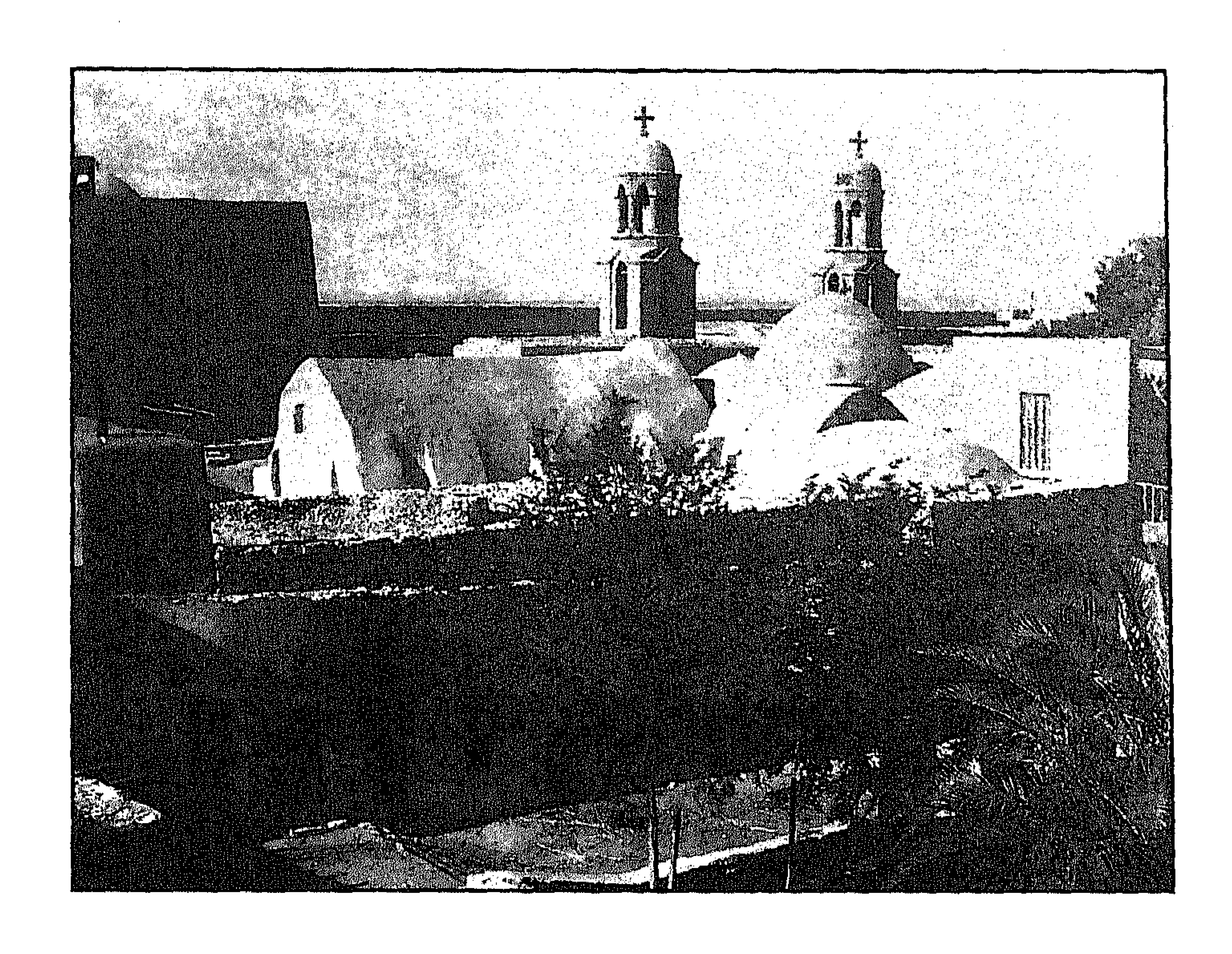
بقى أن نقول كلمة عن الدير المحرق وتاريخه واهميته، والكلام عن هـــذا الديـــر وتاريخه قليل، فمعلوماتنا عنه ضئيلة لا تشفى غلة ولقد وضع القمـــص عـــبد المســـيح (الأنبا لوكاس مطران منفلوط الحإلى) كتابه "بلوغ المـــرام" لخص فيه تاريخ هذا الدير ومنه نستنتج انه قد بنى فى زمن الأنبا باخومـــيوس أب الشـــركة فى الجهة التى وصلت إليها العائلة المقدسة فى هروبها من وجه الملك هيرودس عندما التجأت إلى الجبل الذى يسمى جبل قســـقام ومعـــناها بالقبطـــية كفن الحلفاء نسبة إلى أن الأهإلى كانوا يكفنون موتاهم بالحلفاء كما يقول ابو صالح الارمنى.

وأقدم ما فى هذا الدير الحصن القديم الذى انشىء عام ٧٥٠م. ورسم فى عهد الخلافة الحافظية والمعروف ان به كنيسة بأسم الملاك ميخائيل قد

أعـــاد بناءها الأنبا غبريال البطريرك الخامس والتسعون فى القرن السادس عشر للميلاد.

على انه رغم عدم قدم هذا الدير وابنيته فان من يمر به اليوم لا يسعه إلا أن يعجــب بضخامة أسواره وبجمال مبانيه - ويرجع تاريخ إقامة هذه الأسوار وهذه المبانى إلى نحو ثلاثين سنة عندما قام الأنبا باخوميوس أسقف الديــر بتجديد الدير بناء على التصميمات التى وضعها المسيو بارتريكولو كبير مهندسى لجنة الآثار العربية والسير سومارز كلارك الأثرى الانجليزى المعروف.

لبيب حبشى



الاديرة الغربية

إن مـــن يســـافر بالســـيارة مـــن الإســـكندرية إلى القاهرة بالطريق الصـــحراوى، لا يدرى أنه على بعد بضعة كيلو مترات من مبنى استراحة شـــل، توجد منطقة لها قيمتها التاريخية لما تزخر به من الذكريات المملوءة بالتضحية والصبر والجلد والإيمان، وذلك فى سبيل تحقيق فكرة معينة هى تجريد الجسد من نعيم الحياة وتكريس النفس للتقشف والعبادة. وهذه المنطقة يخـــف لـــزيارتها كثير من المسيحيين من مختلف بقاع العالم للوقوف بين أطلالهـــا يســـتعيدون المجـــد الغابر ويتبركون بهذه الأراضى المقدسة التى وطئـــتها أقدام الآباء القديسين: انطونيوس وآمون ومقاريوس. هذه المنطقة هـــى المعـــروفة بأســـم وادى الـــنطرون، وهو واد مستطيل منخفض فى الصحراء الغربية يتجه من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى، ويبلغ طوله ٦٠ ألـــف متر ومتوسط عرضه ١٠ آلاف وأحط منسوب فيه، وهو بالطبع منســـوب بحـــيراته، ٢٢ متراً تحت سطح البحر. وتبلغ المسافة من طرفه الجنوبى الشرقى إلى القاهرة ٨٠ ألف متر ومن طرفه الشمإلى الغربى إلى مدينة الإسكندرية ٨٥ ألف متر. وماء بحيراته ملح ويقال إن جزءاً من مائها مســـتمد مـــن ماء النيل بدليل أنها تزيد فى زمن فيضانه وتنقص فى وقت الـــتحاريق حـــتى أن بعضها يجف جفافاً تاماً فى فصل الصيف[1] ويمكن الوصـــول إلـــى ذلك الوادى بالالتفاف حول مبنى الاستراحة والانحدار فى طـــريق معبد يبلغ طوله حوإلى ثلاثة كيلو مترات حتى تصل إلى الهوكرية وهـــى محطة الوادى وبها شركة الملح والصودا التى تستخرج الصودا من الـــنطرون الموجود فى الملاحات المنتشرة فى الوادى. وعلى أبعاد مختلفة من الهوكرية توجد أربعة أديرة عامرة بالرهبان الأقباط.

---

[1] كتاب أديرة وادى النطرون للأمير عمر طوسون صفحة ٤.

وقبل أن نتكلم عن هذه الأديرة وتاريخها وأبنيتها يحسن بنا أن نلقى نظرة سريعة على منشأ الرهبانية فى مصر. لما بزغ نجم الدين المسيحى فى مصر سطعت معه أنوار الرهبنة نتيجة لتعاليم هذا الدين الجديد التى تدعو إلى عبادة الله والانفراد لها والعفة والفقر الاختيارى أى التجرد والزهد فى الدنيا والطاعة، وهى أركان الرهبنة الأساسية وظلت هذه الحركة تنمو متطورة من نظام التوحد والانفراد إلى نوع من الاشتراك والتعاون ثم إلى نظام الشركة الباخومية فلما كان القرن الرابع الميلادى الذى يعتبر العصر الذهبى للرهبنة المصرية وصلت الحركة إلى القمة من حيث الرقى والانتشار، وليس أدل على ذلك من أنه عاش فى هذا القرن من الزمان زعماء الرهبنة المصرية الأساسيون وهم انطونيوس (٢٥١ – ٣٥٦) ومقاريوس (٣٠٠٠ – ٣٩٧) وباخوميوس (٢٩٢ – ٣٤٨). أما فيما يختص بمنطقة وادى النطرون فقد كانت قديماً تشتمل على ثلاثة مراكز ديرية رئيسية هى نتريا وسيليا والأسقيط.

أما عن مستعمرة نتريا Nitria فقد تأسست على يد آمون الذى تعتبر قصة حياته من أمتع القصص. فقد ولد من عائلة ذات جاه ومال وأصبح يتيما وهو فى سن مبكرة وعندما بلغ سن الرشد أجبره أحد أقربائه على الزواج، فلما تم زواجه أقنع امرأته الشابة بضرورة العيش معه عيشة طاهرة. وهكذا كانا يعيشان فى الظاهر وأمام الناس زوجين ولكنهما كانا يقضيان ليلهما ونهارهما فى السهر والصلاة مدة بلغت ثمانية عشر عاما قررا بعدها الانفصال. وحوالى عام ٣٢٥م أوى آمون إلى جبل نتريا حيث بدأ حياة الوحدة والعزلة. ولم يلبث أن ذاع صيته وانتشر أمر قداسته فتجمع حوله كثيرون من المعجبين بنسكه ووحدته. وهكذا وجد نفسه مضطراً إلى تنظيم الجماعة التى التفت حوله وكان ذلك فى فجر القرن الرابع الميلادى. ولما كثر عدد الأخوة فى جبل نتريا ورغب بعضهم فى بناء قلالى بعيداً

عنه، كى يكونوا فى سلام توغلوا فى الصحراء إلى سيليا Cellia التى تبعد عن نتريا بمسافة أثنى عشر ميلا تقريباً[١].

وبذلـك فقدت نتريا أهميتها وحلت محلها سيليا التى تدين فى شهرتها إلــى مؤسســها أبــو مقــار الإســكندرى[٢] ولد فى الإسكندرية فى بداية القــرن الرابع وكان أبواه فقيرين ولأجل ذلك خدم خبازاً بضع سنين ثم أخذ يعمــل الفطائــر ويبيعها لأجل ضرورة معيشته. ثم خرج من الإسكندرية وابــتعد عنها وانزوى فى برية مخيفة حيث أخذ يتدرب على التقشف لمدة ســبع سنوات. وفى الثلاث سنوات التالية اقتصر على كل أوقتين من الخبز فــى كــل يوم. وكان يصرف كل ليلة مرتلا للتسابيح أو متأملا. ولما ذاع صيته ألتف حوله كثير من التلاميذ وبنوا لأنفسهم كثيراً من القلالى[٣] حتى سميت المنطقة بأسم برية القلالى أى سيليا. والتزم أبو مقار أن يرشدهم إلى طــريق الكمال. وقد حدث أن نفى القديس على يد الملك والنس الذى يدين بمذهــب آريوس إلى جزيرة وثنية، فبشر فيها بالمسيحية فأخرجه الوثنيون وردوه إلــى بريته الأولى ثم مات فى أواخر القرن الرابع وكان عمره تسعاً وثمانين سنة.

ثــم مالبــث أن انســحب بعــض الرهبان الذين رغبوا فى المعيشة بالصـــحراء المطلقة إلى المركز الثالث ألا وهو الاسقيط Scete الذى يدين فــى شــهرته إلــى مؤسسه أبو مقار المصرى. ولد فى فجر القرن الرابع بالوجه البحرى من أبوين بارين، زوّجاه بغير إرادته فذهب إلى البرية بحجة تبديل الهواء ومكث هناك يطلب من الله أن ينقذه من زوجته واعدا أن يخدم مذبــح الله طيلة حياته. فلما رجع وجد زوجته قد توفيت وهى عذراء. وبعد قلــيل توفــى والده فوزع كل ما ورثه على الفقراء وانفرد فى كوخ خارج

---

(١) Mareotis: De Cosson p. 47 ويقول أيضا فى صفحة ٤٩ إن طعام رهبان سيليا كان يأتى اليهم من نتريا التى تقع على مسافة ١٠ أو ١٢ ميلا رومانيا (أى حوالى ١٩ كيلوا مترا).

(٢) هناك كثير من القديسين تسموا بهذا الاسم ولكن اشهرهم ثلاثة وهم أبو مقار المصرى (الكبير) وأبو مقار الاسكندرى، وأبو مقار أسقف إدكو.

(٣) كلمة يونانية معناها حجرة وأحيانا يطلق على حجرة الراهب (الكيبية) وقد وردت هذه الكلمة فى حديث أحد الأخوة الرهبان مع أنبا بيمين.

الـبلدة ناسكا متعبدا متقشفا وكان ذلك فى عام ٣١٥م. وفى عام ٣٣٠م اتهم باطلا بفعل الدنس مع امرأة، ولما تبين عدم صحة هذه التهمة وجاء الأهالى يعــتذرون له تــرك مكانـــه إلى الاسقيط ليسكن فيه وهناك قصده كثير من النســاك والمتعبديــن للانتفاع بإرشاداته فقبلهم وبنى لهم الدير الشهير الآن بديــر برموس نسبة إلى القديسين الرومانيين مكسيموس ودوماديوس أولاد الملـــك لانديوس ملك روماء، اللذين كانا قد قبلا الرهبنة تحت تدبير القديس. وبعــد قليل ترك القديس ذلك الدير وذهب إلى جهة تبعد ٢٠ كيلو مترا إلى ناحــية الجنوب الشرقى وابتنى له ديرا آخر مازال موجودا حتى الآن وهو المعروف باسم دير أبى مقار. ولما أكمل جهاده مات فى التسعين من عمره فى عام ٣٩٠م تاركا خمسين عظة عدا رسائل عديدة.

بناء الأديرة:

وممــا يجــدر بالملاحظـــة أن الأديرة فى ذلك العهد السحيق لم تكن بالشــكل الــذى نراه اليوم، وإنما كانت عبارة عن قلالى متفرقة مبعثرة فى الصحراء تلتف حول الكنيسة التى كانت تعتبر المركز الرئيسى الذى كانوا يجتمعون فيه للصلاة وتناول الأسرار المقدسة. فكان يطلق على مجموع هذه القلالى وتلك الكنيسه اسم دير. واستمر الحال على ذلك حتى أصبح الرهبان فــى خطــر مــن اللصوص والبربر الذين كانوا يهاجمونهم للسلب والنهب والقتل. فاضطروا إلى التجمع وبناء سور حولهم يحميهم شر تلك الهجمات، فظهــرت الأديــرة لأول مرة كما نراها اليوم. وقد ساهم بعض الملوك فى بــنائها لأســباب مختلفة نذكر منهم الملك أركاديوس والملك زينون وكذلك الآباء البطاركة والأساقفة ورؤساء الأديره.

وقــد كانـــت هــذه الأديــرة كثيرة العدد تضم آلاف الرهبان ولكنها قــد اندثــرت وأصــبحت أطلالا ولم يبق منها الآن سوى أربعة وهى من الشمال إلى الجنوب: دير براموس ودير السريان ودير أنبا بيشوى ودير أبى مقار.

دير براموس

موقــعه: يقع فى الطرف الشمالى الغربى لوادى النطرون غربى الملاحات ويــبعد بمســافة ثمانية كيلو مترات تقريباً عن الهوكرية. وكلمة بــرموس[1] كلمة يونانية معناها الروم أى دير الروم ويقصد بذلك مكسيموس ودوماديوس اللذان عاشا هناك فى أواسط الجيل الرابع كما عرفنا من سيرة القديس مقاريوس، فلما ماتا بنى دير براموس فى مكانهما وسماه أبو مقار باسميهما.

مساحته: وتبلغ مساحة الدير نحو فدانين وأربعة قراريط وطوله من الشرق إلــى الغرب مائة متر وعرضه من الشمال إلى الجنوب ثلاثة وثمانون مــتراً. ويــتجه بابــه إلى نحو الشمال. ولا يفتح الباب إلا عندما يدق الجرس المعلق بأعلاه، فيصعد الفاتولى[2] إلى أعلا البوابة حيث حجرة المطعمـــة (حجرة لأطعام السائلين) ليعرف شخصية الطارق، فإن كان أحــد الأعراب أرسل له الخبز بداخل مقطف صغير معلق بحبل يلقيه إلــيه مــن طاقــة بخارج البوابة لينصرف، وإن كان أحد الرهبان من الأديرة الأخرى أو أحد الزوار فيفتح له بعد أخذ الأذن من الربيتة[3].

مــبانيه: والسور يضم مبانى الدير التى تنقسم إلى قسمين رئيسين واضحين كـــل الوضوح، قسم المبانى القديمة الأثرية وقسم المبانى الحديثة. أما عن القسم الأول فهو يشمل:

---

(1) يحاول البعض أن يجد تفسيرات أخرى لكلمة برموس العربية نذكر منها: البار موسى أى دير البارموسى. أو قبل موسى أى أنه بنى قبل دير موسى. ولكن مما لا شك فيه أن التفسير الأول هو التفسير الصحيح.

(2) هى كلمة قبطية من بين بعض الكلمات أو التعبيرات التى لا زالت تستعمل فى الأديرة القبطية حتى اليوم، ومعناها الرافع. فقديما فى وقت الاضطهادات لم تكن الأديرة تستعمل البوابات خوفا من هجمات البربر وانما كانت تستعمل الرافعة لرفع الراهب من الخارج وإدخاله إلى الدير. فكان يطلق على من يقوم بهذه العملية اسم الفاتولى ويمكن أن نسميه – تجاوزا – بواب الدير.

(3) تتكون من (راب) أى كبير، (بيتا) أى البيت. فمعناها كبير البيت. وهو الذى ينوب عن رئيس الدير ويسمى أحيانا (أمين الدير) ويطلق عليه فى نظام باخوميوس اسم أقنوم الدير وهى أيضا كلمة قبطية.

القصـــر القديـــم: ويتكون من ثلاث طبقات، وبابه يوجد فى الدور الأوسط والدخـــول إليه بواسطة قنطرة ترفع وتنزل ببكر وسلاسل مـــن حديد وتتصل بجدار آخر بواسطة سلم أو درج. وقد عملت قصور جميع الأديرة بهذه الطريقة الصعبة للالتجاء بداخلهـــا وقـــت هجوم العرب أو البربر عليها بغية النهب والســـلب وإهـــراق دماء من يكون فيها. ولذا فالقصر معد لإقامة الرهبان. ففى الدور الأسفل منه توجد بئر للمياه، ثم فى الدور الأوسط توجد قلالى كثيرة للرهبان وأخرى لخزن الطعـــام، وفـــى الدور العلوى توجد كنيسة الملاك ميخائيل لاعتقادهم أن الملاك يحمى الدير من شر هذه الهجمات.

الكـــنائس وهـــى أربعة: (١) كنيسة العذراء وهى قديمة أثرية ويلاحظ أن أغلبية الأديرة بها كنيسة بأسم العذراء حيث يظن أن السيدة العذراء والدة الإله قد وطأت أقدامها المقدسة هذه الأراضى المـــباركة، كما أنها تعتبر أعظم جميع الشهداء والقديسين. وتـــبلغ مساحة هذه الكنيسة ١٢٠٠ متراً مربعاً ويغطى صحنها قبو من الطوب، وتقع الهياكل فى الجهة الشرقية وتعلوها قباب ويفصـــل صحن الكنيسة عن الجناحين القبلى والبحرى صفان من الأعمدة الرخامية. وفى صحن الكنيسة يوجد اللقان[١] وهو حـــوض من حجر مربع الشكل. ويوجد فى هذه الكنيسة عمود أثـــرى يعـــرف بأســـم عمود أرسانيوس، لوجود نقوش عليه عملهـــا القديس أرسانيوس. وقد ورد فى سيرته: "أنا ذهبت إلى دير برموس وعملت نقوشاً على عمود لى هناك تذكاراً لـــى". وكان هذا القديس معاصراً للقديس مقاريوس الكبير وكانت له مغارة بجوار هذا العمود.

وفى هذه الكنيسة تقام الصلاة طول مدة الصوم الكبير.

---

[١] اللقان عبارة عن فسقية تملأ بالماء المقدس يوم خميس العهد من كل عام ويغسل الكاهن ارجل بعض أفراد الشعب إقتداء بالسيد المسيح الذى غسل فى ذلك اليوم أرجل تلاميذه.

٢- كنيسة الشهيد مارجرجس، وتقع فى داخل كنيسة العذراء من الشمال الغربى وتبلغ مساحتها خمسة وعشرين متراً مربعاً.

٣- كنيسة الامبرتادرس وتقع فى داخل كنيسة العذراء ايضاً من الشمال وتبلغ مساحتها خمسة وعشرين متراً مربعاً ويوجد بها رفات الأنبا موسى الأسود والقس إيسيذاروس[١].

٤- كنيسة الملاك ميخائيل فى أعلى القصر القديم وقد سبق الكلام عنها. على انه يحتفل فى هذه الكنيسة بعيد الملاك ميخائيل، فتقام الصلاة ليلة العيد حتى صباح اليوم التالى بدون انقطاع.

٥- المنجلية والمائدة: وكلاهما فى داخل كنيسة مارجرجس، والمنجلية "١"[٢]مصنوعة من حجر أبيض منحوت طولها ١٢٧ سم وعرضها ٤٧سم وكانت تستعمل للقراءة أثناء تناول الطعام، وكان القارئ هو الربيتة والمائدة مستطيلة الشكل طولها ١٤ متراً وعرضها متر واحد ومقسمة إلى ثلاثة أقسام يفصل بين كل قسم وآخر مجرى مفحور لوضع ما يلزم أثناء الاستعمال. وكان القسم الأول من جهة الشرق مخصصاً لجلوس الشيوخ والرؤساء، والثانى للكهنة والقسوس، والثالث للرهبان. ولم تعد تستعمل لهذا الغرض لأن كل راهب يتناول طعامه فى قلايته بمفرده على أنه يكتفى بوضع الخبز عليها ليتناول أى راهب كفايته منه عند الحاجة.

حجرة الملح والأباركة: وهى فى نهاية المائدة وعن يمينها توجد حجرة الأباركة وبها معصرتان تستعمل إحداهما الآن كما توجد بها أدوات عصر الزبيب وقدور تعبأ فيها الأباركة التى يستعملونها فى القداس فقط. ويقوم رهبان دير براموس بعملها بأنفسهم فى هذه الحجرة على الطريقة

---

(١) ولد فى العقد الثالث من الجيل الرابع ولا يعرف مكان ولادته، غير أنه معروف بأنه مصرى الجنسية وقد ترهب بالاسقيط ولفضله انتخبوه قسا للاسقيط. واشتهر بعطفه على الرهبان وصبره على تعليمهم. ولذلك تجمع لديه عدد من الرهبان ليس بالقليل فى مدة وجيزة. فبنى لهم ديرا بمساعدة القديس موسى الأسود وهو احد تلاميذه وافضلهم فسمى الدير باسمه. (أنظر موضوع الأديرة الخربة للعلامة الأب القمص يعقوب مويزر فى نفس المجلة تحت اسم "دير ابو موسى الأسود".

(٢) هى كرسى القراءة وهى على شكل Y وقد نحت على أحد جوانبها صليب جميل الشكل.

القديمة تماما. أما حجرة القربان فهى أيضاً من الأبنية القديمة ولكنها خارج كنيسة مارجرجس.

أما المباني الحديثة فتشمل:

١- كنيســـة يوحـــنا المعمـــدان وتقع بين الحديقتين البحرية والقبلية. وقد شيدت على أنقاض كنيسة أنبا أبلو وأنبا أبيب وذلك فى عام ١٨٨٤م "١٦٠٠ش" وقــد كتــب هــذا التاريخ على بابها البحرى. ثم أجرى إصـــلاح وتجديــد فى هيكلها بدليل ما كتب على حجابها الجديد من الداخل: الكنيسة الجديدة (ويقصد بذلك الهيكل الجديد) شيدت فى عهد غـبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكـــرازة المرقسية فى عهد رئاسة القمص يوحنا[١] عام ١٦٢٦ش "١٩١٠م". وفـــى هذه الكنيسة تقام الصلاة طول العام عدا أيام الصوم الكبير.

٢- القصـــر الجديد ويعد لنزول الضيوف والزوار الذين يقومون بزيارة هذه الأماكن المقدسة. وقد شيد عام ١٦٢٧ش "١٩١١م".

٣- الحدائـــق وماكيـــنة المـــياه: يوجد فى دير برموس حديقتان إحداهما بحـــرية والأخـــرى قبلية ويقوم فيهما الرهبان بزراعة بعض أشجار الفاكهـــة والخضـــروات ويتعهدونها. وقد وضع القمص برنابا[٢] فى الحديقـــة الـــبحرية ماكينة لرفع المياه وتستعمل أيضا لطحن الغلال وتوليد الكهرباء التى أدخلوها فى الكنيستين الشرقية والغربية والقصر الجديد على نفقة الأنبا يؤانس عام ١٩٣١م "١٦٤٧ش".

٤- المكتـــبة: وتضـــم ما أمكن المحافظة عليه من الكتب والمخطوطات القيمة من يد العبث وهى تتألف من ثلاثة مجموعات رئيسية: تاريخية ولاهوتية وطقسية وقد قامت إدارة المتحف القبطى باحصائها وعملت

---

[١] هو الأنبا يؤانس التاسع عشر وقد بناها على نفقته الخاصة.

[٢] الرئيس السابق للدير. وقد انتخب مجمع رهبان الدير، القمص أرمانيوس البرموسى رئيسا لهم وذلك فى شهر مارس عام ١٩٤٨.

لها فهارس على النظام الحديث. ولم يكن يسمح فيما مضى لأى زائر بالاطلاع على المكتبة خشية النهب أو السرقة على أنه صرح أخيراً للمهتمين بالتاريخ الكنسى والباحثين فى تاريخ الرهبنة بالإطلاع على تلــك المخطوطــات بشرط الحصول على تصريح رسمى بذلك من غبطة البطريرك.

ويــبلغ عــدد الكتــب الموجودة بها ٤٧٢ مخطوطاً و٢٨٩ مطبوعاً موزعة كالآتى:

الصـــــــــــــنف	المخطوط	المطبوع
١- أجزاء الكتاب المقدس (العهدان القديم والجديد).	٢٩	٩٦
٢- كتب لاهوتية	١٠٨	١٠٣
٣- كتب تاريخية	٤٧	٢٠
٤- كتب كنسية (طقسية)	٢٧٢	٦٠
٥- كتب منوعة	١٦	١٠
المجموع	٤٧٢	٢٨٩

ويــرجع تــاريخ أقدمهــا إلى سنة ١٠٩٦ش (سنة ١٣٨٠م). وأغلب الكتب نسخت فى عهد الأنبا كيرلس الخامس[1] هذا فضلاً عن المكتبة التى تركها القمص عبد المسيح المسعودى وهى موضوعة فى دواليب خاصة بها ومكتوب عليها (خزانة المسعودى) وهى تشمل عدة كتب ومراجع قيمة فى عدة لغات.

٥- المنارتان: وهما فى مدخل الحديقة البحرية، وقد بنيت هاتان المنارتان علــى نفقة نيافة الأب الجليل والحبر النبيل الأنبا توماس مطران المنيا والاشمونين عام ١٦٣٧ش (١٩٢٠) فى عهد رئاسة القمص مينا.

---

[1] يرجع الفضل فى جمع اشتات الكتب الخطية وترميمها وتجليدها إلى الأنبا كيرلس الخامس وهو من رهبان هذا الدير فى القرن التاسع عشر.

٦- القلالـــى الخاصـــة بإقامة الرهبان وتتكون من حجرة تستعمل للجلوس وتناول الطعام ومن داخلها حجرة أخرى للنوم. وتكون القلالى دورين على جانب الحديقة البحرية.

٧- الطابونه على الطريقة الحديثة وبجوارها يوجد الطافوس[١].

هذا مجمل لأهم أجزاء دير براموس، ولما كانت مباني الأديرة الباقية مشابهة لهذا الدير بصفة عامة فأنا نكتفى بالوصف الذى قدمناه، وانما يجدر بنا أن نشير إلى بقية مؤسسى هذه الأديرة إشارة عابرة.

دير السريان

يقـــع هـــذا الدير إلى الجنوب الشرقى من دير براموس، ويبعد عنه بمسافة عشرة كيلو مترات تقريباً. وحقيقة اسم هذا الدير هو دير أبو يحنس كاما. ويؤيد الرأى اكتشاف حجر أثرى قبطى بشمورى بالدير يتضمن نياحة القديـــس نفسه بحضور البطريرك وقتها ورئيس الكنيسة أو الدير المذكور، وقد نشر أقلاديوس بك لبيب هذا الحجر مع ترجمة بالعربية[٢] واليك نصه: "بأســـم الثالوث الأقدس المساوى فى الجوهر الأب والابن والروح القدس قد صـــار انتقال أبينا المطوب البابا يحنس كاما فى اليوم الرابع والعشرين من شـــهر كـــيهك فى الساعة الأولى من الليل فى اليوم الخامس والعشرين من رياسة الأنبا قزمان رئيس أساقفة الإسكندرية وادارة أبينا الأب إبراهيم على كنيســـة أبينا القديس أنبا يحنس. وبعد عشرة شهور من انتقال أبينا القديس كمســـرة الله وتوفـــيقه تنيح أيضاً أبى الاب اسطفانوس فى اليوم التاسع من شهر هاتور وهذا الأب اسطفانوس كان ابنه الروحانى (أى ابن أبو يحنس) فـــى هذه السنة عينها قد تنيحا كلاهما الاثنين بسلام الله أمين وذلك فى عام ٥٧٥ مـــن استشـــهاد الشهداء القديسين تحت حكم ملكنا ربنا يسوع المسيح آمين".

---

[١] كلمة يونانية معناها قبر أو مدفن.

[٢] انظر: مجلة الآثار المصرية. المجموعة الثانية عشر (النبذة الأولى) لجامعها اقلاديوس بك لبيب يوليو سنة ١٩٠٩ مصبعة عين شمس. النص القبطى ص٢٣ الترجمة العربية ص٢٤.

ويسمى بدير السيدة لوجود قونة العذراء على بعض أبواب الكنيسة الكبرى بـه. أما شهرته بالسريان فهى لأنه كان قد عاش به بعض رهبان السريان مع رئيسهم أنبا أفرام المتوحد.

وتبلغ مساحة هذا الدير فدانا، ١٣ قيراطاً وطوله من الشرق إلى الغرب ١٤٦ متراً وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٤٥ متراً وهو يشبه السفينة من الخارج.

دير أنبا بيشوى:

يقع هذا الدير بالقرب من دير السريان إلى الجنوب الشرقى منه ويبعد عنه بمسافة كيلو متر واحد. وتبلغ مساحته فدانين و١٦ قيراطا وطوله من الشمال إلى الجنوب ١١٦ مترا وعرضه من الشرق إلى الغرب ٩٥ مترا فهو أوسع الأديرة الأربعة الغربية. وينسب الدير إلى القديس أنبا بيشوى. ولد فى أوائل الجيل الرابع بإحدى قرى الوجه القبلى من أبوين مسيحيين رزقوا بستة أولاد قبله. وقد توفى والده وتركه طفلا فاهتمت بهم والدتهم التقية وربتم أحسن تربية مسيحية ولما شب القديس وبلغ سن الرشد قصد إلى برية شيهات[1] حيث ترهب عند القديس بموا معلم القديس يوحنا القصير. وقد توفى بيشاى قبل يوحنس الذى كتب ترجمة حياته وبكاء كثيرا. وقد أتعب نفسه فى النسك والعبادة والتقشف والوحدة لمدة اختلف الرواة فى تقديرها. فيقول البعض إنه قضى ستين سنة فى البرية الغربية وعشرين سنة أخرى فى جبل انصنا[2] عندما ثار البربر وهجموا على وادى النطرون وقد ظل هناك حتى مات فى ٨ أبيب، ولما أنتهى عهد الاضطهاد أحضروا جسده إلى ديره.

دير أنبا مقار:

يقع فى الجنوب الشرقى لدير أنبا بيشوى ودير السريان بمسافة ثلاث ساعات. وتبلغ مساحته فدانا و٢٢ قيراطا وطوله من الشمال إلى الجنوب

---

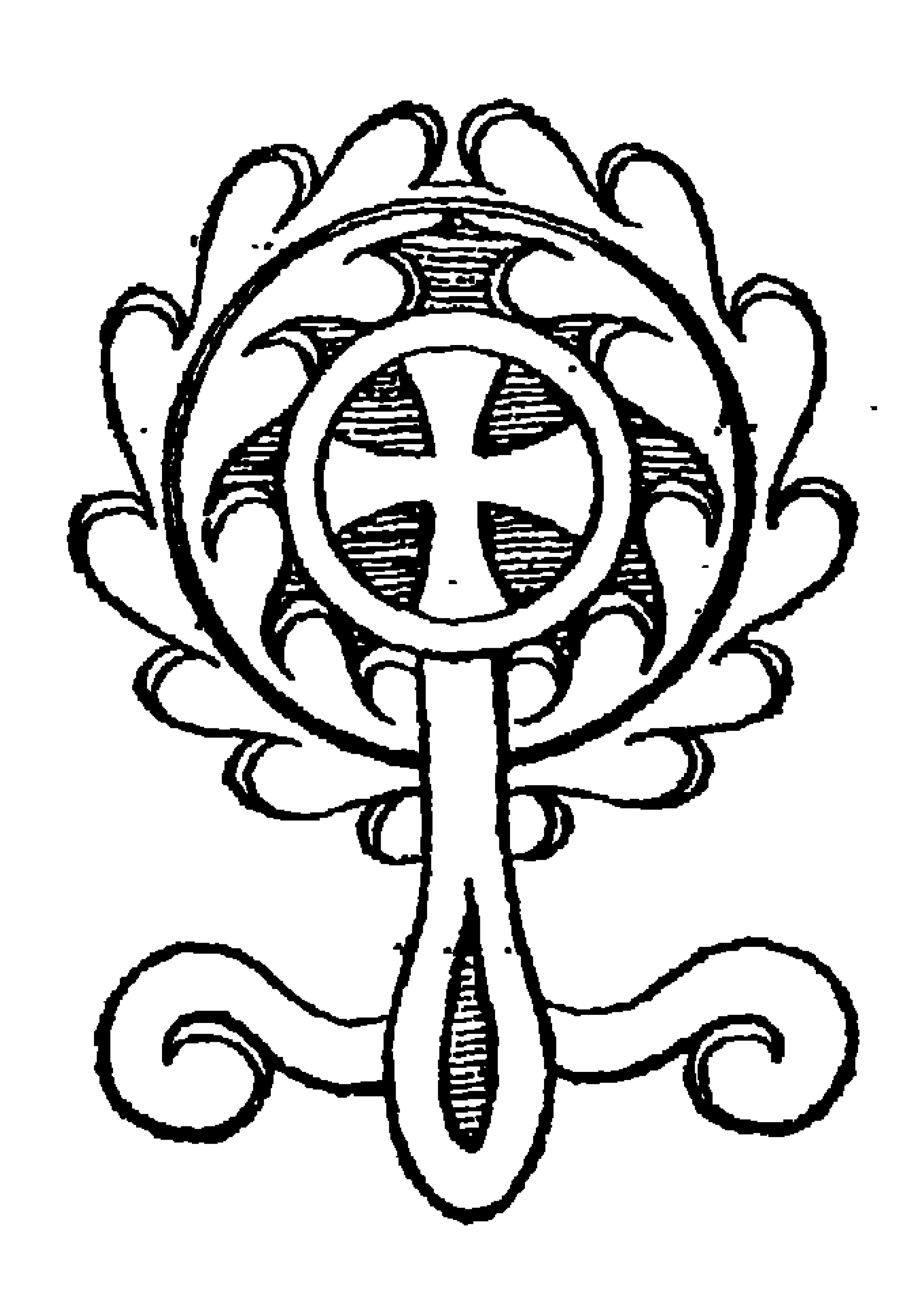
(١) كلمة قبطية معناها ميزان القلوب أى المكان الذى توزن فيه القلوب لمعرفة الخير من الشر.

(٢) انصنا مدينة ملوى الآن بمديرية المنيا من بلاد الوجه القبلى.

١١٥ مترا وعرضه من الشرق إلى الغرب ٧١ مترا. وينسب هذا الدير إلى القديس أبو مقار الكبير (المصرى) كما قدمنا فى سيرته. وهذا الدير غنى بآثاره. ولعل أهم هذه الآثار تابوت يحوى أجساد ستة عشر من الآباء البطاركة ويوجد فى كنيسة أبى مقار. وكذلك مدفون بكنيسة الشيوخ التسعة والأربعين هؤلاء الشيوخ الشهداء. ويقال أن الملك زينون هو الذى بنى القصر القديم وذلك لوفاة ابنته هيلاريا التى تزيت بزى الرجال وترهبنت بهذا الدير. فلما ماتت دفنت داخل تابوت رخام وضعه الملك فى أرضية هذا القصر وبناه على هذا التابوت.

كما أنه قد جرت العادة أن المنتخب للبطريركية – بعد تكريسه بالإسكندرية – يتوجه توا إلى دير أبى مقار لإتمام الرسامة والتقديس به واستمرت هذه العادة إلى أن أبطلت أخيرا. وقد تخرج فيه ودفن به أكبر عدد من البطاركة.

موريس مكرم



نظام الرهبنة على ممر الزمن

اشـــتهر قدمـــاء المصـــريين مـــنذ فجر التاريخ بنبوغهم فى العلوم والمعارف والآداب بجانب الحكمة التى شهد لهم عنها الكتاب المقدس إذ جاء فيه "وتأدب موسى بحكمة المصريين كلها" (أع : ٧ ، ٢٢).

وتدلنا دراسة تاريخهم على أنهم كانوا يسيرون على نواميس معقولة كما كانت لهم آداب لا تخلو من مبادئ راقية وأخلاق فاضلة، ولم ينغمسوا فـــى الشهوات والفجور كالشعوب المعاصرة لهم التى كانت تعتبر ارتكاب الموبقات جزءاً متمماً للعبادة مما دعا إلى أن يندد بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية الإصحاح الأول بمسلك هذه الأمم الذميم.

ولمـــا دخلت البشارة المسيحية البلاد المصرية وجدت لها فى قلوب أبـــناء مصر أرضاً خصبة وتربة صالحة ونبتت وأعطت ثمراً مائة وستين وثلاثين لما كانوا عليه من استعداد إذ أن الديانة المصرية القديمة كانت تقول بالقـــيامة العامة وخلود النفس واعتقاد يشير من بعيد إلى التثليث والتوحيد، ولوجـــود كثير من أوجه الشبه بين الديانتين كعلامة الحياة "أنخ" التى تماثل إلـــى نوع ما الصليب فى المسيحية، والآلهة إيزيس التى ترضع طفلها حوريس تمـــاثل العذراء مريم والسيد المسيح، يضاف إلى ذلك ما كانت تقضى به الديانة المصـــرية مـــن وجوب التحلى بالآداب والبعد عن الموبقات مما يتفق تماما مع مـــبادئ المســـيحية الســـامية، ولهذا لم يجد المصريون صعوبة كبيرة فى قبول معتقدات الدين الجديد لتوافر أوجه التشابه بين الديانتين.

ولمـــا دخـــل الوثنـــيون أفواجـــا فى الديانة المسيحية أسسوا لهم فى الإســـكندرية، عاصـــمة القطر المصرى فى ذلك الوقت، مدرسة فى القرن الثانى ذاع صيتها وكانت تلمع فى سمائها أسماء كواكب أفاضل المسيحيين المتبتلين الذين كانوا يعيشون عيشة التقشف والنسك إلى جانب انقطاعهم لاكتساب

العلـــوم والمعـــارف إذ لـــم تكن الرهبنة المسيحية قد أنشئت بعد، ومن بينهم كان يجـــرى لختيار الأساقفة والبطاركة نذكر منهم يردوكلاس البطريرك الثالث عشر وارشـــلاوس البطريرك الثامن عشر حتى ظهر كوكب البرية الشرقية ومصباح الرهبنة الوهاج القديس انطونيوس أب جميع الرهبان، الذى لما سمع قول المسيح "إن كنـــت تريد أن تكون كاملا فأذهب وبع كل شيء لك واعط للمساكين فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى" (مت ١٩ : ٢١).

فترك لوقته العالم وكل مافى العالم، قاهرا شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة التى ليست من الله بل من العالم.

ولـــم يكـــن القديس انطونيوس أول من سكن البرية بل سبقه كثيرون نذكـــر منهم إيليا النبى ويوحنا المعمدان ثم البار أنبا بولا أول السواح الذى أعلن الله عنه لأنبا انطونيوس أنه يفوقه فى القداسة.

وقـــد اعـــتزل الأنـــبا انطونيوس خارج قريته قمن العروس فى دير للتنســـك والعـــبادة هناك كما كانت عادة من يحب النسك وقتئذ لأن الرهبنة بشـــكلها المعـــروف لنا لم تكن قد نظمت بعد وقد ظهر له الرب وأمره أن يـــترك العالم ويتوغل فى البرية بعيدا عن الناس لخلاص نفسه ومن ثم اجـــتمع اليه جمع غفير، ولما تطرق إليه الملل هتف به صوت يقول له "أخرج يا أنطونـــيوس" فخـــرج ورأى ملاكا متشحاً بزنار على شكل صليب مثل الاسكيم، وعلـــى رأســـه غطاء يشبه الخوذة وهو جالس يضفر الخوص ثم يقوم يصلى ثم يجلس يضفر وأتاه صوت يقول له "يا أنطونيوس إفعل هكذا وأنت تستريح" فاتخذ هـــذا الزى الملائكى وصار زياً للرهبنة منذ ذلك الوقت إلى وقتنا الحاضر وكان فى هذا إيحاء له بأن الرهبنة لاتتنافى والعمل[1].

ولم يكن انطونيوس ليضع قوانين لمن يرغبون الترهب، بل كان كل راهب حرا فى أن ينتهج لنفسه الخطة التى تناسبه فى نسكياته وعبادته على النحو الذى يروقه.

---

[1] قال بولس الرسول "إن هاتين اليدين كانتا تخدمان حاجاتى وحاجات من كان معى (اع ٢٠ : ٣٤) "ولا أكلنا خبز أحد مجانا بل اشتغلنا بالتعب والكد ليلا ونهارا لئلا نثقل على أحد منكم... انه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل" (٢ تس ٨ ، ١٠).

ثــم رهبــن الأنــبا أنطونيوس تلميذه أبا مقار الكبير الذى أنشأ ديره المعروف فى برية شيهات.

وحــدث فـــى أواخر القرن الثالث الميلادى أن أعتنق جندى مصرى باســل من جنود المملكة الرومانية، الديانة المسيحية لما لمسه فى أهلها من عطفهم نحو الغرباء والمسجونين ومقابلة الإساءة بالإحسان والحقد بالصفح فأثر فيه هذا الصنيع الجميل فلم يكتف بأن يعتنق المسيحية فحسب بل لمسته الــنعمة الإلهــية فترك الجندية وتجند للسيد المسيح ومعه جيش لا لمحاربة الأعــداء الظاهرين بل لمقاومة الأعداء الخفين والجهاد فى خلاص النفوس، هــو القديــس العظيم الأنبا باخوم الذى أكسبته مدة خدمته فى الجندية حبا للــنظام وحســن الترتيب، فسن للرهبنة قوانين وجعل شعار الراهب العفه والطاعة والفقر الاختيارى، ونظم للرهبان عيشة مشتركة بدلا من عزلة كل راهــب علــى حــدة، ولهــذا لقــب من الكنيسة "أب الشركة" وحول البرارى إلـــى فــراديس بأن أنشأ فيها الأديرة العامرة التى وضع تصميم مبانيها بنفسه وأقــام لهــا الــنظم الــتى تكفــل حسن الإدارة، فازدهرت هذه الأديرة ونمت وترعرعت.

ومــنذ وقت القديس باخوميوس سادت الرهبنة على النظم والقوانين الــتى ســنها فترك نفرليس بقليل العالم وانعزلوا فى الأديرة للتفرغ للعبادة والتألــيف والعلوم والأشغال اليدوية وهذا يدحض إدعاء من ينددون بنظام الرهبــنة والابــتعاد عــن العالم ويدعون إن بالكتاب المقدس آية مضمونها "طوبـــى لمن فى النار ولا يحترق". وفى الواقع إن الكتاب المقدس لم ينص صــراحة علـــى آية كهذه ويقصد أصحاب هذه الفكرة التمويه على عقول البســطاء بدحض فكرة الاعتزال عن العالم فى أديرة وقد سرت فكرتهم فى قلوب البسطاء من الشعب القبطى.

"ولــم يلبث خبر هذه الحركة مدة طويلة محصورا بين حدود مصر حــتى تجاوز تخومها وسرى فى الأمصار المتجاورة وبلغ منها إلى البلدان الأوربـــية... وكـــان الغرس الذى غرسه الأنبا باخوميوس فى بادئ الأمر

صـــغيرا حقـــيرا فى نظر العالم، لكنه نما وكبر وترعرع وأثمر وتأصلت منابـــته فـــى أرض مصـــر ثـــم فى سائر أقطار العالم وهذا برعاية يسوع المسيح.

وقـــد ذكـــر بـــتلر فى مقدمة كتابه عن "الكنائس القبطية القديمة" أن الميشـــرين الأقـــباط وصلوا إلى الجزر البريطانية وانه يوجد إلى يومنا هذا ببلدة اليده ديزرت Disert Ulideh بايرلنده قبور سبعة من الرهبان المصريين لا تزال تذكر أسماؤهم فى الصلاة بكنيسة تلك الجهة.[١]

وقد وضعت قوانين يتحتم فى طلاب الرهبنة الذين يرغبون الانضمام إلى صفوفها نورد منها:

"لـــيفحص رأس الدير عنه (راغب الرهبنة) فحصاً شافياً من أين هو وما عمله وما السبب الذى من أجله التجأ إلى ديرهم[٢] الخ. ويشترط فيمن يدخل الدير أن يترك ثلاث سنوات تحت الاختبار وفى كتاب قسمة الراهب (ينـــبغى لمن أراد أن يصير راهباً أن يقيم ثلث سنين يتعلم شروط الرهبنة ويـــتعظ بالكمـــال من كتاب بستان آبائنا لابسى الصليب ويرشد إلى الفلسفة الحقيقـــية) وكـــذا أيضـــاً فـــى قوانين أنبا باخوميوس التى يقال أن الملاك سلمها له[٣].

وفـــى خلاصـــة قانون الرهبنة القبطية الأرثوذكسية الذى صدر سنة ١٩٢٨م بالقاهـــرة ووضـــعه المجمع الاكليريكى العام المقدس برياسة الأنبا يؤانـــس قائمقـــام البطريرك فى ذلك الوقت ينص فى مادة ٣٠ على ان مدة الاختبار (للراهب) هى سنة ويجوز انقاصها إلى تسعة أشهر شرطاً أن تثبت أهلـــية الطالـــب لشكل الرهبنة. وقد ورد فى المجموع الصفوى المشار إليه علـــى أن يمتحن طالب الرهبنة نفسه إذ يقول: (قال باسيليوس فى نسكياته وينـــبغى قـــبل كل شئ الذى يتقدم إلى هذه الفضيلة أن يكون له فكر ثابت

---

[١] دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة الأثرية بقلم مرقس سميكة باشا جزء ٢: ص ١٥٧.

[٢] المجموع الصفوى طبع بمصر سنة ١٦٢٤ ش الباب العاشر القسم الثانى.

[٣] أنظر كتاب الرسامات طبع فى رومه سنة ١٤٧٨ ش ص ١٥١ ويوجد نسخ من قسمة الراهب بالدار البطريركية والمتحف القبطى والأديرة.

ليكمل ما عهده لئلا يرجع إلى خلف وأن يكمل الطاعة للرؤساء. عليه ويفحص عما يحب لخلاصه وينبغى أن يمتحن الإنسان نفسه أولا ويروضها فى سائر أنواع الجهادات النفسانية والبدنية قبل أن يدخل فى نير الرهبانية فبعد دخوله فيها فلا سبيل إلى تركها والنكول عنها[1].

ومتى ترهب شخص فقد صار إنساناً روحانياً أو ملاكا جسدانياً فالرهبنة فلسفة المسيحية.

وقد شمل الباب التاسع من كتاب يوحنا بن ساويرس الكاتب المصرى الذى عاش فى القرن الثانى عشر، أوجه تفضيل الراهب عن العلمانى تلخصه فيما يأتى: لباسه الخشن من الصوف، وسكنه بعيداً عن العالم وقهر شهوته والابتعاد عن الرذائل وعمل الفضائل.[2]

طبق القديس باخوميوس على الأديرة نظاماً يشبه النظام العسكرى وقبل كل راغب فى الرهبنة من جميع المهن والحرف بالشروط السالفة الذكر. فكان كل راهب يقوم بممارسة صناعته، الكاتب لنسخ الكتب، والفلاح للغيط، والنجار للنجارة، إلى غير ذلك فى بقية الحرف ويستولى الدير على كل مكسب الرهبان وكان يشترى بهذا المكسب احتياجات الدير وتوزع على الرهبان بالتساوى وما زاد على مصروفات الدير يوزع على الفقراء والمحتاجين[3].

وكانت هذه فكرة صائبة سليمة فالدير لا يرفض من يلجأ إليه من الأشخاص طالبى الرهبنة مهما قلت درجتهم العلمية أو الصناعية، فانه قد يوجد بين الغير متعلمين من الرهبان من يكون بركة ونعمة أكثر من

---

(1) المجموع الصفوى الباب ذاته، القسم التاسع.

(2) كتاب العلم والعمل لختصار الفاضل يوحنا بن ساويرس الكاتب المصرى طبع بمطبعة عين شمس سنة ١٩١٣م الباب التاسع ص٣٦.

(3) N. Annott, The Monasteries of the Fayum ص٣٤: وكان يرسل رهبان الفيوم مالا لإعالة فقراء الإسكندرية. وفى كتاب القديس باخوميوس المشار اليه ص٢٢ "وكانوا (الرهبان) يربون خنازير على ما يخرج من غربلة الحنطة وعلى فضلات الطبيخ والسلائق والبقول وكانوا يبيعون لحومها وتصرف أثمانها فى مصالح الدير".

المتعلمين، فقط يشترط فى أن لا يرقى إلى درجات الكهنوت إلا من وصل فى العلم إلى درجة تؤهله للارتقاء إلى إحداها.

ولــم يكن الرهبان فى عصر باخوميوس وما بعده يتهافتون على نيل الدرجــات الكهنوتية كالآن، فباخوميوس نفسه لم يقبل أن يرسم قساً من يد القديس اثناسيوس لما قابله فى إحدى رحلاته للصعيد الأعلى[١].

ذكر الأب يعقوب مويرز فى محاضرته المشار إليها ص١٧ أن الدير "المصــرى على ما وضعه الأنبا باخوميوس" عبارة عن مستعمرة زراعية صــناعية مظهــرها كله عمل جدى وحركة مستمرة فى أعمالها على أدق النظام وتقوم بسد حاجات جميع أفرادها، والأعمال اليومية تنقسم بين تأدية الفرائض الدينية والأعمال اليدوية والانكباب على الدرس، والفرائض الدينية لا تعوق العمل اليدوى إذ أنه عنصر مهم جداً فى حياتهم".

وكــان يصــلى الراهــب زيادة على ممارسة الصلوات مع المجمع مزاميره التى كان يتحتم عليه استظهارها فى قلايته على انفراد مع ضرب المطانوات المفروضة على الراهب (سجدات متكررة). ويؤهل من يتقدم من الرهبان فى الفضيلة بلبس الاسكيم ويكون الاسكيمى[٢] أكثر تعبداً من غيره مــن الرهــبان وفــى الوقت الحاضر قل كثيراً ليس الاسكيم بين الرهبان للفروض الشديدة التى يتحتم على الاسكيمى أداءها.

وكانــت الأديــرة إلــى زمن رياسة أنبا كيرلس الخامس البطريرك الأسبق تسير على هذه القاعدة وكل من تأخر عن صلوات المجمع لابد من توقيع العقاب عليه. وورد فى خلاصة قانون الرهبنة المشار إليه فى المادة ٣٥ "علــى الرهــبان حضور صلوات المجمع التى يقيمها داخل الكنيسة أو خارجها ولا يعفى من ذلك إلا من يقعده المرض عن الحضور".

---

[١] كتاب القديس انبا باخوميوس المشار اليه ص٢٠ (ولم يكن بين الرهبان قسيس بل كان "باخوميوس" يدعو قسيساً من البيع المصاقبة ليقدم القربان".

[٢] الاسكيم عبارة عن قطعة طويلة من جلد مضفورة بأشكال صلبان يتوشح بها الراهب تحت لباسه العادى.

وقــد كان الرهبان يتناولون الطعام حسب قانون باخوميوس[1] على المــائدة مرتيــن ويتلون صلاة قبل الأكل وأخرى بعده ويقوم أحد الرهبان بتلاوة فصل من الكتاب المقدس أو من بستان الرهبان ولا يزال هذا النظام معمولا به فى جميع أديرة المسيحيين شرقيين وغربيين وهذا يوافق ما جاء بخلاصة قانون الرهبان المشار إليه فى المادة ٣٦، حكما أنه نص أيضا فى المــادة ٣٧ "أن لا يــتخلف عن المائدة إلا من كان مريضاً" وفى المادة ٣٨ "لإيــداع الراهب خبزاً فى قلايته وفى المادة ٣٩ والمرضى يعاملون معاملة خاصــة فــى طعامهم". والآن لا يستعمل الرهبان المائدة فى أديرتنا إلا فى الصوم الكبير.

ومن آداب الرهبان انه إذا أراد أحدهم الدخول إلى قلاية راهب آخر، طرق الباب وقال بالقبطية "أريدى أغابى" ومعناها "اصنع محبة" (أو معروفا وافتح الباب) وهى تحية مقرونة بالاستئذان، فإذا رد عليه وقال "أغابى" دخل إلــيه وان لم يرد فلا يدخل. ويقابل هذه العبارة عند الروم "بصلوات آبائنا القديسين يا رب يسوع المسيح ارحمنا" فإذا رد الذى فى الداخل قائلا "آمين" دخل وان لم يرد فينصرف إلى حال سبيله.

وقــد كانــت الرهبنة تحتم على الراهب أن يمضى حياته داخل الدير ومــن أقوال القديس انطونيوس الكبير المأثورة قوله "كما يموت السمك إذا خرج من الماء كذلك يموت الراهب إذا أبطأ خارج قلايته"[2].

ويحدثنا التاريخ عن كثيرين من الآباء الرهبان الذين دخلوا الدير ولم يخرجوا منه حتى نياحتهم وما كانوا يرتضون مقابلة أقاربهم الجسدانيين مثل تادرس تلميذ أنبا باخوميوس الذى رفض أن يقابل أمه[3] وكذا ارشليدس لم يسمح بمقابلة أمه رغم الحاحها الشديد[4].

---

(١) كتاب القديس باخوميوس المشار إليه ص ٢٧.

(٢) مخطوطـة رقم ٢٩٤ لاهوت بالمتحف القبطى "أخبار الرهبان المصريين وشرحه للقديس فلكسنيوس البنمى، ورقة ١٨٠ (راجع فهرس مخطوطات المتحف تأليف سميكة باشا جزء أول طبع سنة ١٩٣٦، ص ٢٦ رقم ٤٥).

(٣) كتاب القديس أنبا باخوميوس المشار إليه ص٣٣.

(٤) كتاب السنكسار تحت ٤ طوبه.

وورد فـــى خلاصـــة قانون الرهبنة المشار إليه فى المادة ٤٠ "يقيم الراهب فى ديره ولا يبرحه إلا إذا انتدبه رئيسه ولا ينتدب إلاّ من أمضى ٣ ســنوات فـــى الرهبنة" وفى المادة ٤٤ "ولا يعين الكهنة الرهبان خداما فى كنائس العالم".

"ويشـــترط فى الراهب أن يصرف العمر جميعه صوما وصلاة وكذا فى الأشغال وتكراراً لذكر الله وتلاوة لكتبه وتفهماً لمعانيها وقراءة فى سير قديســيه للتشــبه بمحبــيه وتفكراً فى كمال صفاته وعظائم مبدعاته وحسن مخلوقاتـــه[1]. ورد فـــى المادة ٣٤ من خلاصة قانون الرهبنة المشار إليه: الأعمال التى يشتغل بها الرهبان فى الدير هى:

١- مطالعة الكتب المقدسة وسير القديسين وأخبار وتعاليم الرهبان المتقدمين.

٢- الخدمات الكنسية.

٣- العبادات الليلية والنهارية.

٤- القــيام بتأدية ما يطلب منهم من الخدمات اللازمة للدير التى يكلفون بها من قبل الرئيس داخل الدير.

٥- العناية بالمرضى من الرهبان.

"ويجــب أن يكــون جماعة الاخوة مدمنين الصلوة والصوم وقراءة الكتــب المقدسة كما يأمرهم رئيس الدير ويتناوبوا فى الخدمة جمعة بجمعة داخل الكنيسة وخارجها فى سائر الخدم الكهنوتية والجسمانية"[2].

"وان يكونوا ذوى أخلاق جميلة بعضهم مع بعض ومع كل واحد ولا يســعوا فـــى الأســواق والطرق سعياً بغير وقار ولا يناطق بعضهم بعضاً بالهــزل والمــزاح متضاحكين متلاعبين بل يلزمون الصمت والوقار عند المخالفين لدينهم.... وأما تقدير الطعام والشراب فان كان أكثر الدير فلاحين

---

(١) المجموع الصفوى الباب ذاته.

(٢) المجموع الصفرى الباب ذاته.

فلــيطعموا مرتيــن فى الأسبوع الأولى آخر السادسة والأخرى آخر النهار وان لــم يكونــوا فلاحين فليقنعوا بمرة واحدة أما فى التاسعة وأما فى آخر النهار"[1].

"وأن يكون أخوة المجمع كما قال باسيليوس فى نسكياته كنفس واحدة ورأى واحــد وأجســادهم وان كانــت كثيرة فقد صارت جملتها آلة واحدة مجــتمعة لــتلك النفس الواحدة المجتمعة برباط المحبة وكل واحد منهم لا يعيش لذاته وحده بل وبعضهم لبعض بمرضاه الله الخ".

"وان يتجملوا بكل ما يزينهم وان لا يجاوروا النساء ولا يأكلوا اللحم فــى أديــرتهم ولا فــى غيرها ولا يتزينوا ولا يتطيبوا ويشدون أوساطهم بمــناطق مــن جلود غلاظ وان تكون كسوتهم الصوف الخشن لباس الزهد وكذلــك شكلهم فى جميع أمورهم ويتجنبرن زى العلمانيين وعادتهم كالآباء الذيــن أخذنــا عنهم أهل الفضل والخير وكانوا رهباناً بالحقيقة يقدرون فى أنفسهم أنهم أموات"[2].

وكانــت توقع عقوبات على كل من خالف من الرهبان قانون الرهبنة أو أرتكــب ذنــباً. وتوجد أنواع هذه العقوبات فى كتاب المجموع الصفوى المشار إليه، الباب العاشر والقسم السابع.

وكــذا فــى النشرات القيمة التى يقوم بنشرها من وقت لآخر الأستاذ لــيفور باللغــات اليونانية والقبطية واللاتينية وترجم بعضها إلى الفرنسية. وهــى كثيرة نذكر منها الآتى: على سبيل المثال ما كانت عليه الرهبنه من حسن النظام ودقة تنفيذ القوانين من مقالته La Règle de St. Pachôme. Nouveau Documents Le Musèon, t. x 4 1927 ص ٣١ – ٣٤.

"أى راهب ذم أخاه فليضرب مائة مطانوه فى كل يوم.

أى راهب خلع منطقته ونام بدونها يفرز من الكنيسة مدة ٤٠ يوماً.

---

[1] المجموع الصفوى الباب ذاته وهذا يوافق تقريباً ما جاء بكتاب القديس انبا باخوميوس المشار اليه ص٢٢.

[2] المجموع الصفوى الباب ذاته.

أى راهب أكل سراً وشرب نبيذاً فليفرز من الكنيسة ٥٠ يوماً.

أى راهـــب ضرب راهباً آخر فليعمل ٤١ مطانوه ويأكل خبزاً جافاً بغير أدام.

أى راهـــب حلف ولا يكون كلامه نعم نعم لالا فليخرج من الشركة وقتا ويضرب ١٠٠ مطانوه ويأكل الخبز الجاف مدة ٥ أيام.

أى راهـــب أخذ كتاباً ولم يحافظ عليه وأهمله فليضرب ٥٠ مطانوه. كمـــا ورد فـــى كتاب Etude sur le cènobitisme Pachômien par Paulin Ladeuze (Paris 1898), P. 305 النص اليوناني ومترجم إلى الفرنسية وهو كالآتي: سن باخوميوس قانوناً يوقع على الرهبان بالدير هذا نصـــه: إذا خـــالف أحد قوانين الدير الموضوعة عليه ينال عقاباً بمقدار ما ارتكب من ذنب وقبل توقيع العقوبة على المذنب يجب تحذيره وتوبيخه عدة مـــرات ويخـــتلف هـــذا الـــتحذير باختلاف نوع المخالفة وإذا لم تنتج هذه الإنـــذارات أثـــراً توقـــع عليه العقوبة وهى على أنواع مختلفة الصوم مع الـــتعاطى الخـــبز الجـــاف والماء ثم الفرز المؤقت من المجمع ثم التجريد وإرساله إلى المعزل ثم توقع عليه عقوبة بدنية وبعد ذلك يطرد ويخرج من الدير".

وإذا ســـاعدنى الوقـــت ســـأنقل هذه القوانين إلى العربية من اللغتين اليونانـــية والقبطـــية الصـــعيدية وسأنشرها فى إحدى مجلاتنا الدينية لإفادة الشعب القبطى الغيور المتعطش لسماع الكثير عن الرهبان الأتقياء.

موجود بالدار البطريركية مخطوطة رقم ١٤٧ لاهوت "أنظر فهرس المخطوطات جزء ثان تأليف سميكة باشا سنة ١٩٤٢ ص٢٤٧ رقم ٥٥٨"، بها قانون الديارية لأنبا يؤنس (الثامن عشر) البطريرك ١٠٧، لم نتمكن من الاطلاع عليها والمعروف أنها لا تخرج عما كتبناه فى هذه المقالة.

ويحتم قانون الرهبنة أن لا ينام الراهب وهو حاقد على أخيه بل قبل أن يـــنام يتوجه إلى أخيه فى قلايته ويضرب له مطانوه ويقول له "أخطأت

فسامحنى" عملا بقول الرسول بولس اغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس علــى غضبكم ولا تجعلوا لإبليس موضعاً، (اف ٤ : ٢٦ – ٢٧) ولا تزال هذه العادة باقية للآن.

وقد ذكر الشيخ الصفى فى كتابه المجموع الصفوى المشار إليه الباب العاشر القسم الرابع "فيما يلزم الراهب" ما ملخصه:

"١" ترك الزواج "٢" ترك الأقرباء بالجسد والقنايا والشهوات العالمية "٣" المقــام فــى البرية ولباس الصوف وشد الوسط بسير "٤" ترك المآكل اللحمية دائماً وما لا تدعو الضرورة إليه من الخمر والاقتصار فى الأغذية على ما لا تقوم الحيوة الجسدانية بغيره".

ونصــت القوانيــن أن يكون لكل دير رئيس وتلميذه واقنوم وخازن وبواب. وهذه الوظائف لا تزال باقية للآن.

١- رئيس الدير كان يسمى سابقا ارشمندريت رئيس المتوحدين "وهو لقب الأنــبا شــنوده" وكان مقره دائما الدير مع الرهبان يعظمهم ويعلمهم لتنميــتهم فــى الأمــور الروحــية ولــنا أكبر نموذج لذلك هو الأنبا باخوميوس الذى لم يترك ديره ويختلط بالعالم "إلا لأعمال تبشيرية بل كــان يســكن مع الرهبان ويشجعهم ويعظهم وقد ورد فى سيرته التى نشــرها الأســتاذ ليفور بالقبطية البحيرية انه "باخوميوس" رتب ثلاث مواعــظ تــتلى كــل أسبوع واحدة لأيام السبوت واثنتين لأيام الآحاد المقدسة.

وتميــيزاً لرئــيس الدير عن الرهبان القسوس والشمامسة منح لقب قمــص محــرفه من ايغومنس الكلمة اليونانية ومعناها المدير كأنبا يحنس قمــص شــيهات وغيره. وهذا اللقب ما كان ليمنح للعملمانيين بل لرؤساء الأديرة ثم سمح بمنحه للقسوس المتزوجين على شرط أن يكون قمصا ماهرا فــى كنيســته ثــم مع توالى الأزمنة صار لقبا عاديا يمنح لاغلب القسوس ويكون فى الكنيسة أكثر من قمص خلافاً للأصول.

ولا يزال الروم يحتفظون بهذا اللقب للرهبان دون سواهم من رؤساء الأديرة وأما رؤساء كنائس العلمانيين من الرهبان فيلقبون بأرشمندريت.

"لا يرؤس على الدير إلا من نشأ فيه وعرف سننه وعلم منه جهاد فى الرهبانـــية وليس بجاهل ولا خفيف الرأى ولم تعرف له هفوة فى ديره ولا خارجـــا عـــنه ويكـــون حســـن الثناء ماهراً عالماً بالقوانين الشرعية يفهم مـــا يتـــنازع فـــيه ويقوم الرئاسة باجتهاد وقد كان مرضياً لدى رئيسه فإذا شهدت له جماعة الرهبان بذلك من غير مراء يكون بينهم فى أمره فليجعل رئيساً"[١] "وينبغى أن يدبر كل واحد بما يليق به من صنف الحاجة ومقدارها بالنســـبة إلى اختلاف أحوالهم بحسب التقدم والتأخر فى أعمارهم، والزيادة والنقص فى أشغالهم، والتعب والراحة فى صنائعهم، والعظمة والصغر فى هـــآت أبدانهـــم، والقرب والبعد من حالات عاداتهم، والصحة والمرض فى أمزجتهم[٢]... وينبغى أن تكون سيرته كاملة فى جميع وصايا الله لكيلا يظن أحد أنه غير ممكن أن تقام وصايا الله وينبغى أن يكون شكله وعمله إذا كان ساكنا يقنعهم فى التعليم أكثر من كلامه[٣]".

وفـــى خلاصـــة قانون الرهبنة سنة ١٩٢٨ المشار إليه المادة ٧ "من واجـــبات الرئـــيس أن يقوم بجميع حاجات ومصروفات الدير ورهبانه من المـــؤن والأطعمـــة وخلافها حسب عادة الدير وعليه عمل كل ما يلزم من المحافظـــة علـــى مبانى الدير وأملاكه ويسهر على راحة رهبانه ولا ينفرد بالسلطة دون الرجوع إلى غبطة البطريرك أو القائم مقامه وعليه أن يزور الدير فى الجبل أربع مرات فى السنة على الأقل لافتقاد رهبانه".

ورؤســـاء الأديرة الآن يقضون مدة رياستهم خارجا عن الأديرة ولا يـــزورونها، إلا قليلا إذا استثنينا دير المحرق فان مقر رئيسه فى الدير مع الرهـــبان، ويســـتولى رئيس كل دير على غلة الأعيان الموقوفة على الدير

---

(١) L. Lefort, S. Pachomü Vita bohai - d) rice scripta (=CSCO., Scriptores coptici, textus, ser. 3a,t. VII Parisüs, L925, P.26, L.10. وكذا فى كتاب القديس باخوميوس المشار اليه ص٢٢. "ورسم لاقنوم للدير الذى كان ثانيه ان يصنف فى كل سبت خطبة وفى يوم الاحد خطبتين.

(٢) المجموع الصفرى الباب ذاته (٢) المجموع الصفرى الباب ذاته (٣) المجموع الصفرى للباب ذاته.

ويصرف منها على ما يحتاج إليه وما زاد بعد ذلك يودع فى أحد المصارف لحساب الدير لانماء ثروته والمفروض أن يصرف قليل من الإيرادات للجمعيات الخيرية والمحتاجين ولكن كل إيرادات ومصروفات الدير إنما تكون بمعرفة الرئيس يتصرف فيها حسبما يوحى إليه ضميره إذ لا رقيب عليه إلا غبطة البطريرك.

تلميذ رئيس الدير:

يجب أن يكون تلميذ رئيس الدير وخادمه الذى يقوم بين يديه متمثلا فى نفسه أمر اليشع النبى إذ كان ابن رجل من عظماء بنى إسرائيل ولم يأنف من خدمة إيليا النبى وهو رجل من سكان قرية جلعاد[1] والمتبع الآن أن يكون لكل رئيس دير تلميذ يتبعه قد لا يكون راهباً.

اقنوم الدير:

أقنوم الدير كلمة يونانية محرفة من ايوكونوموس ومعناها وكيل أو متصرف أو رب بيت "وأن ينظر رئيس الدير إلى من له من الاخوة شيم حسنة خائف من يوم الدينونة محب لصلاح الدير فيجعله أقنوما على الدير وعلى خزائنه ليكون شاهدا متعاهدا لجميع الاخوة يسعى فى حوائجهم ولا يتخير كبيراً على صغير ولا يداجى الله فى ما سلم إليه ويكون نزهاً عفيفاً أميناً لا شريراً ولا شرهاً"[2]. وهذا تماثله الآن وظيفة أمين الدير أو "الربيته" من الكلمة لسريانية "رب بيت" وورد فى خلاصة قانون الرهبنة سنة ١٩٢٨ المشار إليه مادة ١: "تعيين الأمين هو من اختصاص رئيس الدير بموافقة مجمع رهبانه وعليه أن يخطر البطريرك أو القائم مقامه بتعيينه، وواجباته أن يؤدى أعمال الرئيس فى حالة غيابه ويتعهد أثاثات الدير والمكتبة".

خازن الدير:

"وأن يكون خازن الدير ديناً مدارياً يعطى ما يؤمر به ببشاشة وقلب سليم ليتفقد التعيين وتشتد عنايته بالمرضى ولا يكون محباً للنباح والأكل

---

(١) المجموع الصفوى الباب ذاته.

(٢) المجموع الصفوى الباب ذاته.

والشرب وحده دون أخوته على مائدة الوسط المعروفة بجميعهم ولا يستخف بـــأحد مـــن الواردين بل يكرمهم بما غنده ويتعاهد ما فى خزانة الدير من الأطعمة التى يتخوف عليها الفساد"[1] ولا يزال اختصاص هذه الوظيفة باقياً إلـــى الآن كما هو وارد فى خلاصة قانون الرهبنة المشار إليه المادة ١٧. "وعليه أن لا يصرف (خازن الدير) شيئاً مما فى عهدته جليلا كان أو حقيراً إلا بأمر الأمين وأن يعنى عناية خاصة بالمؤن القابلة للفساد".

بواب الدير أو الفاتولى:

"وأن يكـــون الـــبواب الموكل بباب الدير لين القول للغريب والقريب متواضـــعاً جـــداً محـــتملا للشتيمة والمماراة غير صياح ولا مستخفا بفقير مســـرعاً لإجابة كل من قرع الباب مكرماً لكل أحد على قدره" "ولا يرخص البواب لاحد الرهبان فى الخروج من باب الدير ولا يمكن أحدا من الدخول إلـــى عند الأخوة إلا بأمر الرئيس وعلامنه ولا يدعهم يجتمعون عنده على بـــاب الديـــر ويجلسون فيتحدثون بالهزل والباطل"[2] ول يزال هذا القانون ســـارياً للآن وفى خلاصة قانون الرهبنة سنة ١٩٢٨ سالف الذكر ويسمى حـــارس الـــباب لا يخرج اختصاصه عما تقدم. ويوجد فى خلاصة قانون الرهبنة هذا خلافا لهذه الوظائف الآتى:

١- أب الاعتراف:

ورد فـــى المادة ١٥ من خلاصة قانون الرهبنة السالف الذكر "يعين رئـــيس الديـــر أو الأمين أباً للاعتراف من شيوخ الرهبان فى الدير يكون خبيرا بما فيه سر الاعتراف مشهودا له بالتقوى والوقار والتقدم فى الفضيلة وإذا كان أمين الدير متقدما فى السن فهو يعين أبا للاعتراف".

ولم ينص فى القوانين على هذه الوظيفة لأن كل راهب أو قسيس حر يخـــتار أبا على الوجه الذى يرتاح إليه ويعبر عنه فى البستان بالمعلم (أب

---

[1] المجموع الصفوى الباب ذاته.
[2] المجموع الصفوى الباب ذاته.

الاعتراف) وتلميذه (المعترف) ويكون الأول متقدماً فى السن قديسا والثانى حديث السن يخدمه ليتعلم منه الفضيلة.

لما زرت سنة ١٩٢٥ دير القديسه كترينا وهو الدير الذى أسس على جبل المناجاة (جبل موسى) فى برية سيناء وهو الآن فى حيازة الروم الأرثوذكس وجدت أن بالدير ١- الرئيس ويسمى الارشمندريت (ايغومنس) ٢- الاقلوم ٣- الخازن ٤- أب اعتراف الدير وكان شيخا مسنا وقورا.

(ب) أمين المكتبة والكنسى وردت شروط هاتين الوظيفتين فى خلاصة قانون الرهبنة المشار إليه فى المواد ١٨ - ٢١ ولم يرد ذكرها فى القوانين لأن اختصاصها يدخل ضمن اختصاصات الاقنوم وخازن الدير.

وقد خدم الرهبان الكنيسة أجل خدمة بمؤلفاتهم ونظرة واحدة إلى الكتب الخطية اللاهوتية المحفوظة فى القلاية البطريركية العامرة والأديرة على قلة ما بقى سالما منها تكفى لاثبات ما كان لهؤلاء الرهبان سواء أكانوا رهباناً فى أديرتهم أو بعد تبوؤهم كراسى الاسقفيات من القدح المعلى والقدم الراسخ فى العلوم اللاهوتية.

وأعمال الرهبان الفاضلة وسيرهم العطرة وتعاليمهم السامية[١] تجدها مدونة فى كتاب بستان الرهبان. وهذا الكتاب جمعه وشرحه القديس فلكسينوس أسقف منج وعنوانه "الجزء الأول والثاني والثالث والرابع من المسائل لأخبار الرهبان المصريين (أو الفردوس) وشرحه للقديس فلكسينوس".[٢]

ووضع بادئ ذى بدء بالقبطية الصعيدية وترجم فيما بعد إلى القبطية البحرية فى برية أبو مقار التى ظلت وطنا لهذه اللهجة. ثم ترجمة إلى اللغة اليونانية بلاديوس وإلى اللاتينية القديس يرنيموس وغيره وإلى السريانية حنانيا يشوع[٣]، ثم ترجمه أخيرا إلى العربية من القبطية علماء القبط فى

---

[١] موجود نسخة من البستان بالمتحف القبطى راجع فهرس مخطوطات المتحف جزء أول طبع سنة ١٩٣٩ (رقم ٦١٣ تاريخ) ص٦٥ رقم ١٣٠.

[٢] الفهرس ذاته - ٢٩٤ لاهوت - ص٢٦، رقم ٤٥.

[3] cf. the little of Budge, Stories of the Holy Fathers (Oxford, 1934) and of Budge, Wit and Wisdom of Christian Fathers of Egypt (Oxford, 1934).

القـــرن الثالـــث عشر ومن السريانية بعض الآباء الرهبان السريان ثم إلى اللغات الحية الأوربية حديثاً.

والمعروف أن القديس أثناسيوس الرسولى كتب سيرة أنبا انطونيوس باليونانـــية ولسنا نعلم على التحقيق هل وضعها أولا بالقبطية الصعيدية أم باليونانـــية وهـــى موجـــودة ضمن مجموعة مورجان[١] بالصعيدية كما أن رسائل وتعاليم انطونيوس وجدت بالقبطية الصعيدية ثم ترجمت إلى العربية بديـــره بـــبرية العـــربة فـــى آخر سنة ٩٨٦ من – ١٢٧٠م (راجع فهرس مخطوطـــات المتحف القبطى لسميكه باشا سنة ١٩٣٩، جزء أول ص ٩٣ رقم ١٩٣).

ويحوى البستان تعاليم سامية تحث على احتقار أباطيل العالم وشهواته والاتحاد بالله. وهذا الكتاب وكتاب الاقتداء بالمسيح الذى ألفه توما الكمبيسى الراهـــب الهولانـــدى الكاثولـــيكى فى القرن الثالث عشر تعتبرهما الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية من أنفس الكتب الموضوعة عن التقوى والعبادة، ولهمـــا منزلة خاصة عندهم، هذا بخلاف مؤلفات الرهبان العديدة. وقبل أن أختتم كلمتى هذه أكرر ما قاله الرب لبولس الرسول "تكفيك نعمتى لأن القوة تكمل فى الوهن (٢كو ١٢ : ٩) وحقا تم هذا القول على القديس باخوميوس الجندى البسيط الذى لم يكن من زعماء عصره أو من قادة الرأى ولكنه بقوة إيمانـــه وكأنـــه يقـــول مع بولس الرسول أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقويـــنى (فـــل ٤ : ١٣) وقـــد اســـتطاع أن يغرس هذه النية التى أزهرت وتأصـــلت جذورهـــا فـــى مصر ثم امتدت أغصانها إلى الشرق وأوروبا، فاعتـــنق هذه المبادئ القديس بنديكتوس وسار على قوانين باخوميوس وبنى ديـــره الفخم العظيم فى إيطاليا وهو دير كاسينو[٢] ولسوء الحظ قد هدم هذا الديـــر فـــى الحـــرب العالمـــية الثانية أثناء غزو إيطاليا، وانتشرت رهبنة بنديكـــتوس فى أوروبا ولاشك أن أوروبا مع العالم أجمع مدينة بحضارتها

---

[١] مجموعة مخطوطات على الرق اشتراها الثرى الامريكى مورجان وأصلها بقايا مكتبة دير الملاك ميخائيل بقرية الحامولى قرب الفيوم.

[٢] قد تفضل قداسة بابا روما ووجه النداء للعالم كله لاعادة هذا الدير الذى كان مهدا للمدينة الأوربية فى القرون الوسطى.

ورقـيها وبكثـير من المخترعات والعلوم إلى علماء الرهبان الذين استقوا رهبانيـتهم عـن أبيهم القديس باخوميوس، ويجد الباحث كل هذه البيانات مدونة بالتفصيل فى محاضرة الأب يعقوب سالفة الذكر.

هـذه لمحة عاجلة عن آداب الرهبنة ومدى ما وصلت إليه من الرقى والسمو فيما مضى وأنى كأبن بار بالكنيسة وقد أتاحت لى ظروف عملى أن ألم إجمالا وتفصيلا بتاريخها وتاريخ الرهبنة والاطلاع على كل ما خلفه لنا الآباء من آثار ومخطوطات كما أتاحت لى زيارة كل الأديرة العامرة بالقطر المصـرى بـل وبعض ما اندثر منها، أقول عن علم إن الرهبنة اليوم مالها غير مالهـا بالأمس بل وأنها لا تسير فى نفس الطريق الذى رسمه لها الآباء الأولون، إذ تغـيرت النظرة إلى المادة عما رسم لها أولا. ولم نعد نسمع عن إنتاج علمى يشـبه عن قريب أو بعيد ما تموج به المكتبات الأثرية التى خلفها رهبان الأديرة من مخطوطات ثمينة تدل على تعميق فى الروحيات وانقطاع للدرس والتحصيل والتفسـير. هـذا إلى أننا برهبانيتنا الحالية من حيث عدد الأديرة وعدد مابها من رهـبان إنمـا نعيش على فتات الماضى. ولكن الأمل يملأ جوانحى فى أن تعود الرهبنة إلى مجدها القديم. ولا يسعنى إلا أن أقول مع داود النبى "فمن مثلك ياالله إذ أريتنى شدائد وشروراً كثيرة ثم عدت فأحييتنى (مز٤٩ : ٢٠)، "أيها الرب اله القوات ارجع الآن واطلع من السماء وانظر وتعهد هذه الكرمة أصلحها وثبتها هذه التى غرستها يمينك (مز ٧٩ : ١٥)".

يسى عبد المسيح

يوم الخميس من الجمعة السابقة من الصوم الكبير.

١٤ برمودة سنة ١٦٦٤ ش

٢٠ أبريل سنة ١٩٤٨م

الراهبات وأديرتهن

كان للعذارى المصريات منذ العصور المسيحية الأولى مكانة خاصة فـــى عـــالم التعـــبد والتنسك، حتى أن الكثيرات منهن فضلن حياة البتولية والانقطـــاع للعـــبادة فـــى بيوتهن. ونجد أول إشارة لذلك فى سيرة القديس انطونيوس مؤسس الرهبنة، إذ لما عزم على الذهاب للانقطاع للعبادة بعيداً عن العالم ترك أخته عند جماعة من المتبتلات. ولم يسكن النساء الصحارى بـــل كن يعشن بادىء الأمر بيوتهن منفردات أو مجتمعات، ثم اتبع بعضهن حـــياة العزلة والمعيشة فى القلايات، على أن أول جماعة منظمة للراهبات، أسسها القديس باخوميوس، فقد رغبت أخته مريم ذات يوم فى مقابلته ولكنه أشـــار عليها بالانفراد لعبادة الله وعمل الخير أن أرادت، فوافقته على ذلك لأن نيتها كانت هكذا. فبنى لها الأخوة الرهبان مسكناً بالقرب من ديرهم فى مديـــنة طبانيسى التابعة لكرسى دندرة إذ ذاك. وانتشر صيت ذلك فى أنحاء الـــبلاد فأتى عندها كثير من العذارى اللائى أردن أن يعشن مثلها متبتلات ومـــنقطعات للعـــبادة والتنســـك والصلاة، فبنى لهن الرهبان عدة صوامع متجاورة وهكذا تكون أول دير للعذارى.

ولقد وضع القديس باخوميوس القوانين للراهبات أسوة بالرهبان، فكان الرهـــبان يقومـــون بالأعمال اللازمة للأديرة كالبناء وغيره مقابل أن تقوم الراهـــبات بإعداد الطعام لهم. ولم يكن مسموحاً بدخول دير الراهبات لغير الكاهـــن والشـــماس لعمل القداس فى أيام الآحاد. وإذا كان لراهب أخت أو قريـــبة بالديـــر أمكنه زيارتها مصحوباً بأحد إخوانه الرهبان المتقدمين فى الســـن فى حضرة رئيسة الدير "الأم" التي كانت تقوم بالاشتراك مع رئيس الدير بالنظر فى شؤون الراهبات وتصريف أمورهن بالمراسلة. وفى حالة انـــتقال راهـــبة إلـــى ربها كان يوضع جسدها بجوار النهر فيأتى الرهبان ويأخذونـــه فى قارب حيث يدفنونه. وكان من واجبات الراهبات أن يذهبن

للتـــناول دائما. ولما ازدحم الدير الأول بالراهبات. قام القديس باخوميوس بإنشـــاء ديـــر ثان قرب اخميم ثم انشأ تلميذه تيودور ديرا ثالثا بجوار فاو القريبة من قنا. كذلك أقام الأنبا شنودة دير للراهبات تحت رئاسته، وكان به ألف وثمانمائة راهبة. ويحدثنا بلاديوس وهو راهب زار مصر حوالي سنة ٤٠٠ مـــيلادية وكتب تاريخا شاملا للرهبان والنساك المصريين، عن أديرة أخـــرى للراهـــبات، منها أثنى عشر ديرا بجهة انطينوى قرب ملوى كان يـــرأس احداهما الأم "اماتليس" المسنة التى قضت ثمانين عاما فى التنسك، وكانـــت محبوبة من الراهبات إلى درجة عظيمة، وكانت تقيم معها راهبة تســـمى "تاؤور" لمدة ثلاثين سنة. ومما هو جدير بالذكر أن بعض الأغنياء كـــانوا يؤسسون الأديرة على حسابهم الخاص وينفقون عليها بسعة كما فعل رجـــل أســـمه الـــياس، فقد أسس ديرا للراهبات بجهة أتريب قرب سوهاج وتولى الأنفاق عليه من جيبه الخاص، وكان يحضر للراهبات كل لوازمهن وكل ما يحتجن إليه فى حياتهن، وألحق بالدير حديقة خاصة لهن. وذكر لنا مـــؤرخ آخـــر بأنـــه كـــان يوجد باكسيرنكرس بالفيوم عدد كبير جداً من الراهـــبات، مما ينهض دليلا على مدى اقبال العذارى والسيدات على حياة الزهد والعبادة، وعلى كثرة انتشار أديرة الراهبات.

وقد ترك لنا بلاديوس بصفة خاصة صوراً شائقة عن حياة الراهبات المصريات وفضائلهن، فيقول عن الأم (تاليدا) مثلا أن نعمة المسيح كانت لا تفارقهـــا لشـــدة تقواهـــا. ويحدثنا أيضاً عن الأخت "تاؤور" فيشيد بزهدها وتقشـــفها حتى أنها كانت لا ترتدى سوى الخرق البالية كما كانت تخصص كل وقتها للصلوات.

ويـــروى لـــنا هذا المؤرخ قصة الأخت "اولمبياس" التى أعتقت عبيدها ووهبـــت حللها الحريرية للمذبح ووزعت كل ثروتها على أعمال البر ومنحت الكثيريـــن مـــنحا عديـــدة، وصـــارت تلبس الخرق البالية وتقضى الوقت فى الصـــلوات والتعبد، وكانت تصنع خبز القربان وتجلس أما الفرن لخبزه بنفسها. ولم تأكل هذه الأخت اللحم بتاتاً وكان طعامها عادة من الخبز الجاف المغموس فى الخل، وأما أيام الأعياد فكانت تأكل السمك والخضر المطبوخ بالزيت.

وقد تدرجت الراهبات فى حياة التقشف حتى أمكنهن أن يعشن عيشة الرهبان الخشنة ويسكن البرارى والقفار والمغارات والقبور، فيذكر لنا بعض الآباء القديسين أنهم كانوا يسيرون فى البرية ذات يوم، فسمعوا أنين صوت إنسانى عند حافة الجبل، فلما ذهبوا إلى مصدره وجدوا مغارة بها امرأة فقالت لهم عند سؤالهم إياها أنها قاطنة فى هذه المغارة منذ مدة ثمانية وثلاثين سنة، وأنها كانت تعيش فى هذه المدة على أكل العشب ولم تر أحدا أبدا وان الله أرسلهم إليها ليدفنوها، وبعدما قالت هذه الكلمات أسلمت الروح.

فلما ضعف الإيمان فى القرون الوسطى قل عدد الراهبات وتخربت أديرتهن حتى لم يكن باقيا منها أيام المقريزى فى القرن الخامس عشر سوى خمسة أديرة، وفى هذا يقول: (وللنساء ديارات تختص بهن) فمنها:

١- دير للراهبات بحارة زويلة وهو دير عامر بالأبكار الراهبات.
٢- دير البنات بحارة الروم عامر بالنساء المترهبات.
٣- دير المعلقة وهو أشهر ديارات النساء عامر بهن.
٤- دير بربارة عامر بالبنات المترهبات.
٥- دير البنات بقصر الشمع بمصر على اسم (بوجرج).

أما أديرة الراهبات الموجودة فى أيامنا هذه فهى أربعة وكلها بالقاهرة وملحقة بكنائس توجد فى جوارها، ويسكنها عدد قليل من الراهبات يقضين أوقاتهن فى العبادة والتنسك والأعمال المنزلية للدير، ولكل دير رئيسة تسمى الأم وتذهب الراهبات إلى الكنائس المجاورة لديرهن للصلاة والتعبد، وهن فى الإيمان عظيمات عاكفات على العبادة والصلوات وهذه الأديرة الأربعة هى:

أولا- دير الأمير تادرس بحارة الروم شرقى كنيسة العذراء وبه ثلاثة عشر راهبة.

ثانياً- دير مارجرجس للراهبات بحارة زويلة به أربعون راهبة وبه مقصورة شاهقة البناء يرجع تاريخها إلى القرن العاشر.

ثالثاً– دير العذراء للراهبات بحارة زويلة بجوار الكنيسة، ولقد ذكره المقريــزى وجدد بناءه الأنبا مرقس البطريرك الأول بعد المائة "١٦٤٢ – ١٦٥٢"، ثم الأنبا كيرلس الخامس، وبه خمسة وعشرون راهبة.

رابعاً– دير القديس أبى سيفين "مرقوريوس" جوار كنيسة أبى سيفين بمصر القديمة، وبه مقصورة بها صورة أثرية للقديس أبى سيفين، وقد جدد بناءه الانبا كيرلس الخامس.

ولقد أخذت الامم الأخرى نظام رهبنة السيدات عنا وأسست بموجبها الأديرة العظيمة التى تقوم راهباتها بخدمات انسانية جليلة.

هــذا عــرض سريع لحياة الراهبات المصريات وأديرتهن لعل فيما تــنطوى عليه حياتهن وسيرتهن الحسنة من فضائل وتقوى وتمسك بأهداب الدين خير هداية للجميع.

موريس يوسف حنا



تاريخ مجيد انطوي وآثار رهبنة انمحت

جولة بين الإسكندرية ومصر القديمة
اندثار معظم أديرة مصر الشهيرة

إن مسـيحية مصر ذات القدم والرسوخ أبانت فى بدء انتشارها من المحاسن والمفاخر مالا يعثر المؤرخ على مثله بين تواريخ الأمم العريقة فى الحضارة التى اعتنقت المسيحية فى فجرها الأول إذ أقبلت على بشارة كلمة الخـلاص بشـوق حـار وتعطش زائد، وانتشرت البشرى السعيدة بسرعة عجيـبة مدهشـة فـى ربوع مصر وتأصلت ونمت وترعرعت وتفرعت وأثمـرت أثمارهـا اليانعة. ولما حدث ضيق شديد وأقبلت نذر الاضطهاد تترى من الخارج ضد الكلمة كلمة الحياة، ما فزع وارتاع أصحاب الدعوة الجديـدة ومـا مالوا أو تمايلوا وتقهقروا أو قلما ارتبكوا بل برباطة جأش وعزيمة لا تكل تقدموا إلى الأمام فى صفوف متراصة يؤدون الشهادة لدينهم السـمائى ويعترفون بملكهم الأوحد الأعلى ويستشهدون لدينهم السمائى غير مباليـن لهنبذيـن قد نصب أمامهم أو معاصير أو سفافيد محمية أو سيف مسلول أمام أعينهم أو أتون نار مشتعل ولم يثنهم عن الإيمان القويم تهديد أو وعـيد لا يقشـعر مـنه إلا القلوب الواهنة، والخلاصة قد احتقروا الحياة الحاضرة وحيوا العتيدة.

ولما رسخت قدم المسيحية ظهرت بين المسيحيين الدعوة إلى النسك وتجلـت فضائل العيشة المنعزلة عن العالم طلباً فى الكمال بأجلى مظاهره واقـتحم النسـاك الطرق الوعرة إلى البرارى وانكشفت الكهوف والمغائر وشقوق الجبال وهرع وفير من الأبرار إلى الصحارى وهجروا طوعا المدن والقرى العامرة وودعوا الأهل والأقارب وضحوا بالمال ورفضوا المنصب

العـــالمى غـــير آســفين وتوغلوا أفواجا فى فيافى الصحارى نابذين التنعم وملاذ الحياة الدنيوية وتقربوا من الوحوش واختاروا الحياة الشظفة وطوبوها حـــتى عمـــروا القفـــاز وقدسوها بابتهالاتهم وقتالهم المتواتر ضد الأرواح الشـــريرة، فصـــاروا مشهدا للملائكة والبشر وبلغوا فى قهر القوى المثيرة ومعـــاندة الطبيعة البشرية حداً يدعو إلى الإعجاب حتى أن الأمم المسيحية الأخرى عند سماعها ما آلت إليه هذه الحركة المباركة تعجبت غاية العجب وأخـــذت تردد فى دهشة ياترى ما هذه الهجرة التى نسمعها عن أخوتنا فى الديـــن، يهربون من الوادى إلى الجبال مثل الأيل الراكضة إلى ينابيع المياة العذبـــة. مـــن هؤلاء الذين قد ابتعدوا هاربين وانطلقوا إلى البرية كأن لهم أجنحة مثل الحمامة. قد طاروا إلى هناك ليستريحوا وينتظروا من يخلصهم من صغر القلب[1].

ولمـــا كـــثر عدد هؤلاء أراد الله تعإلى أن تتوطد الحياة النسكية على أســـس متيـــنة وتسير إلى درجة الكمال فاقام من بين متوحدى مصر رجالا ذوى همـــة عالـــية يأخذون على عاتقهم تنظيم هذه الحركة وتوحيد صفوف عباد الله المتفرقين فى البرارى الذين قد عاشوا إلى ذلك الوقت بغير رابطة أو تعاون روحى وأقاموا مجموعات مساكن لهم اى مجامع منعزلة ومتسعة علـــى طـــراز واحد محاطة بأسوار معدة للسكنى والعبادة والأشغال اليدوية حتى إذا ما آووا إليها فرارا من تأثيرات العالم المفسدة وجدوا لهم فيها جوا دينـــياً اجتماعـــيا نقـــيا وتمكنوا بسهولة من أن يسيروا على قوانين وأنظمة واحـــدة ويكملـــوا مطالب العيشة المشتركة من تعاون وخدمة المجتمع فى الروحـــيات والضروريات معا. وسيتناول كتاب آخرون البحث هنا عن هذا وذاك بتفصيل وإسهاب.

وتـــتجه أفكـــار الكثيرين فى مصر والإقطار الأخرى فى هذه الأيام وتـــتطلع أنظـــارهم إلـــى تلـــك الشخصـــية القدسية البارزة شخصية الأنبا باخومـــيوس أب المجـــامع ومؤسس أول الأديرة فى العالم كله لمضى ستة

---

[1] أنظر مز ٥٤ : ٥.

عشـــر جـــيلا علـــى نياحـــته، تحدوهـــم الرغبة إلى معرفة ما كانت عليه المؤسســات التى خلفها الأنبا باخوميوس لمصر عند نياحته وإلى إدراك ما كـــان لعمله من أثر بعيد المدى فى انتشار الأديرة فى مصر فى أجيال تالية فجدير بنا أن نبحث هنا عما بقى إلى يومنا هذا من أديرته وهى غرس يديه بوجـــه خـــاص كما أننا نأتى ببيان ملخص عما اندثر فى مصر من أديرة مشهورة تحت تأثير العوامل المختلفة على وجه عام.

فجولتـــنا فى أراضى الدلتا والصحراء الغربية ستسفر لك أيها القارئ اللبيب عن حقيقة مؤلمة، تملأ قلوب كل محبى الرهبنة أسفا عميقا إذ لم يبق من مئات الأديرة التى كانت فى مصر للرهبان والراهبات إلا عدد يسير جدا وهو لا يزيد عن ثمانية أديرة ومن لا يرثى معنا لهذا الانقلاب المحزن. من لا يـــندب هذه الحالة إذ بعدما كنا أغنياء بالمنشآت النسكية افتقرنا إلى هذا الحـــد. كـــيف لا وقد ذكر تاريخ البطاركة "وكانت البيعة يومئذ غنية ولها أربعة أعمدة يحملونها وهم أثناسيوس البطرك وانطونيوس وبخوم الراهبان وباســـيليوس أســـقف قيســـارية قبادوقية"[1].بعدما كانت أراضينا المباركة معروفة بخصوبة روحية نحسد عليها حيث لم تكن بقعة فى مصر لتخلو من ديـــر، أصيبت بعد ذلك بجدب وأى جدب بعد ما كنا فى مقدمة وعلى رأس الأمـــم المســـيحية الشرقية والغربية من جهة أمجاد الرهبنة وصيتها الذائع صرنا ذنبا لها. ولم يعد لنا من هذه الثروة سوى الذكرى وأى ذكرى – نحن الذيـــن كنا وقتا ما على شئ من الغنى وأصبحنا اليوم لا نملك إلا شيئا قليلا جـــدا. فقد كان رهبان مصر يلقبون قديما بالمجاهدين (AOAITHC) ولباس الروح ولباس الصليب وحسبوا من الصفوف الملائكية واعتبروا من أشجع جـــنود المسيح وضرب بهم المثل فى الجهاد والبسالة فى المعارف الروحية إذ تجلـــت فـــيهم كـــل معانى الرهبنة الحقيقية، وها نحن الآن نرقب بعين الحســـرة تدهور الرهبنة ونقول اللهم أرسل لهم سريعا مصلحا حازما تدبرا نـــزيها يـــنهض بالرهبنة وأقم لهم خير المدبرين والمرشدين بعدما كنا فى

---

[1] Evetts, Hist. Patr. I, p. 417 (153).

عصـــور ماضية من جهة ازدهار الرهبنة قبلة الأنظار ومثار الإعجاب في البلدان. صرنا اليوم عرضة لانتقاد مرّ لا من الخارجين بل من نفس أولاد دينـــنا. بعدمـــا كان رجال ونساء أتقياء من علية الشعوب الشرقية والغربية أمـــثال القديســـين إيرونـــيموس وبتومـــيانوس وملانيا وبولا واهروفينوس وبلاديـــوس وقسيان يفدون إلى مصر ليشاهدوا جمال وبهاء أديرتنا ويمكثوا تحت ظلها الوارف لا شهورا بل سنين ليرتووا من مناهل قداستها وعلومها الروحية وأخذوا عنا نظمنا ثم عادوا إلى أوطانهم وهم يعملون هناك وفق ما شاهدوا وأعجبوا به في بلدنا، صارت شبيبتنا القبطية المثقفة تنظر اليوم إلى الرهبنة نظرة عدم الرضا عنها إذا يقال بكل أسف إن وسائل النسك والبلوغ إلـــى الكمـــال الروحي والحصول على قسط وافر من العلوم الروحية غير مـــتوفرة فـــي الأديرة الآن. خذوا نسبة عدد الرهبان في قطر من الأقطار المســـيحية الأخـــرى إلى عدد المسيحيين به وقارنوها مع نسبة عدد رهبان أديـــرة مصـــر البالغ نحو ٣٠٠ راهبا إلى عدد أقباط مصر أي نحو مليون فحينـــئذ تلمسون نقصا فادحا وتندبون معي فقرا روحيا يتبين لكم من ناحية الحـــياة النسكية وروحا ماديا سرى في بعض الأوساط القبطية. بعدما كانت رهبـــنة مصر منارة عالية تبعث أشعة نورها الساطع إلى أقاصي المسكونة صـــارت حالة أديرة مصر من زمن مشكلة المشاكل وعقدة العقد يتكلم فيها البعض على غير هدى في المجلات والجرائد كيفما يشاء من ذم ولوم وقلما نجـــد بيـــن هـــذه الانتقادات المرة آراء صائبة تؤدي إلى الطريقة المنشودة لاصلاح الرهبنة وأعادتها إلى مجدها الأول.

فأمام هذا التغيير والانقلاب يحق لنا أن نقول بقلب متحسر: ياله من مجد قد انطوى وجمال وبهاء روحي قد ذوى. يالها من بيوت صلاة ونسك وقداسة قد زالت يالها من منابت فضيلة وأعمال بارة قد ذهب عنها الرونق ثم ضربت بعطل ومحلت ولم تعد تنبت. يالها من منابع فاضت خيرا وبركة قـــد انطمســـت. يالهـــا من مناهل علم قد جفت بيد الزمان. يالها من ثروة تاريخـــية عظـــيمة القيمة قد فقدت. ياله من عدد كبير من القديسين العظام ســـطعت نجومهـــم في أديرة مصر فأضاءوا أمصارنا في الأجيال الغابرة

وصـــاروا لآلئ نادرة القيمة تحلى بها جيد كنيسة الإسكندرية وقد انقطعت سلســلتهم الــرائقة كأن أنهار القداسة الجارية زمانا رجعت إلى الخلف أو تحولت عنها إلى أقطار أخرى.

فالآن قبل أن أدعو القارئ إلى مرافقتى فى جولة للبحث عن الأديرة المشــهورة المــندثرة، أرجــو أن أشير إلى حقيقتين هما فى غاية الأهمية: الأولى خاصة بموقع الأديرة فى مصر والأخرى خاصة باندثار معظمها فى عصور مختلفة.

إن المصـــادر التاريخية مع علم الآثار المسيحية تدل على أن مصر بعـــد الجيل السادس الميلادى ما كانت لتخلو منطقة من مناطقها من وجود أديـــرة فيها، غير أن هذه المناطق كانت تختلف بعضها عن بعض اختلافا كبـــيرا من حيث عددها فقد وجدت فى مصر فى الجيل الخامس إلى الجيل الســـابع مـــناطق كانـــت عامرة جداً بالأديرة كثر فيها عددها إلى حد كبير يدعونـــا إلى الدهشة منها إقليم الفيوم. ويخبرنا تاريخ البطاركة انه كان فى الجـــيل الثامن للأنبا إبراهيم أسقف الفيوم "مال كبير للبيع لأن كان عنده فى كرســـيه خمســـة وثلاثين دير بالفيوم وهو المتولى عليهم وكان عليه خراج خمس مائة دينار الذى لبيت مال السلطان لأجل ذلك كان مقدما عند كل أحد وكـــانوا تجـــار مصـــر يـــبايعونه ويشـــترون منه[١]" ومنها أيضاً الواقعة غـــرب الإســـكندرية وقد ورد فى تاريخ البطاركة أنه فى أيام رياسة الأنبا بطـــرس الـــرابع (٥٦٧ – ٥٦٩م) الرابع والثلاثين من بطاركة الإسكندرية "كـــان فـــى ذلـــك الموضـــع (أعنى غرب الإسكندرية) ستمائة دير عامرة كلهـــا بالأرثوذكســـيين وجمـــيعهم رهبان ورهبانات مثل خلايا النحل من عمارتهم"[٢].

---

(١) Evetts, Hist. Patr. LII, p. 94 (348) وذكر أبو صالح الارمنى فى ورقة ١٨ظ ٧ج (طبعة Evetts) ٣٣ ديراً.

(٢) Evetts, التأليف المذكور II. P. 472 (208)

وجديــر بالذكر أنه بجانب هاتين المنطقتين المذكورتين تقوم مناطق الفــرما وفسطاط مصر والبهنسا والأشمونين وانصنا (الشيخ عباده) والبلينا واخميم ودندرا واسوان. واكتفى هنا بالإشارة لضيق المكان.

وأمـــا الحقــيقة الثانـــية فهى أنه بعد الجيل السادس حتى اضمحلال الرهبـــنة المصرية كانت جميع أديرة مصر طول هذه العصور تواجه أشد الأخطـــار، الأمـــر الذى قضى أخيراً على وجود معظمها. نعم لقد عاشت الرهبـــنة فـــى مصـــر مـــدة جيلين مطمئنة فى نمو مطرد مرفوعة الرأس مبسوطة الجناح تظلل وادى النيل وكانت موضع فخر وعز فى جميع أنحاء العالم المسيحى ثم أخذت فى التأخر والاضمحلال وبدأت مظاهرها تأخذ فى الاخـــتفاء تحـــت تأثـــير عومل مختلفة منها: أولاً توإلى هجوم البربر على الأديـــرة وقد أشار تاريخ البطاركة إلى ذلك إذ يحدثنا عن أنبا بنيامين الأول الثامن والثلاثين من عدد بطاركة الإسكندرية (٦٢٢ – ٦٦١م) أنه "من هناك مضـــى إلـــى وادى هبيـــب وكـــان عـــدد الرهبان هناك قليلا لأنه عقيب الخراب الذى كان فى أيام دميانوس البطرك وكانت البربر لا تدعهم يكثرون هـــناك[١]، وحوإلـــى الجيل السابع "ثارت عربان الصعيد وملكوا كنيسة أبو مقار والقلالى ونهبوا جميع ما فيهم وفى بقية الديار"[٢].

ثم إن المنازعات الطائفية والجنسية فصرنا نرى الأديرة التى أسسها الملكيون أصبحت بتدخل السلطة الزمنية ملكا للقبط أو بالعكس والتى أسسها الأرمن أو النساطرة صارت ملكا للقبط، وهذا الأمر لم يقتصر على الأديرة فقط بـــل تعداهـــا إلى الكنائس ولما احتل فى سنة ٦٤٧م كسرى الثانى ملك الفرس مصـــر، أخرب بجيوشه ٦٠٠ ديراً كان موقعها غرب الإسكندرية[٣].وعلى أثر دخول العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص وقع خراب ودمار هائل لايقدر

---

(١) Evetts, Hist. Patr. Ll, p. 490 (226) بسبب هجوم البربر اضطر انبا بشاى ان يهرب إلى جبل انصنا كما ورد فى السنكسار تحت يوم ٨ ابيب "ولما اتوا البربر إلى برية شيهات فمضى ابو بشيه وسكن في جبل أنصنا". (R. Basset, Le Synaxaire (= P.O.T. XVII, fasc. 3, p.634 (1176).

(٢) التاليف المذكور تحت يوم ابرموده t.xvi, fasc. 2, p. 277 (919).

(٣) Evetts, Hist, Patr. Ll,p, 485 (221), 494 (230)

مداهمـــا فـــى منطقتيـــن عامرتيـــن بالأديرة والكنائس وهما فسطاط مصر والإســـكندرية ومـــا حولها. فلما استتب لهم الأمر فى مصر هدمت كنائس وأديـــرة كثـــيرة فى بقعة معروفة بالقرافة كانت عامرة من قبل بالصوامع والأديرة. ويجد القارئ هذا الخبر مدونا بكتاب تاريخ كنائس وديارات مصر تألـــيف أبـــو المكارم سعد الله جرجس مسعود المنسوب خطأ إلى أبو صلح الأرمنى إذ يقول: "وكانت تعرف بقرافة وتفسير هذه اللفظة النساخ أى نساخ الكتـــب وكانوا الرهبان بها فى صوامع وديارات وبيع كثيرة العدة هدموها المســـلمين العـــرب الذين وصلوا مع عمر بن العاص بن عدى وكان فتوح مصـــر فى المحرم سنة عشرين هجرية ومن الصوامع ماهو باق إلى الآن جعلهم المسلمين مواذن ثم امتدت الأيدى إلى أن عمروا من بعض جدرانها أســـاس هذا البستان وهى فى المشاهدة عامرة الخ"(١). وأما ما أصاب أديرة فسطاط مصر من الدمار فقد لحق أيضا أديرة الإسكندرية وما جاورها. وقد ورد فـــى تاريخ البطاركة أن "فى سنة ثلثمائة وستين لديقلاديانوس فى شهر دكنـــبريوس(٢) مـــن بعد أن ملك عمرو مصر بثلاث سنين ملكوا المسلمون مديـــنة الإسكندرية وهدموا سورها واحرقوا بيعاً كثيراً بالنار وبيعة مارى مـــرقس التى هى مبنية على البحر حيث كان جسده موضوعا هناك....... فأحرقوا هذا الموضع وما حوله من الديارات(٣).

ومن يستطيع أن يصف مدى الخراب الذى لحق بأديرة الصعيد على يـــد جيش مروان الثانى آخر خليفة الدولة الأموية فى منتصف الجيل الثامن ذلك الدمار الذى يلخصه تاريخ البطاركة فى هذه العبارة "فسار أولئك الكفرة إلـــى الصـــعيد وقـــتلوا جماعة من الاراخنة ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم وأهاليهم وأولادهم وأحرقوا ديارات لرهبان واخذوا الرهبانات حتى وصلوا إلـــى الشـــرق(٤)". وليس فى مقدار المؤرخ أن يبين تماما مدى ذلك الدمار

---

(١) أنظر ورقة ٤٢ج.
(٢) ديسمبر.
(٣) للتأليف المذكور (1 - 230) 5 - II, p. 494
(٤) (7 - 416) 3 - II, p. 162 على القارىء أن يقرأ فى كتاب أبى المكارم (ed. Evetts) ورقة ٤٤ خبر حادث مؤثر جرى عند نهب دير للراهبات بالجميمودات (كذا، اقرأ الجميورات).

الجسيم الذى وقع على الكنائس والأديرة والجوامع فى فسطاط مصر والبلاد الاخرى فى سنة ٧٥٤م لما أشعل النار مروان فى جميع مبانى تلك المدينة عند قوم جيوش الخراسنيين إليها[١].

ووصف لنا يوحنا الشماس فى سيرة أنبا ميخائيل الأول ذلك الحريق وكان شاهد عيان له "(قال مروان)...... لأنى اضرب جميع الفسطاط بالنار فعدوا الناس كلهم إلى الجيزة والجزيرة وغيرها وهرب جميع الناس فى المراكب حتى البنات المخدرات اللاتى لم يخرجن قط إليها مع أهاليهن وتركوا الناس جميع أموالهم وضرب النار من قبلى مصر إلى بحريها حتى انتهت إلى الجامع الكبير الذى للمسلمين ووقع فى البحر من الناس والبهائم مالا يحصى عدده بحسب انهم لم يجدوا من يعدو بهم لما هربوا من النار وكان الأخ يهرب من أخيه والصديق من صديقه والأعمى لا يجد من يقوده والمقعد والمفلوج والضعيف والشيخ والعجوز التى لا نهضة لها جميع هؤلاء احترقوا بالنار وكانوا الناس مطروحين فى الشوارع والأزقة والغيطان فى أعمال الجيزة كالأموات... وكانت الغلات التى بمصر قد احرقها مروان... ثم اعلم مروان أن أعداءه الخراسانيين قد وصلوا إلى الفرما فأنفذ قوماً إلى بحرى فى المراكب إلى كل كوره ليحرقوا كل مركب يجدونه فى البحر ففعلوا ذلك وأرسل قوما آخرين فى البر وتقدم إليهم بحرق المدن والكور والكروم والسواقى وكلما يجدونه فساروا حتى وصلوا أتريب فهموا بحرقها الخ[٢].

ومن بعد هذه النكبات المروعة ما زالت عوامل البلايا والخراب تترى الواحدة بعد الأخرى على البلاد وتنصب على أديرة مصر لاسيما على أديرة برية وادى هبيب وما كاد يمضى على وقوعها نحو مائة وخمسين سنة حتى ظهر عامل جديد من الدمار بأديرة تلك البرية. مما ورد ذكره فى تاريخ البطاركة إذ يخترنا بأن فى الأيام الأخيرة من رئاسة أنبا مرقس الثالث البطريرك التاسع والأربعين من عدد بطاركة الإسكندرية

(١) التاليف المذكور II, p. 168 (422)
(٢) التاليف المذكور III, p. 168-9 (422 - 3)

(٧٩٩ - ٨١٩م) "لـم يصبر الشيطان (على الهدوء والسلامة فى الكنيسة) الـذى هـو مقاوم الصلح فى كل حين ومقيم الشرور فبدأ وأنزل على برية وأدى هبيـب بلايا عظيمة التى هى مسكن للعرب وكانت برية وادى هبيب مـثل فـردوس النعـيم فنهـبوها العـرب وأسروا الرهبان وهدموا بيعها والمناشـيب[١] وتشـتتوا الشيوخ القديسين فى كل موضع من الأرض[٢]". وورد أيضاً "وكان قبل نياحة الأب القديس أنبا مرقس كانت البرية المقدسة بوادى هبيب خراباً التى ذاق خرابها الأب المذكور حتى أنه سأل الرب فى نقلـه من هذا العالم وألا يبقيه للحزن الذى ناله على تلك المواضع لما نالها مـن العرب المخالفين وكونهم ملكوها وطردوا آباءنا القديسين الذين كانوا فيها وقتلوا منهم جماعة وأحرقوا البيع والمناشيب أعنى القلالى بالنار ولأجل ما نالهم من القتل تفرقوا الرهبان فى المدن والقرى والديارات بأعمال مصر والصـعيدين ولم يبق فيها منهم إلا نفر يسير ممن اختار الموت ليفدى نفس أخوتـه بنفسه فورث الحياة الأبدية بصبره الخ"[٣]. ثم مر نحو قرن وكانت الكنائس والأديرة تتمتع فى خلاله بهدوء وقتى وكان البطاركة لاسيما الأنبا يعقوب الخمسون من عدد بطاركة الإسكندرية[٤] يهتمون بتعمير ما قد خرب مـن الأديرة وما كاد ينتهى بطاركة الإسكندرية من تجديد وتعمير الأديرة المخربة فى الجيل العاشر بعد أن افرغوا قصارى جهودهم وأمدهم أراخنة مصـر الأسـخياء بالأموال الطائلة حتى ثارت موجه من الاضطهاد ضد نصـارى مصـر وصـلت إلى درجة الجنون فى أيام الحاكم بأمر الله أبى المنصور الذى أصدر الأوامر بتخريب وهدم كنائس وأديرة مصر[٥]. وفى سـنة ١١٦٨م لـم تـنج الكنائس والأديرة الواقعة فى منطقة الفسطاط من الخراب عندما أحرق شاور العدى الوزير مدينة الفسطاط. وفى السنة التالية

---

(١) وللفرد منها المنشوبى ومعناها المسكن والمقصود هنا مسكن الراهب أى القلاية مأخوذة من القبطية Manshopi.

(٢) التأليف المذكور (552) IV, p. 438

(٣) التأليف المذكور (5 - 554) - IV, p. 440)

(٤) التأليف المذكور (4 - 573) 460 - 459 ,(567) IV. P. 453

(٥) ستصدر جمعية الآثار القبطية بالقاهرة الجزء الثانى من تاريخ بطاركة الإسكندرية ويجد فيه القارىء تصرفات الحاكم بأمر الله بالتفصيل.

لهـــذه الحادثـــة هـــدم أيضاً عدد كبير من الأديرة حينما زحفت على مصر جيوش الغزو أو الأكراد تحت قيادة شيركوه فنهبوا ما استطاعوا أن ينهبوه وخـــربوا كل ما وجد فى طريقهم[1] زد على ذلك أنه عقب الدمار المتكرر الـــذى قد ذكرناه قد قضت الرمال من جهة وفيضانات النيل العالية من جهة أخـــرى. على كثير من الأديرة الواقعة فى البرارى وعلى ضفاف النيل كما ذكر ذلك أبو المكارم المشار إليه، فى عدة مواضع من كتابه.

ولكى يستطيع القارئ أن يكوّن فكرة عما آلت إليه حالة أديرة مصر مـــن التدهور والاضمحلال، نذكر أن آخر خطب نزلت بالأديرة وكانت بلا شـــك أوقـــع وأروع مـــن كـــل ما سبق من نوعها، ذاك الضيق والضنك والاضطراب والكرب التى أثارها فى سنة ١٣٢١م الملك الناصر محمد بن قـــلاوون فى أيام رياسة البطريركين الأنبا يؤانس الثامن والتاسع، إذ أحدث مـــن الخـــراب والدمار بالكنائس والأديرة مالم يشاهد مثله القبط منذ تاريخ الملـــك ديقلاديـــانوس. وكـــان فى هذا الاضطهاد القضاء المبرم على حياة ووجـــود الأديرة اللهم إذا استثنينا أديرة وادى هبيب التى نجت كما لو كان ذلـــك بأعجوبـــة. ولم تقم ولم تعمر أديرة مصر بعد على أثر هذه الضربة القاضـــية على حياتها، وقلما يصدق المرء بما جرى من الفظائع والمظالم والنهب والدمار لجميع طبقات الأمة القبطية لولا أن مؤرخا مسلما ذا شهرة عالمية هو الشيخ المقريزى الذى دون فى كتابه المشهور تفاصيل تدمير ٥٦ كنيســـة وعـــدد كبير من الأديرة إذ يقول: "وضرب من الديارات شئ كثير وأقـــام ديـــر البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد. وكانت هذه الخطوب الجلـــيلة فـــى مدة يسيرة قلما يقع مثلها فى الأزمان المتطاولة هلك فيها من الأنفس وتلف فيها من الأموال وخرب من الأماكن مالا يمكن وصفه لكثرته ولله عاقبة الأمور"[2].

---

(١) أبو المكارم ــ كنائس وديارات مصر طبعة Evetts الورقة ٨٨ج.

(٢) كتاب الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الرابع، طبع بمطبعة النيل بمصـــر ١٣٢٦هـــ ص٤٣٢. وقد راعينا عند ذكر الأديرة التى وضعها المقريزى فى آخر الجزء الرابع من مؤلفه الخطط، الاشارة إلى ترتيب الأديرة الذى وضعه Evetts, فى الملحق لكتابه:
Churches and Monasteries in Egypt.

فكـــم مـــن أديـــرة بلغ نموها أوجه الكمال وازدهرت بمن سكنها من الرهـــبان ثـــم هدمت وجددت وأعيدت عمارتها ثانياً وبعد حقبة من الزمان أحرقـــت ثـــم عمرت للمرة الثالثة أو طرد سكانها وأصبحت أثراً بعد عين وتشتت رهبانها أيدى سبا وتشتتوا على أثر هجوم البربر أو عربان الصعيد يؤيد ذلك ما جاء فى كتب التاريخ عن دير أبا مقار.

وســيجد هــنا القــارئ الكــريم بــيانا بأسماء أديرة الوجه البحرى المشـــهورة التى اندثرت فى غضون أربعة عشر قرناً مرتباً ترتيباً جغرافياً يبـــتدئ مـــن البقعة المحيطة لثغر الإسكندرية وينتهى بمديرية الجيزة، أى الأديـــرة التى وجدت فى الوجه البحرى والصحراء الغربية. وفيما يلى بيان المصـــادر والمراجع التاريخية التى استقيت منها هذا البيان ليرجع إليها من يشاء.

وهذا البحث متشعب النواحى قد تعترض الباحث فيه عقبات ومسائل عسيرة الحل لتناقض المصادر بعضها لبعض. ومن المشاهد أن بعض هذه المصـــادر تذكـــر رواياتها فى شئ من الغموض يصعب فهم الغرض منه. ضـــف إلى ذلك أن تاريخ كثير من الأديرة منذ تأسيسها إلى حين اندثارها يتراوح نحو العشرة قرون أو بعبارة أخرى ما بين القرنين الرابع الميلادى والرابع عشر. فاختيار أدق وأضبط المراجع له فى نظر الباحث أهميته ولا يســـأمن القارئ من مراعاة التدقيق فى ذكر المصادر والمفاضلة بينها فأن ذلـــك إنمـــا يعـــود إلى شدة حرص الباحث على الوصول إلى الحقيقة جهد الإمكـــان. وقبل هذا البحث الشيق والهام الذى يتناول حقبة من تاريخ أمتنا العزيـــزة والـــذى يذكرنا بما كان عليه آباؤنا من تهافت على مطالب الحياة الروحـــية ومـــن زهد عديم النظير وروح تقشف نادرة المثال وتشبع بروح الدين القويم جعلتهم متشبهين بالأرواح العلوية جدير بأن يحفز القارئ الكريم إلـــى المزيد من البحث والاطلاع فى بطون التاريخ القبطى وبذل المساعى فى إظهار الكثير مما لم يزل مجهولا منه لغاية الآن.

وإنـــنا لننتهز هذه الفرصة التى أتيح لنا فيها رفع الستار عن صفحة مطويـــة مـــن صـــميم تاريخ الأمة المصرية وعلى وجه التخصيص تاريخ العصـــر القـــبطى الوطـــنى لنهيب بشبيبتنا المتعلمة الذين تتفق ثقافتهم وما تخصصـــوا فـــيه وهـــذا المـــنهج كخريجى الكليتين الاكليريكيتين القبطية الأرثوذكســـية والقبطـــية الكاثوليكية وصفوة آبائنا الرهبان والقسوس الذين يعنون بدراسة تاريخ أمتهم وكذا أساتذة علم التاريخ فى المدارس المصرية وموظفـــى المـــتاحف وعلماء الآثار، نهيب بهؤلاء أن يوجهوا جهودهم إلى استغلال مواهبهم ومقدرتهم للعمل على دراسة المخطوطات التى تبحث فى تاريخ بلادهم وخدمة كنيستهم بالعمل على نشر هذه المعلومات إذ لا يخفى أن تاريخ القبط يكون جزءاً أصيلا أساسيا من تاريخ مصر بأجمعها ويرتبط ارتـــباطا وثـــيقا بأحداثه. ومما لا ريب فيه أن هذا الجزء من التاريخ الذى تحـــوى متاحفنا ومكتباتنا العامة وخزائن كنائسنا وأديرتنا الشىء الكثير منه إنمـــا يحـــوى حوادث جللا ويفيض بسير البطولة والتضحية والثبات على المـــبدأ الـــتى اشتهر بها رجال هذه العصور والتى يعود نشرها على الأمة جمعـــاء بالفخـــر والفضل ولعله من حسن الحظ أن مادة مثل هذه الأبحاث مـــتوفرة متـــنوعة وفى متناول اليد ولا تستلزم أسفاراً إلى بلاد نائية وهذا واجـــب وطـــنى لســـنا نجد أولى من شبيبتنا الناهضة بالاضطلاع به حتى يقوموا بواجبهم فى نشر فضائل أجدادهم، ولا نعير بأن الأجانب البحاث هم أصحاب الفضل فى نشر مدفون آثار تاريخنا القبطى. ولعله مما يحفزنا إلى الأقـــدام علـــى حـــل هـــذا العبء ما هو معلوم من أن الكثير من الأبحاث التاريخية قد نشرت على يد بعض أفاضل الأجانب من هواة التاريخ الذين لم تكـــن أعمالهم ووظائفهم لا تمت إلى دراسة التاريخ بصلة. نذكر على سبيل المثال:

أرى أســـتاذا أجنبيا فى الجامعة المصرية مع أن ليس له بين دراسته فـــى الجامعـــة والأدب القبطى أية صلة فهو يقوم كل سنة بنشر مخطوطة قبطـــية أو بحـــث فياض فى الأدب القبطى. أرى فى مصر شخصا أجنبياً

آخــر[1] فــي وظــيفة لا علاقــة بينها وبين الأدب القبطي أو الآثار وهو يعكــف على دراستها في أوقات فراغه وينشر من وقت إلى آخر المقالات العلمــية القــيمة كأنـــه أستاذ في الأدب القبطي أو الآثار القبطية في إحدى الجامعات.

أرى عالمـــا أجنبـــيا آخر يقدم لنا سيرة حياة الرجل المصرى العظيم والراهب المثالي الأنبا باخوميوس مقتبسا من مخطوطات قبطية متفرقة في عــدة مــتاحف العــالم باللهجتين البحرية والصعيدية على أحدث الأساليب العلمــية مصــحوبة بترجمة دقيقة لكل منهما[2] وهكذا أماط اللثام عن حياة كانـــت مجهولة لكثيرين حافلة بالأمجاد وهو عمل قل أن يجد قبطيا يقوم به لفائدة مواطنيه.

أرى هرما قارب الثمانين صارفا عمره كله في البحث والتنقيب عن الأدب العربى المسيحي ويقضي أيامه الأخيرة في روما مشتغلا بجد ونشاط يدعـــوان إلـــى الإعجاب وهو يتمم الآن الجزء الرابع لكتاب "تاريخ الأدب العربى المسيحي". وأخيرا أرى بجانب هؤلاء، القبطي المثرى الذى لا يهتم بعمـــارة الكـــنائس والأديرة الأثرية والقبطي الذى يسمح له مركزه بالبحث والتنقيب عن الماضي والمجال متسع أمامه وهو لا يكلف نفسه عناء وضع مقـــال عـــن تراث آبائه. فمثل هؤلاء لا تقرهم الأمة ولا تشعر بعضويتهم وانضـــوائهم تحـــت لوائهـــا ولا تستفيد من غناهم أو مواهبهم أو مراكزهم الأدبـــية ماداموا لا يشعرون بالواجب الذى عليهم نحو أمتهم وكنيستهم وإن أقل ما توصف به مثل هذه الحالة أنها العجب العجاب.

أمـــا مـــن وجهة المصادر التي ساعدتنا على القيام بهذا البحث ولها المرتـــبة الأولـــى والتي تمدنا بأجلى بيان عن حالة الأديرة في القرن الثاني عشـــر الميلادى هو المؤلف المعروف باسم "كتاب كنائس وديارات مصر" لأبي المكارم سعد الله جرجس مسعود المنسوب خطأ إلى الشيخ أبي صالح

---

[1] وقد رأيت كثيرين منهم فاذكر المرحوم البحاثة A. de Cosson الذى كان موظفا كبيرا في مصلحة السكة الحديد المصرية.

[2] هو الأب L. Th. Lefort أستاذ اللغة القبطية بالجامعه الكاثوليكية بمدينة لوفين (بلجيكا).

الأرمنى، إذ أنه يمدنا بأوفى بيان عن حالة الأديرة فى القرن المشار إليه. قد نشـره العلامـة D.Evetts فى سنة ١٨٩٤ – ١٨٩٥ نقلا عن المخطوطة الفريدة المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس وترجمها باللغة الإنجليزية وذيله بالحواشى إلا أنه ينقصه من الأول ٣٢ ورقة موجودة بطرف قبطى يحتفظ لنفسـه بنشرها، نؤمل أن ينشرها قريبا. وهذه الأوراق تحوى بيان الكنائس والأديـرة فى الدلتا والصحراء الغربية. ومع أنه مصدر تاريخى موثوق به يمدنا بمعلومات قيمة عن بعض الكنائس والأديرة فى مصر، إلا أنه لا يخلو من عيوب ونقص إذ أن ذكر ووصف كثير من الكنائس والأديرة بكيفية لا تسير على أى نظام، تحول دون إمكان تحديد مواقعها الجغرافية على وجه التدقـيق. وكـذا ورد فـيه أشياء مهمة وأوصاف مكررة وأسماء لا يمكن ضـبطها بالشكل ويرجع ذلك إلى التحريف الذى حصل من جهل الناسخ أو النسـاخ. يضاف إلى ذلك ما جاء فيه من أوصاف وبيانات مبتورة كأن يبدأ المؤلف أحيانا فى سرد أحداث أو بيانات ثم يتركها دون أن يتممها ولا يعلم بالضـبط أمرجع ذلك إلى السهو أو النسيان أو سبب آخر. وقد ذكر الكاتب أن مؤلفه ملخص لكتاب آخر أوسع شرحا، واعتذر لقارئيه عما به من عدم تناسـق أو ترتيـب فى المشاهدات والمحادثات التى جرت بينه وبين بعض أشخاص بقصد الوقوف على بعض أمور كان يجهلها.

وثمة كتاب آخر يجئ فى المرتبة الثانية التى يعول عليها فى البحث فى هذا الموضوع هو كتاب الخطط المقريزية المسماة "بالمواعظ والاعتبار بذكـر الخطط والآثار" للمؤرخ المسلم الشهير الشيخ الإمام تقى الدين احمد بـن علـى بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزى المتوفى فى سنة ١٤٤٢م. ورد فى الجزء الرابع من التأليف المذكور ذكر ووصف مختصر هـو أقل فى الدقة من وصف أبى المكارم عن ٨٦ ديرا للرهبان والراهبات فى مصر منها ٨٢ للقبط و٤للملكيين[1] ومع احتوائه أحيانا على ذكر أمور

---

[1] انظر طبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٦هـ، الجزء الرابع، ص٤٢٣. ويجد القارىء الترجمة بالانكليزية فى كتاب Abu Salih the Armenian
The Churches and monasteries Egypt.ed. An trans. B.T.A. Evetts (Oxford 1894 – 95), Appendix, p. 325.

غـير صـحيحة فهو خير مصدر يستعين به الباحث ويكمل ما بكتاب أبى المكـارم الديـارات السالفة الذكر من نقص. يضاف إليهما مؤلف آخر يقل كثـيرا عنهما من حيث بيانه عن أديرة مصر وتفصيل الحوادث التاريخية وهـو "كتاب الديارات" لأبى حسن على بن محمد الشابشتى الذى كان يعمل فـى خدمة العزيز بن المعز الخليفة الفاطمى وعاش فى النصف الثانى من القـرن العاشـر الميلادى. وقد وصف فى كتابه ٥٤ ديرا معظمها الأديرة الواقعة فى العراق وبعضها فى فلسطين، ومنها تسعة فقط فى مصر. ونشر الدكـتور عزيز سوريال لأول مرة ما جاء فيه بشأن أديرة مصر فى مجلة جمعـية الآثـار القبطـية فـى المجلد الخامس سنة ١٩٣٩ وألحق بالنص الـترجمة الإنجلـيزية وذيلها بالحواشى (ص١ – ٢٨). ثم جاء ذكر بعض الأديـرة وإن كانت قليلة العدد فى ثلاثة تواليف يرجع تاريخ الاثنين الأولين مـنها إلـى القرن الثالث عشر، والثالث منها إلى القرن الرابع عشر وهاك أسماءها:–

"معجم البلدان" للمؤرخ ياقوت و"آثار البلدان" للقزوينى و"كتاب مسالك الأمصار" لابن فضل الله العمرى.

وخـلاف هـذه المصادر التى تمدنا بمعلومات عن أديرة مصر دون ذكر مواقعها فى أقاليم مصر، يوجد لدى الباحث كتاب خاص لوصف أديرة الفـيوم فقـط وقد ألمحنا فى أول هذا المقال إلى أن هذا الإقليم كان عامراً بأديـرة منذ أول ظهور الرهبنة فى مصر وهو "كتاب تاريخ الفيوم"[1] لأبى عثمان نابلسى الصفدى الشافعى من أمراء الشام، وكان من أتباع نجم الدين السـلطان الأيوبـى. وحينما ولاه على الفيوم، أمره السلطان بأن يرفع إليه تقريراً مفصلا عن حالتها فجاء ضمن كتابه ذكر ١٣ ديرا و٢٥ كنيسة كانت موجـودة فى ذاك الإقليم حوإلى منتصف القرن الثالث عشر، ذكر المؤرخ أبو العباس أحمد المعروف باسم يعقوبى الذى عاش فى القرن التاسع وأوائل

---

[1] كتبه فى شهر ذى القعدة سنة ٦٤٢هـ - ١٢٤٥م. قد وصف احمد زكى باشا هذا الكتاب بعنوان Une Description Arabe du Fayyoum (Bulletin de la Sociédiviale de Géographie, 1898, no V), p. 253 ss. ونشر G.Salmon ترجمة هذا الكتاب فى المجلة BIFAO., I, pp. 29-77.

القـــرن العاشر فى مؤلفه "كتاب البلدان" ديرين فى مصر وهما دير أبو مينا (غرب الإسكندرية) ودير أبو شنوده (عند أخمم)[1].

ولا يجـــب أن يقتصر البحث على المصادر المذكورة ويقف عند هذا الحـــد بـــل نظـــرا إلى ضياع الكثير من مصادرنا وخلو الموجود منها من الترتيب فى سرد الوقائع التاريخية والغموض الذى يحيط ببعض النصوص وعـــدم تضـــمنها الوصف الكامل لكثير من الأديرة، فلا غنى للباحث الذى يرمى إلى استيفاء البحث عن الرجوع أو الاستعانة بمصادر أخرى يرد فيها الكـــلام عـــن الأديرة عرضاً. وبين المراجع يجب أن يذكر تاريخ بطاركة الإســـكندرية للأنبا ساويرس أسقف الأشمونين وغيره من الذين اكملوا هذا التاريخ او ساهموا فيه. ومن دواعى التوفيق أنه بعد مضى زمان طويل قام بعـــض الأقباط منذ بضع سنوات واستأنفوا أخيراً نشر هذا المرجع الضخم الهام الذى إن لم يتمر وينشر باقيه فلا يمكن للقبطى أن يلم إلماما تاما بتاريخ كنيسته.

ويلـــى فـــى الأهمـــية التاريخية هذا المرجع الرئيسى الصافى الذى يتضمن وصف جميع مظاهر الحياة المسيحية فى مصر وعلاقاتها مع الأمم المسيحية المتجاورة تأليف آخر، يجد فيه الباحث ضمن تاريخ المسيحية فى مصـــر منذ أول ظهورها لغاية القرن العاشر، معلومات من شأنها أن تكمل معرفته بأديرة مصر وهو كتاب نظم الجوهر[2] ألفه سعيد بن بطريق الذى كان بطريرك الإسكندرية لطائفة الملكية وتوفى فى سنة ٩٤٠م.

ويجـــد الباحث فوق هذه المصادر معلومات قيمة فى شأن الأديرة فى كـــتاب السنكســـار للكنيسة القبطية وسير الآباء القديسين المصريين لاسيما الرهـــبان منهم ونذكر على الأخص سيرة حياة الأنبا باخوميوس الموجودة بالهجتيـــن الصعيدية والبحيرية وباللغتين اليونانية والعربية وهى تميط اللثام عن الأديرة التى أسسها الأنبا باخوميوس بالتفصيل. ولا يفوتنا أن نذكر أنه

---

[1] Y a' kubi, Les Pays, traduit par Gaston Wiet (Le Caire 1937), pp. 187, 201.

[2] نشر تحت اسم كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق طبع الجزء الأول منه ببيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥م والثانى سنة ١٩٠٩م.

يوجــد مخطوطات كثيرة لم تنشر إلى الآن ولو نشرت لا تسع كثيراً أمامنا مجال البحث ولتسنى لنا معرفة الكثير من المعلومات ولا تسع أيضاً المجال أمام بحوث المستشرقين.

واقتصرنا في هذا الجدول الذى نقدمه للقارئ اللبيب على ذكر أسماء وموقع أديرة الوجه البحرى التى اندثرت مع ملاحظات ولم نذكر منها أسماء الأديــرة القديمـــة الـــتى لا تزال عامرة بالرهبان. وغنى عن البيان أن كثيراً من الأديــرة اندثر وعفت آثاره تماما وانمحت معالمه ولم تعد هناك أية بقايا منه تدل علـــى موضعه وبعضها ما زالت أنقاضها قلت أو كثرت باقية إلى اليوم. كما أن بعضها أيضاً قد تحول منذ زمن إلى كنائس تقام فيها الآن الشعائر الدينية.

وقد انصرف كل اهتمامنا فى ما ندونه هنا إلى مراعاة التدقيق العلمى والأمانة فى النقل مع إيقاف هذا البحث حقه جهد الطاقة وعلى قدر ما يسمح به المجال، ولسنا ندعى بهذا أننا قد وفينا الأمر حقه إذ أن بحثا كهذا يضيق عنه المجال فى مقال متواضع كهذا وموضعه مؤلف ضخم يستغرق وضعه بحثا طويلا خلال عدة سنوات.

لقــد اشتهرت المنطقة الغربية بظاهر الإسكندرية منذ القرن الخامس الميلادى بكثرة الأديرة ولكن للأسف قد تخربت كل هذه الأديرة عن آخرها قــبل القرن العاشر. ذكر فى تاريخ البطاركة[١] فى سيرة الأنبا اندرانيقوس وهو السابع والثلاثون فى عدد بطاركة الإسكندرية (٦١٦ – ٦٢٢م) أن فى أيامه أخذ كسرى ملك الفرس، مصر وتسلط عليها، وجعل اهتمامه أن يفتح المديــنة العظمى الإسكندرية وكان هناك ستمائة دير عامرة بها ناطون مثل أبراج الحمام وكانوا مستغنين"[٢] بطرين بلا خوف من كثرة نقمتهم ويفعلون أفعـــال الهزؤ وكان جيش الفرس قد أحاط بهم من غرب الديارات ولم يبق

(١) راجع Eveetts, Hist. Pat II (Po., t. x, f.s), p. 485 (221)

(٢) ويرود هنا ما جاء فى خبر هذا البطريرك فى كتاب السنكسار (٨ طوبه) وهو لا يخرج عن معنى ما تقدم "وكان حولها ستمائة دير عامرة بالرهبان مملوة أموالا وأرزاق إلا انهم كانوا بطرين بذخين فسلطة الله عليهم ولخر بهم وقتل كلمن فيهم إلا اليسير الذى استتجى منه وهرب ونهب ما كان فيهم ولم يعودوا يعمروا إلى الآن".

لهم ملجأ فقتلوا جميعهم بالسيف إلا قليلا منهم اختفوا فخلصوا وجميع ما كان هناك من المال والأوانى نهبوه الفرس واخربوا الديارات إلى الآن".

ويستنتج من هذا القول، ضعف روح التنسك عند رهبان الأديرة الواقعة غرب الإسكندرية وليس فيه شيء من المبالغة إذ نسمع أن أنبا بمفو القس بكنيسة شيهات يصرح بهذا لهلاريا ابنة الملك زينون عندما سألته أن يلبسها اسكيم الرهبنة قائلا "يا ولدى ما يمكنك المكث هاهنا أنك ابن نعمة وتعودت براحة الجسد بل أن أردت الرهبنة فامضى إلى الانياطون[(١)] لانه مغتنب وفى هذا المكان جماعة من الأغنية الذين ترهبوا وهم هناك بغير كلفة ويجدون ما يتعزون ونحن فبعيدين من مصر متباعدين من السهل والبلاد اربعين يوما وليس عندنا عز حتى وإلى الملابس نحن فى ضائقة لعدمهم وأنت فلا قدرة لك على مواكلنا الشظفة وحياتنا النكدة"[(٢)].

وسنذكر فيما يلى ثلاثة عشر ديراً فى منطقة الإسكندرية من الجهة الغربية والشرقية:

١- دير يمبتون Ϯo Ⲡⲉ̀ⲙⲡⲧⲱⲟⲩ. وكان أقرب للاسكندرية من الجهة الغربية والواقع بقرب ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد خمسة أميال من الإسكندرية كما يدل عليه اسمه.

٢- دير الزجاج ويسمى بالرومية طوهانا دون[(٣)] Ϯo ⲉ̀ⲛⲁⲧⲱⲛ وكان أكبر واشهر الأديرة الواقعة بظاهر الإسكندرية غربا وكان يعرف أيضاً بدير بها ناطون[(٤)] (Pi-hanatoun) ودير الهاناطون[(٥)] ودير باتارون[(٦)] Ϯⲱⲛ ⲡⲁⲧⲉ̀ⲣⲱⲛ ودير تابور طور تابور[(٧)].

---

(١) كذا اقرأ "الهنا طون" أو "الاناطون".

(٢) راجع خبر القديسة هلاريا فى كتاب السنكسار تحت ٢١ طوبه. والنص الصعيدى فى:
J. Drescher, Three Coptic legends: Hilaria, Archellites, the Seven Sleepers (Le Caire, 1947), text p. 6; translation, p, 74.

(٣) راجع Evetts, Hist. Pat., III, pp. 25 - 26 (279 = 280)

(٤) راجع المؤلف المذكور الجزء الثانى pp. 473 (209), 485 (221)

(٥) راجع Yassa Abd al-Masih - O.H. E. Burmester, History of the Patriarchs of the Egyptian Chrch, Nol. LI, Pat. 1 (Le Caire, 1943), p.49.

(٦) وردت أيضا "ديرتابارون" (راجع Evetts, Hist, Pat, II, p.473 (209) و"بابارون" و"باتارون" راجع كتاب السنكسار ٧ لمشير و١٨ بؤونه.

(٧) راجع Evetts, Hist. Pat., II, p. 473 (209)

ويقع هذا الدير بغرب ساحل البحر الأبيض المتوسط كما يستدل مما ورد فـــي كتاب السنكسار (٢ أمشير) عن أنبا ليخينوس رئيس دير الزجاج أنـــه لما "تنيح اب الدير ولما قد عرفوا من سيرته (الأنبا ليخينوس) وحسن فضـــيلته جعلـــوه قمـــص علـــى الدير وبعد قليل أتى إليه أبوه الراهب أنبا لوكـــيانوس فكـــانوا (يعملوا) قلوع المراكب ويقتاتوا من عملهم وأقاموا فى الدير زمان بقلب واحد".

وكـــان يقع هذا الدير على بعد تسعة أميال غربا من الإسكندرية كما يدل عليه اسمه "إلها ناطون" (ومعناه تسعة) موقع بلدة الدخليلة الآن. وكان الأنبا بطرس الرابع[1] (٥٦٧ – ٥٦٩م) والأنبا دميان[2] (٥٦٩ – ٦٠٥م) والأنبا سـيمون الأول[3] (٦٨٩ – ٧٠١) والأنبا الاكسندروس الثانى[4] (٧٠٥ – ٧٣٠) من رهبان هذا الدير وبعض البطاركة[5] دفنوا فى هذا الدير، كما نقل أيضاً جسد الأنبا سويرس بطريرك إنطاكية إلى هذا الدير[6].

وقـــد ورد فـــي كـــتاب السنكسار (١٣ طوبه) خبر حياة القديس تاوفيلس الراهـــب "وكـــان ابن بعض ملوك جزائر رومية تسمى تامولاوس". فلما بلغ من العمـــر اثنتى عشرة سنة خطر بباله أن يرفض المملكة الأرضية الزائلة ويطلب المملكـــة السمائية الباقية فتنكر وخرج وصار يمضى من دير إلى دير إلى أن أتى إلى ديار مصر ومنها ذهب إلى دير الزجاج فلما نظره رئيس الدير أنبا بقطر علم بالـــنعمة الـــتى فيه، وليس ببعيد، إن أنبا بقطر الذى ذكر هنا كرئيس دير الزجاج هـــو نفـــس أنبا بقطر رئيس دير الهانطون الذى ينسب إليه وضع بعض قصص وأخـــبار دينـــية واردة فـــى كـــتاب السنكسار[7] ووردت فى مجموعة الأخبار

---

[1] وردت أيضـا "ديـر تابـارون" (راجـع (209) Evetts, Hist, Pat, II, p.473 و"يابـارون" و"باتارون" راجع كتاب السنكسار ٧ أمشير و١٨ بؤونه. وردت هذه الصور الثلاثة لاسم الدير خطأ.

[2] راجع (209) Evetts, Hist. Pat., II, p. 473.

[3] راجع المؤلف المذكور الجزء الثانى (206) p. 470

[4] راجع المؤلف المذكور (303) p. 49

[5] راجع المؤلف المذكور (301) p. 47

[6] راجع كتاب السنكسار تحت ١٠ كيهك. (281) Evetts, Hist. Pat. III, p. 27

[7] راجع كتاب السنكسار تحت ٣٠ هتور، ٧ طوبه.

المعـــروفة "مجموعة الأربعين خبر".[١] وذكر في سيرة القديس تاوفيلس الواردة فـــي كتاب السنكسار حادث يدل على أن عبد العزيز بن مروان[٢] كان حاكما في دمشـــق حينما كان القديس راهبا في دير الزجاج. لذلك يجوز لنا أن نقول إن أنبا بقطر رئيس دير الزجاج عاش في أواخر القرن الثامن الميلادى.

وذكـــر المقريزى "المتوفى سنة ١٤٤٦م" هذا الدير في كتابه الخطط الجـــزء الـــرابع (٧٨) إذ يقـــول: "ديـــر الـــزجاج" هذا الدير خارج مدينة الإسكندرية ويقال له الهابطون "كذا" وهو على اسم بوجرج الكبير من شرط البطرك أنه لابد أن يتوجه من المعلقة بمصر إلى دير الزجاج[٣] هذا ثم انهم في هذا الزمان تركوا ذلك". وعلى ما أظن أن هذا الدير ذكر لآخر مرة في ســـيرة الأنـــبا شـــنوده الأول[٤] وهو الخامس والخمسون من عدد بطاركة الإسكندرية "٨٥٩ – ٨٨٠م".

وقـــد ورد في ملخص مخطوطة أبي المكارم لكنائس وديارات مصر "الوجـــه البحرى": "دير الآباء على ساحل شرقي بحرى الديارات وكان به ٤٤ راهبا "إلى سنة ٨٠٤ ش – ١٠٨٨م"[٥]. وليست لهذا الدير بقايا.

٣- ديـــر اكتوكـــيدبكاطرن وهـــو الدير الثالث يقع في الطريق من الإســـكندرية إلى قيروان بقرب ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد ١٨ ميلا من الإسكندرية غرباً يوجد على بعد حوالى ١٨ ميلا من الإسكندرية منطقة تسمى للدير ولا يبعد أن يكون هذا موقع الدير القديم ولو أن الدير تخرب كله إلا أن اســـمه بقـــى حتى هذا اليوم وموقعه بجوار بلدة العامرية شمالاً حالياً[٦] ويرجع تاريخ هذا الدير إلى القرن الخامس الميلادى وله بقايا.

---

[1] W. crum in Studies presented to F. LL. Griffith (London, 1932), pp. 137 – 138.

[٢] قد ورد اسمه: مروان بن عبد العزيز. لظن أنه يجب أن تكون قراءته: عبد العزيز بن مروان.

[٣] أن ما يقوله المقريزى هنا عن توجه البطريرك بعد تقدمته إلى دير الزجاج لا يتفق مع ما يبينه كتاب تاريخ البطاركة بهذا الخصوص.

[٤] أن ما يقوله المقريزى هنا عن توجه البطريرك بعد تقدمته إلى دير الزجاج لا يتفق مع ما يبينه كتاب تاريخ البطاركة بهذا الخصوص.

Yassà "Add al-Masih – O.H.E. Burmester – History of the Patriarchs of the Egyptian Church, Vol. II, Part I, p. 49 (text) 72 (Translation).

[٥] راجع "دليل المتحف القبطى" بقلم مرقس سميكه باشا، الجزء الثانى، القاهرة ١٩٣٢، ص٢١٣.

[٦] تعتبر العامرية المركز الادارى لمنطقة مريوط.

٤- دير ايكوسطون وهو الدير الرابع فى الطريق من الإسكندرية إلى قيروان على بعد ٢٠ ميلا من الإسكندرية غربا. ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس الميلادى والدير لا بقايا له.

٥- ديــر تفسير الواقع بقرب بلدة أبو صير على بعد نحو ٤٠كم. غرب الإســكندرية ويقــرب مــن ساحل البحر الأبيض المتوسط. لم أجد فى المصادر التاريخية خبرا عن هذا الدير إلا أنه كان عامرا فى أولخر القرن السابع(١).

وقــد دلت الأبحاث الجديدة التى أجريت سنة ١٩٣٩ بمعبد أبو صير القريب من برج العرب أنه كان يوجد بها قلالى(٢).

٦- دير طمنوره(٣) بظاهر مريوط وكان عامراً بالرهبان فى النصف الأول مــن القرن الثامن الميلادى أما موقعه فمجهول(٤)، وكان فيه "الدير" راهــب شــيخ قديــس روحانى وشاب آخر راهب وكانا يعذبان أجسادهما بــالحديد والسلاســل(٥). وكــان الأنبا تاودوروس الخامس والاربعون من بطاركة الإسكندرية "٧٣١ - ٧٤٣م" من أولاد هذا الدير.(٦)

٧- ديــر مطــرا. كــان "هــذا الديــر" على ما أظن بجوار كنيسة الإنجيلــيون(٧). بالإسكندرية حيث البسقوبيون(٨) أى مقر أو قلاية بطريرك الإســكندرية كمــا يظهــر مــن بعض النصوص الواردة فى كتاب تاريخ الــبطاركة. وبعــد البحث الطويل عن أصل هذا الدير لم أعثر إلا على هذا

---

(١) راجع Evetts, Hist. Pat., III,p. 26 (280) "بقطر اغنومس دير تفسر".

(٢) راجع J. B. Ward Perkins, The Monastery of Taposiris.
فى مجلة Magna (Bull. Soc. Roy. d' Archéologie.
D'Alexandrie, 1946, No. 36, 1943 – 1944, pp. 48-53.

(٣) وردت فى نسخة أخرى طمنوه.

(٤) لم يزل اسم هذا الدير معروفا إلى حد ما فى موضع يعرف الآن بأسم "أبو المطامير" الواقع جنوب بحيرة مريوط فى حدودها القديمة.

(٥) وجاء فى كتاب السنكسار تحت ٧ أمشير، وكان على بدنه مسح شعر وفوقه ثوب حديد، راجع:
Evetts, Hist, Pat. II p. 84 (334).

(٦) راجع المؤلف المذكور: pp. 85 - 86 (334 - 335)

(٧) غرب الإسكندرية فى الموضع المعروف بالسوارى والصرابيون (Serapeum) وهى الانجيليون فى المائة وخمس درج (راجع المؤلف المذكور الجزء الثانى (203) p. 457)، وكانت هذه الكنيسة معروفة أيضا "بالبيعة العظماء" و"الكنيسة الكبيرة" حيث كانت تصير تقدمة البطاركة على الكرسى المرقسة فى القرنين السابع والثامن الميلاديين "راجع المؤلف المذكور الجزء الثالث ((283) 29 ,(280) pp. 26.

(٨) راجع المؤلف المذكور الجزء الثالث "303" p. 49 : ابسقوبية (دار الاسقفية).

الـــنص فقـــط الذى جاء فيه بعض التفاصيل وهو "وكان الموضع الذى فيه البطرك "الأنبا بنيامين الأول ٦٢٢ – ٦٦١م" موضعا طاهر بلادنس فى دير يعـــرف بدير مطرا[١] الذى هو البسقوبيون لأن سائر البيع والديارات التى للعذارى والرهبان تتجست من هرقل المخالف عند إلزامهم بأمانة خلقدونية إلا هذا الدير وحده فان الذين فيه أقوام أقوياء كثيرا مصريون وجميعهم أهل لـــيس بيـــنهم غريـــب فلم يقدر يميل قلوبهم إليه ولأجل ذلك لما عاد الأب بنيامين من الصعيد نزل عندهم لحفظهم الأمانة الأرثوذكسية وانهم لم يحيدوا عـــنها"[٢]. ذكـــره أبو المكارم فى كتابه كنائس وديارات مصر هكذا: "دير بطرا وهو أبسقوبيون وكان فيه رأس مرقس".[٣]

٨- ديـــر الغانية. كان موقع هذا الدير قبلى دير الزجاج وكان عامراً بالرهـــبان فـــى النصـــف الثانى من القرن السادس الميلادى. ولما لم يقدر الأنـــبا بطرس الرابع – وهو الرابع والثلاثون من عدد بطاركة الإسكندرية (٥٦٧ – ٥٦٩م) أن يدخل مدينة الإسكندرية بسبب حكم الملكية أقام فى هذا الدير[٤] وموقعه مجهول الآن.

٩- ديـــر السلامة. كان عامراً بالرهبان فى القرن السادس الميلادى ولا يعرف موقعه بالنسبة للإسكندرية بالضبط. ذكره يوحنا أسقف نقيوس فى مؤلفه فى التاريخ[٥] المحفوظ باللغة الحبشية إذ يقول أن يوستينافوس الملك (٥٢٧ – ٥٦٥م) عـــندما تحير فى اختيار بطريرك للإسكندرية لعدم وجود شـــخص جديـــر ليتولى الرئاسة الدينية اختار أخيرا شماسا متصفا بالتقوى والحلم والمسالمة من دير السلامة. لا نعرف له بقايا.

١٠- ديـــر مـــار سابا[٦] يرجع تاريخ هذا الدير إلى القرن الثامن أو التاســـع الميلادى وكان أصلا للملكية ثم صار فى حيازة بطريركية اليونان

---

[١] راجع المؤلف المذكور الجزء الثانى 234 "p. 498".

[٢] فليراجع القارىء ما كتب فى المؤلف المذكور "220" p.484 عن مقر إقامة البطريرك السابق.

[٣] راجع ملخص مخطوطة أبى المكارم فى "دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة الأثرية" بقلم مرقس سميكه باشا، الجزء الثانى "القاهرة، ١٩٣٢"، ص٢١٣.

[٤] راجع كتاب السنكسار تحت ٢٥ بؤونة.

[5] H. Zotenberg, Chronique de Jean évêque de Nikioul (Paris, 1883), p. 516.

[٦] عاش من سنة ٤٣٩ إلى ٥٢٢ وكان رئيسا لدير كبير ومشهور فى فلسطين.

الأرثوذكـــس موقعـــه حيـــث توجـــد الآن بطريركـــية اليونان الأرثوذكس بالإسكندرية[١].

١١- ديـــر أســـفل الأرض،[٢] ذكـــره أبو المكارم فى كتابه عنوانه "كـــنائس وأديرة مصر" ضمن الأديرة الموجودة بالإسكندرية بين كنيسة قبر أرمـــيا فى قبة الورشان وسط مقابر المسلمين وجعلت مسجداً فى الديماس وبيعة الذهب بجوار الباب الذى منه دخل عمرو بن العاص. كان هذا الدير أصـــلا ملكا للقبط ثم تحول للملكية ربما فى أواخر القرن السابع الميلادى. كان يفهم قديما "بأسفل الأرض" تارة الدلتا وتارة الإقليم الواقع شمال شرقى مدينة سمنود (راجع: E Amélineau, la Gêographie de l'Egypte) pp. 64-65) إنمـــا هنا لا نعرف ما هو المقصود بدير أسفل الأرض إذ ذكر بين الأديرة الواقعـــة بمديـــنة الإسكندرية. وليس لدينا معلومات اكثر عن هذا الدير ولا نعرف له بقايا.

١٢- دير نقبوس. ذكره أبو المكارم فى المؤلف المذكور أعلاه وقال عنه انه وقع شرق الإسكندرية. لا نعرف عن هذا الدير شيئا خلاف ما ذكر فى ملخص مخطوطة أبو المكارم[٣].

١٣- ديـــر الماطونـــيا أى ديـــر الـــتوبة[٤] المعروف أيضاً (بدير) قانوبوس[٥] ودير فنوبوس[٦] ودير الطبابنسيين[٧].

وكـــان موقعـــه شـــمال شـــرقى الإسكندرية[٨] على بعد ١٢٠ غلوة (=٢٢ و٢٣كم) منها بطريق البر[٩]، فى نفس المكان حيث كان هيكل الإله ســـرابيس الذى هدمه الأنبا ثاوفيلس بطريرك الإسكندرية (٣٨٥ - ٤١٢م)

---

[١] [راجع مجلة الفن القبطى المجلد الثالث، ١٩٣٧، ص٥٠ - ٦٧].
[٢] راجع "دليل المتحف القبطى" بقلم مرقس سميكه باشا، الجزء الثانى "القاهرة ١٩٣٢" ص ٢١٣ - ٢١٤.
[٣] راجع للمؤلف المذكور الجزء الثانى، ص٢١٣.
[٤] قد وجدت أيضا فى الإسكندرية كنيسة بأسم كنيسة التوبة "راجع:
Evetts, Hist. Pat, IV, pp. 390, 419 (504, 533).
[٥] راجع المؤلف المذكور الجزء الثانى 183) p. 447)
[٦] راجع المؤلف المذكور (223) p. 487
[٧] راجع تاريخ يوحنا أسقف نقيوس p. 515
[8] Evetts, Hist. Pat. II, p. 487 (223).
[٩] راجع ما كتبه سترابو (Strabo) فى كتابه المسمى: Gcpgraphica lib XVII ch. I, par 17.

وأقام فيه ديرا سلمه إلى رهبان القديس باخوم من دير طابنيس. وذكر كتاب تاريخ البطاركة بهذا الصدد أنه لما بلغه البطريرك المذكور "أن الوثنيين قد مضوا إلى يروشليم يفتحون بيت أصنامهم أنفذ رهبانا إلى هناك ليطردوهم فلـم يقـدروا الرهـبان على الوثنيين فانفذ ثاوفيلس البطرك إلى دير بخوم بصـعيد مصـر واحضـر السواح وأنفذهم إلى يروشليم فلما دخلوا صلوا فهربـت الشـياطين من البربا وصيروا ذلك الهيكل مسكنا لرهبان أورشليم ولمـا عادوا ضبطهم ثاوفيلس البطرك ليكونوا يأكلون معهم وحدهم من يوم الأحد إلى يوم الأحد ودفع لهم بستانا كان للأب اثناسيوس البطرك".[١]

وكـان موقـع هذا الدير حيث يوجد الآن بلدة أبو قير[٢] مركز كفر الـدوار مديرية البحيرة. ويرجع تأسيسه إلى أوائل القرن الخامس الميلادى ولـم يصـب بالنهـب والخراب مثلما أصيبت بهما الأديرة الواقعة غرب الإسـكندرية[٣] ربما بقى هذا الدير قائماً لغاية القرن الثامن الميلادى وكان فـى جمـيع عصور تاريخه فى يد الملكية. نذكر من أولاد هذا الدير ومن الذيـن أقـاموا فيه مدة من الزمان ثم جلسوا على الكرسى المرقسى الأنبا بنياميـن الأول وهـو الثامـن والـثلاثون من عدد بطاركة الإسكندرية " ٦٢٢– ٦٦١م"[٤] والأنبا طيموثاوس والأنبا يوحنا الطابنسى[٥] البطريركيز المكيين اللذين عاصروا الأنبا بطرس الثالث (٤٨٠ – ٤٨٨م) الذى نفى من كرسيه.

قيل إن القديس أرسانيوس[٦] معلم أولاد الملوك والذى صار فيما بعد ناسـكا عظيما أقام مرتين فترة من الزمان فى هذا الدير وكذا أيضا القديس أمون كما أن القديس يوحنا السلمي رئيس دير طور سينا[٧] زاره فى أوائل القرن السابع الميلادى واثنى كثيراً على سيرة رهبانه وربما توجد بقايا لهذا

(١) راجع المؤلف المذكور الجزء الثانى 162 - 161) 426 - pp. 425)
(٢) بجوار طابية توفيق من الجهة الجنوبية.
(٣) راجع المؤلف المذكور (223) p. 487
(٤) راجع المؤلف المذكور (223) p. 487
(٥) راجع المؤلف المذكور (183) p. 447
(٦) تنيح حوالى سنة ٤٤٥م. راجع سيرة حياته فى كتاب السنكسار تحت ١٣ بشنس.
(٧) الف كتابا ذاخرا بتعليم روحانى عنوانه "كتاب سلم الفضائل" وتنيح حوالى سنة ٦٤٩م.

الديـــر بين أنقاض مدينة كانوب التى قامت بحفرها والتنقيب عنها مصلحة الآثار المصرية بالاشتراك مع الجمعية الأثرية الملكية فى الإسكندرية تحت إشراف الأستاذ برشيا فى سنة ١٩٢٤م.

والآن بعــد ذكــر الأديرة الخربة الواقعة حول الإسكندرية ننتقل إلى الجـنوب الغــربى مــنها إلــى برية وادى هبيب الواقعة فى صحراء ليبيا وأديرتها على بعد ١٣٧كم. تقريباً جنوباً من الإسكندرية وهناك نجد الأديرة المتهدمة الآتية:

١٤- ديــر أنــبا زكــريا[١] وهــو بجوار دير أبى مقار. لم يذكره المقريــزى ضمن الأديرة بوادى هبيب ولكنا نستدل على وجوده من سيرة الأنبا اسحق البطريرك الحادى والأربعين "٦٨٦ - ٦٨٩م" إذ ورد فيها:

"فلما ذهب (اسحق) إلى الاسقيط[٢] سكن فى دير الانبا زكريا صاحب الذكــرى الحسنة قس وايغومانس القلاية[٣] (Laura) المقدسة لأنبا مقار الذى صار أسقفاً لمدينة صا"[٤] والدير لا بقايا له.

١٥- ديــر أبــى يحنس القصير[٥] ويقع جنوب غربى دير أبى مقار على بعد ١٥كم تقريباً. يرجع تاريخه إلى القرن الميلادى. وكان الأنبا دميان الخــامس والثلاثون من عدد بطاركة الإسكندرية[٦] "٥٦٩ - ٦٠٥م" والأنبا خــايل الثالث والخمسون من عددهم[٧] "٨٤٩ - ٨٥١م" من رهبانه. ذكره المقريــزى (٦٨) وقــال "كــان لهذا الدير حالات شهيرة وبه طوائف من الرهبان ولم يبق به الآن إلا ثلاثة رهبان". فيستدل من هذا أن الدير كان فى

---

(١) إن الأنبا زكريا هذا، هو خلاف الأنبا زكريا المذكور فى كتاب السنكسار تحت ١٣ بابه.
(٢) يعرف وادى هبيوب أيضا باسم الأسقيط أى محل النساك.
(٣) قلاية هنا بمعنى دير يحوى مساكن كثيرة.
(٤) مترجم عن سيرة حياة الأنبا اسحق المكتوب باللهجة البحيرية والتى نشرها
E. Porcher, Vie d'Isaac, Patriarche d;Alexandrie de 686 à 689 (= Po., t.xi. fasc. 3), pp. 15,49.
راجع أيضا كتاب: Evetts, Hist. Pat., III, p. 19 (273)
(٥) سمى أيضا دير أبى يحنس الايغومانس. راجع سيرة حياته فى كتاب السنكسار تحت ٢٠ بابه.
(٦) "ورباه قديسون فى دير أبى يحنس" (راجع التأليف المذكور الجزء الثانى (209) p. 473).
(7) Yassa Abdal-Masih – O.H.E. Bnrmester, Histoy of the Patriarchs of the Egyptian Church, Vol. II, Part I,(Le Caire, 1943) p. 1 (text), 1 (translation).

اضـــمحلال فـــى القرن الخامس عشر الميلادى. ونظراً لقربه إلى دير أبى مقار كان هذا الدير هو الدير الذى يزوره الآباء البطاركة وهم فى طريقهم إلى دير أبى مقار لتكريس الميرون.[١]

وفـــى القـــرن الرابع عشر الميلادى كان جماعة من رهبان الحبش والأرمـــن والسريان يسكنون فيه وبجواره[٢] وكان جسد أبى يحنس القصير بكنيسة هذا الدير كما ذكر فى كتاب عمل الميرون سنة ١٣٣٠م.[٣]

وقـــد بقى هذا الدير قائماً حتى أواخر القرن الخامس عشر ثم خرب. ثم بعد اندثار الدير نقل جسد القديس إلى دير أبى مينا بمصر كما ذكر ذلك كـــتاب السنكســـار[٤] وجدوا فيما بعد أن الأرضة أخربت مكتبته ومبانيه[٥] والدير لا بقايا له.

١٦- ديـــر أبـــى يحـــنس كاما[٦] يرجع تاريخه إلى القرن الثامن أو التاســـع إذ لا يعرف فى أى القرنين عاش أبو يحنس كاما. وبقى هذا الدير قائماً حتى النصف الثانى من القرن الرابع عشر[٧] ثم اندثر بعد مدة قصيرة. وكـــان يقع بالقرب من دير أبى يحنس إلى الغرب[٨] منه ولكن سيرة يحنس كاما تذكر أنه يقع شرقيه وكان يقع أيضا إلى جواره دير مار الياس أو دير الحبشة ولما تهدم دير الياس ذهب بعض من الرهبان الأحباش والأرمن إلى

---

[١] راجع كتاب تحفة السائلين فى ذكر أديرة المصريين تأليف القمص عبد المسيح صليب المسعودى البرموسى "القاهرة، ١٩٣٢م – ١٦٤٨ش" ص١٣٦ – ١٣٧.

[٢] راجع كتاب تحفة السائلين، ص١٣٧.

[٣] راجع تحفة السائلين، ص١٣٦.

[٤] "ومن بعد هذا أتوا أولاده وحملوه (وفى نسخة أخرى: وأخذوه وحملوا جسده) وهو الآن بديرة مينا لكل من يلتجئ إليه". "راجع كتاب السنكسار تحت ٢٠ بابه".

[5] راجع H. G. Evelyn White, The Monasteries of the Wadi'n Natrun, Part I (New York, 1932), p. 270

[٦] راجع سيرة حياته فى كتاب السنكسار تحت ٢٥ كيهك. وقد نشر العلامة M. H. Davis حياة أبى يحنس كاما بالنص القبطى البحيرى مع الترجمة بعنوان The Life of Abba John Khamé فى P.O., t. XIV f. 2

[٧] راجع كتاب تحفة السائلين، ص١٣٧ – ١٣٨: "زار أنبا غبريال الرابع هذا الدير فى سنة ١٣٧٤م بعد ما كرز الميرون فى دير أبى مقار".

[٨] جاء فى سيرة حياته الواردة فى كتاب السنكسار تحت ٢٥ كيهك ما يثبت ذلك أمره (أعنى أمر أبا يحنس كاما) ملاك الرب أن يمضى إلى غربى دير أبو يحنس بقليل ويبنى له مسكن هناك فلما مضى إلى هناك اجتمع إليه ثلثمائة أخ وبنوا كنيسة وجوسق (أعنى برجا) وعلمهم الصلوات والابصلمودية".

هــذا الدير وسكنوا فيه ويتضح ذلك من وصف عمل الميرون الذى قام به الأنــبا غبريال الرابع وهو السادس والثمانون من عدد بطاركة الإسكندرية (١٣٧٠ – ١٣٧٨م) فى ٩ برموده ١٠٩٠ش (١٣٧٤) فى دير أبى مقار[١] ذكــره المقريــزى (٦٩) دون أن يــبدى معلومات عنه أو يأتى بشىء عن تاريخه. والدير لا بقايا له.

١٧- ديــر الــياس. وسمى أيضاً دير الحبشة أو دير الحبش لأن رهبانا أحــباش كانوا يسكنون فيه وحدهم. كان هذا الدير بجوار دير أبى يحنس القصير وديــر الأرمن ودير أنبانوب. ويظهر أن تاريخه يرجع إلى القرن الحادى عشر وبقــى عامراً بالرهبان الأحباش مدة تتراوح بين قرنين أو ثلاثة قرون[٢]. وذكره المقريــزى (٧٠) هكــذا "وقد خرب يحنس كما خرب دير الياس أكلت الأرضة أخشابها فسقطا وصار الحبشة إلى دير سيدة بو يحنس القصير" والدير لا بقايا له.

١٨- ديــر سيدة بو يحنس. كان بجوار ديرى أبى يحنس القصير والياس وهــو على أسم العذراء مريم. كان ديراً صغيراً بالنسبة إلى الأديرة الأخرى فى بــرية وادى هبيب مثل دير أنبا بيشوى السريان. لا يعرف بالضبط زمن تأسيسه وخــرابه[٣]. وقد انتقل اليه فى نهاية القرن الثالث عشر أو فى أوائل القرن الرابع عشــر رهــبان الحــبش الذين كانوا يسكنون قبل ذلك فى ديرهم المعروف بدير الياس أو دير الحبشة[٤]. وذكره المقريزى "٧١". وليست له بقايا الآن.

١٩- ديــر انبانوب[٥]. كان ديراً صغيراً بالقرب من الأديرة الأربعة الأخــيرة الــتى ســبق ذكرها وهو على اسم انبانوب الشهيد. زاره بعض بطاركــة الإســكندرية فى القرن الرابع عشر وهم فى طريقهم إلى دير أبى

---

(١) راجع كتاب تحفة السائلين، ص ١٣٧ – ١٣٨.

(٢) ذهب البعض منهم إلى دير أبى يحنس القصير والبعض الأخر إلى دير أبى يحنس كاما. فى سنة ١٣٣٠م كان بجوار دير أبى يحنس القصير عدة قلالى كان يسكنها رهبن الحبش معروفة بقلاية بهوت. جاء فى كتاب عمل الميرون سنة ١٣٣٠م ما يدل على ذلك "وفى الاحد وقت الغروب ذهب إلى قلاية بهوت بسؤال من الحبش ثم رأى القلالى من ظاهرها وعاد إلى دير ابو يحنس" (راجع كتاب تحفة السائلين، ص١٣٧).

(٣) لم يذكر هذا الدير بين الأديرة التى زارها بعض من الآباء البطاركة لمناسبة عمل الميرون فى دير أبى مقار فى القرن الرابع عشر "راجع كتاب تحفة السائلين، ص١٣٧ – ١٣٨".

(٤) راجع المقريزى "٧٠".

(٥) راجع كتاب السنكسار تحت ٢٤أبيب: تتذكار استشهاد القديس أبانوب الذى من نهيسة من أعمال أسفل الأرض.

مقــار لتكريس الميرون. ذكره المقريزى "٧٢" أنه كان خرباً فى أيامه[1] لا نعرف عن هذا الدير إلا شيئاً قليلاً جداً.

٢٠- دير الأرمن. كان هذا الدير يقع بالقرب من دير يحنس القصير إلى الشمال الغربى منه. ويرجع تاريخه إلى القرن الحادى عشر أيام الدولة الفاطمــية حيــن تولى بعض من الأرمن اكبر المناصب حتى وصلوا إلى منصـــب الوزارة فى مصر مثل بدر الجمالى "أمير الجيوش" وابنه الأفضل وتاج الدولة بهرام وزير الحافظ.

وكـــان هـــذا الديـــر فى أيامهم عامرا برهبان الأرمن إذ كان لهؤلاء الـــوزراء اليد الطولى فى نزوح كثيرين من الأرمن إلى مصر وفى تكوين جالـــية أرمنية ذات نفوذ[2]. وبعد موت بهرام (١١٤٠م) آخر وزير أرمنى للدولـــه الفاطمـــية فى مصر وعودة الجالية الأرمنية إلى بلادهم أخذ الدير يضـــمحل ويـــتدهور حتى أصبح خراباً فانتقل بعضهم إلى دير أبى يحنس القصير والبعض الآخر إلى دير أنبا بشوى ودير أبى يحنس كاما. وقد ذكر المقريزى (٧٣) أنه خرب. وليست له بقايا الآن.

٢١- ديـــر برموس وأبى موسى الأسود[3]. هذا الدير قد سماه بعض المؤرخين مثل المقريزى (٧٧) "دير أبى موسى" لأن أنبا موسى الأسود كان رئيساً له وكان يوجد به جسده. والدير معروف أيضا بدير الروم وهذا نسبة إلـــى الأخويـــن مكســـيموس ودوماديوس ولدى لانديوس ملك الروم اللذين حضـــرا مـــن بلاد الشام إلى الأنبا مقار الكبير المصرى فى برية الإسقيط ليترهـــبا عـــنده "وديـــرهم فى بناية مغازة لهم"[4] "فلما تنيحوا[5] (الأخوان

---

[1] راجع كتاب تحفة السائلين، ص١٣٧ ـ ١٣٨.

[2] كان للأرمن وقتئذ ديران فى جنوب مصر من الجهة الشرقية: أحدهما فى البساتين والآخر فى طرة (راجع ابو المكارم، ورقة ٢ج، ٤٨ظ) وعدة كنائس فى الوجه البحرى (لاسيما فى الدقهلية: البرمونين، البهو، دمو، طناح، منية النصارى القبلية، منية شها) ومصر والوجه القبلى (راجع جدول الكنائس والاديرة لأبى المكارم فى كتاب دليل المتحف القبطى بقلم مرقس سميكه باشا، الجزء الثانى، القاهرة ١٩٣٢، ص٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٥) ولهم بطريرك فى مصر واسقف فى لطفيح "راجع ابو المكارم ورقة ٢ج وظ و٤٧ظ".

[3] راجع سيرة حياة أنبا موسى الأسود فى كتاب السنكسار تحت ٢٤ بؤونه.

[4] راجع سيرة حياة القديسين مكسيموس ودوماديوس فى كتاب السنكسار تحت ١٧ طوبه.

[5] كذا. إقرأ "تنيح".

القديسان) أمره الملك أن يأتى[1] "أعنى أبو مقار" إلى المكان الذى هو اليوم ديره وقال له أن ذلك المكان يدعى على اسم أولادك الروم وهو الذى يدعى اليوم دير برموس"[2].

وكان يوجد "بازائه"[3] على بعد نحو ٥٠ مترا دير آخر يسمى دير سيدة برموس. ويلاحظ أننا فى الواقع لا نعلم حتى اليوم أيهما دير برموس الأصلى الذى شيد فى عهد أبى مقار هل هو دير برموس الحالى العامر بالرهبان أو دير موسى الأسود الخرب الآن. إذ أن هناك من الشواهد ما يثبت أن دير برموس العامر بالرهبان اليوم هو دير برموس الأصلى ولكن هذه الأدلة غير كافية[4] وعلى كل فهى مسألة شائكة كثيرا ما بحثت فيها ولكنى لم أصل إلى نتيجة مؤكدة. وهذا الدير على اسم العذراء مريم لم يزل باقياً إلى يومنا هذا وهو أحد الأديرة الأربعة العامرة حالياً بوادى النطرون ويقع إلى أقصى الغرب. وقد زاره الآباء البطاركة الذين كرسوا الميرون بدير أبى مقار خلال القرن الرابع عشر الميلادى أعنى فى سنة ١٣٣٠ و ١٣٧٤. وجاء فى وصف زيارتهم لأديرة وادى هبيب هذا البيان عن دير برموس: "ركب الأنبا بنيامين الثانى البطريرك الثانى والثمانون ١٣٢٧ - ١٣٣٩م" يوم الأربعاء وذهب إلى دير آبائنا الروم المعروف بيرموس ودخل إلى البيعة المقدسة وسجد أمام الهيكل وتبارك من الآثار الشريفة والجسد الطاهر الذى لأبينا القديس أنبا موسى الأسود. ولما كان باكر النهار قصد دير السيدة ولم يركب فى هذه الحركة بل توجه ماشيا"[5] وذكره المقريزى (٧٧) وتكلم عن أسماء هذا الدير. ولم يذكر أن هذا الدير خربا فى أيامه والدير لا بقايا له.

---

[1] كذا. إقرأ "الملاك ان يأتى".

[2] راجع سيرة حياة أنبا مقار الكبير فى كتاب السنكسار تحت ٢٧ برمهات. أصل كلمة "برموس" من اللغة القبطية Pa-romcos تفسيرها "الذى للروم".

[3] راجع المقريزى (٧٧).

[4] هذا هو رأى الأستاذ موريس مكرم الذى اهتم كثيرا بدراسة أديرة وادى النطرون.

[5] هذا لقرب المسافة بين الديرين كما سبق وذكرنا. راجع كتاب تحفة السائلين، ص١٣٦.

ومما هو جدير بالذكر أن المغفور له سمو الأمير عمر طوسون منذ عشرين سنة وجه بالغ اهتمامه وبذل أقصى مجهوده – قلما رأينا نظيره من قبطي مثرى شغوف بآثار أمته – فى البحث عن الأديرة لمتهدمة بوادى النطرون والتنقيب عنها ومعرفة أسمائها. زد على ذلك ما جادت به مكارم سموه من حفر الآبار الكثيرة فى وسط تلك البقاع والبرارى المقفرة. فكانت للمعلومات الوافية الطريفة التى وصل إليها بأبحاثه القيمة مع إنشاء الآبار ووضع اللوحات البرنزية فى مكان اكتشاف الأديرة الخربة، أثر جليل خالد لا تسجله فقط الأمة القبطية من رهبان وعلمانيين فى صفحات تاريخهم بل يشهد به أيضا المستشرقون ومحبو الآثار والمؤرخون أجمعون بأكبر فخر ومزيد الشكر والثناء المستطاب. ونظراً لضيق المقام نكتفى هنا بإيراد ملخص أعمال سموه فيما يتعلق بالأديرة المتهدمة بوادى النطرون. جاء ضمن المذكرة التى رفعها سموه فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣١ لصاحب السعادة المرحوم مرقص سميكه باشا: "الاديرة المتهدمة التى استكشفناها إلى الآن هى سبعة وعشرين ديراً يضاف اليها أربع خرابات لا نظن إلا أنها آثار أديرة قديمة. فتكون واحدا وثلاثين ديراً يضم اليها أربعة الأديرة العامرة الآن فتكون جملتها خمساً وثلاثين ديرا. وهذا العدد يقرب من العدد الذى ذكره الأب شينو فى كتابه الفرنسوى (قديسو مصر ج٢ ص٢١٥) حيث يقول – أن عدد الأديرة بوادى النطرون فى وسط القرن العاشر الميلادى كان سبعة وثلاثين ديرا. اهـ"[1]

ويتضح للقارىء مما تقدم أن معظم أديرة وادى النطرون التى ذكرناها كانت عامرة حتى القرن الرابع عشر ثم تدهورت حالاتها وأخيرا اندثرت. والمعروف عن هذا القرن من الزمان أنه حمل فى ثناياه أشد وأفظع اضطهاد وقع على المسيحية فى مصر وأن الرهبنة القبطية قد اعتراها ضعف شديد لم تستطع معه أن تقوم منه بعد.

[1] راجع مجلة الكرمة: نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣١، ص٥٠٠.

لاستكمال البحث الخاص بشمال الوجه البحرى نذكر هنا عشرة أديرة كانت هناك:

٢٢- ديــر المغطــس. لــم أعثر على ذكر هذا الدير فى المصادر التاريخية إلا فى كتاب الكنائس والديارات للشيخ المؤتمن أبى المكارم سعد الله بــن جــرجس بــن مســعود[١] والمقريزى "٦٣". ويظهر من مصنف المقريــزى لهذا الدير أنه كان واقعا فى الأراضى بين بحيرة البرلس وفرع رشيد[٢] ربما كان ذلك بجوار شباس الشهداء وشباس الملح "مركز دسوق مديرية الغربية" حيث وجدت كنائس كثيرة[٣] حتى القرن الثالث عشر الميلادى وكان هذا الديــر مــزاراً هاماً يفد إليه النصارى من قبلى أرض مصر ومن بحريها وعليه اقــبال مــثل كنيســة القمامــة "كنيسة القيامة بالقدس" ويقول المقريزى إن حج النصارى إلى هذا الدير كان "يوم عيده وهو فى بشنس". ولا نعرف شيئا عن هذا لعــيد الذى يتكلم عنه. هل يمكن أن نعتبر عيد المغطس هو عيد الغطاس الواقع فــى ١١ طوبه لاسيما وقد ورد بعد ذلك "ويسمونه عيد الظهور" والمعروف بأن عيد أبيفانيا وعيد الظهور "الإلهى" وعيد الغطاس ثلاثة أسماء لعيد واحد كلا. لأن النص واضح ويقول "وذلك يوم عيده وهو فى بشنس" لنا فى بيان أبى المكارم فى ذكــر الأديرة الواقعة فى الوجه البحرى ما قد يرشدنا إلى الحقيقة". ورد هناك فى ورقــة ٣٤ظ و٤٥جـــ[٤] "منية طانه من الغربية "بيعة" للسيدة العذراء الطاهرة ومجاورها مغطس مبنى بناية رومانية ويذكر انه اتفق فى بعض السنين ما وصل لهــذا المغطس شىء من ماء النيل كجارى عادته فى كل سنة وان الشعب اجتمع اليه ليلة الغطاس كما جرت عادتهم ولما لم يجدوا فيه ماء توجعوا لذلك وفى تلك اللــيلة الــتى هــى لــيلة الحادى عشر من طوبه بعد خروج الشعب من الكنيسة يفطــرون مطرت المطر واشتد السيل حتى امتلأ المغطس وفاض كعادته عند وصــول النــيل الــيه ثم انقطع المطر وصحى الوقت وطلع القمر. وهذه

---

(١) عاش فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى "توفى بعد سنة ١٢٠٩".

(٢) راجع المقريزى "٦٣": "ويقربه الملاحة التى يؤخذ منها الملح الرشيدى".

(٣) راجع كتاب السنكسار تحت ١٩ طوبه.

(٤) نقلا عن المخطوطة الوحيدة التى فى العالم وهى فى حيازة حضرة الاستاذ جرجس فيلوثاؤس عوض بمصر. راجع كتابه "ميمر الشهيدة دميانة" ص٥ ـ ٧.

الأعجوبة صحيحة مشهورة لا شك فيها وان الكهنة خرجوا كعادتهم وقدسوا علـى المغطـس وغطسوا فيه وكان فرح عظيم والكنيسة هذه باقية داخل ديـر[١] وبـه رهبان إلى يومنا هذا. وهذا المكان المقدس هو آخر موضع وصـل سـيدنا المسيح إلى مصر مع والدته السيدة العذراء الطاهرة صحبة الشـيخ الـبار يوسف النجار. ويقال أن فيه قاعدة عمود أخفتها الآباء عند مجيء العرب وفتحهم البلاد وفيها طبع قدمى السيد لما أوقفته العذراء عليها فغاصت أمشاط قدميه قليلا بمقدار ما ظهر طبعها فى الحجر[٢] وكان الناس يـأتون مـن الأقاليم البعيدة وللبلاد القريبة[٣] ويضعون فى العلام الذى فى الحجر زيتاً ويحملونه إلى أرضهم وينتفعون به كثيراً. فخاف الآباء أن يأتى القـوم فـيأخذوا القاعدة وربما يعدون على المكان فأخفوه ولم يعرفوا أحد موضـعه إلى يومنا هذا. وسمى هذا الدير الآن دير "بخا ايسوس"[٤] أعنى تفسيره "قدم يسوع". وإذ قد توقفنا الآن إلى معرفة دير كان بجواره مغطس حدثـت فيه أعجوبة مشهورة هو أيضاً المكان "القريب من البرلس"[٥] حيث وصل إليه السيد المسيح مع أمه والشيخ يوسف البار عند مجيئه إلى أرض مصـر حسب التقليد القبطى فعلينا الآن أن نثبت من مصدر آخر أن الدير الـذى علـى اسم العذراء والواقع بمنية طانة من الغربية وبجوار المغطس والمسـمى دير بخا ايسوس "أى قدم أو كعب يسوع" هو دير المغطس بعينه والـذى نبهـت عنه الحاشية الأصلية بأنه "دير المغطس" لأنبا زخارياس[٦] أسـقف مدينة سخا[٧] ميمر على مجيء السيد المسيح إلى أرض مصر يقرأ

---

[١] يوجد فى المخطوطة حاشية أصلية: طيسمى دير المغطس".

[٢] ريما يقصد المقريزى هذه الرواية عند وصفه هذا الدير: "ويسمونه عيد الظهور من لجل انهم يزعمون ان السيدة مريم تظهر لهم فيه ولهم فيه مزاعم كلها من اكاذيبهم المختلفة".

[٣] وهذا يطابق لما قاله المقريزى عن كثرة الزائرين لهذا الدير.

[٤] قبطيا Pikha Yisous كتبنا الاسم بالحروف الافرنجية لعدم وجود حروف قبطية فى المطبعة وقد لخص الأستاذ جرجس فيلوثاوس عوض ما جاء فى مخطوطه المشار اليه عن دير بخايسوس هكذا "بى خا ايسوس (اى قدم يسوع) دير منية طانة وهو آخر مكان وصل إليه المسيح مع أمه فى الوجه البحرى. وقد دثر بجهة است دمياطة مع البلاد التى طغى عليها البحر ويقولون انه كان به الحجر الذى رسم عليه قدم يسوع فأخفوه. وكرسى منية طانة يجاور كرسى سمنود". (راجع "دليل المتحف القبطى" بقلم مرقس سميكه باشا، الجزء الثانى "القاهرة، ١٩٣٢" ص٢٢٤".

[٥] من وصف المقريزى لهذا الدير.

[٦] عاش فى أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الميلادى.

[٧] بقرب كفر الشيخ مديرية الغربية.

فى اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس وجاء فيه بيان عن البلاد التى مر فيها السيد المسيح عند دخوله مصر [1] فمر على الفرما[2]، بسطة[3]، بلبيس، منـية جـناح[4]، سمنود، البرلس، قرية شجرة النين، موضع المطلع، نقطة تدعا بلاد السباخ[5]، ولما وصلت العائلة المقدسة إلى بلاد السباخ يقول الأنبا زخـاريس "فعطشـوا ولـم يجدوا ماء البتة وكان هناك حجراً ملقى على الأرض جلـس علـيه الرب يسوع وباركه فأنبع ماء زلالا وقال هذا يكون شـفاء لمن يأخذ منه بإيمان وسوف يبنى فى هذا المكان بيعة مقدسة بأسمى واسـمك[6] ويرتفع صيتها منتشرٌ فى كل إقطار المسكونة وتأتى إليها كل القبائل وتتبارك منها ويدعى اسمها "بيخا ايسوس" الذى تأويله (كعب يسوع) ويدعى الآن دير المغطس[7] يخبرنا أخيراً المقريزى أن هذا الدير انهدم فى شهر رمضان سنة ٨٤١هـ - ١٤٣٨م. "بقيام بعض الفقراء المعتقدين".

٢٣- ديـر العسـكر. هذا الدير الواقع فى نفس المنطقة "فى أرض السـباخ علـى يوم من دير المغطس وبقربه ملاحة الملح الرشيدى" لم يرد ذكره فى أحد المصادر التاريخية إلا فى الخطط "٦٤" إذ يذكر المقريزى أن هـذا الديـر اضمحل فى أيامه و"لم يبق به سوى راهب ولخد". وكان الدير على اسـم الرسـل. ولم نعلم شيئاً أكثر من ذلك عنه. ومن المحتمل جداً أن يكون هذا الديـر والبلاد المتجاورة له انمحت تماماً لحدوث غرق من مياه البحر الغامرة أو فيضـان مياه النيل الطافحة[8] ثم أن الرمال تغلبت عليها كما حدث هذا مع بلاد أخرى فى تلك المنطقة مثل نستراوه وسنجار والبرلس.

---

(١) راجع كتاب السنكسار تحت ٢٤ بشنس حيث تجد بياناً مختصراً.

(٢) الآن تل الفرما شرقى بور فؤاد يرى فيه آثار قليلة من حضارات مختلفة كانت بمدينة برمون أو بلوسيون. يقع بين العريش وبور فؤاد بقرب ساحل البحر الأبيض المتوسط. كانت مدخل مصر من الجهة الشرقية فى الأزمنة الغابرة.

(٣) الآن تل بسطة فيه آثار فرعونية لمدينة بوباستيس ويقع جنوب غربى الزقازيق.

(٤) مركز دسوق مديرية الغربية.

(٥) راجع المقريزى "٦٤ و٦٦". وليس فى "أرض" السباخ سوى هذه الأربعة الأخيرة أى دير المغطس، دير العسكر، دير جميانة ودير الميمنة التى سنتكلم عنها بالتفصيل فى الأرقام ٢٣، ٢٤، ٢٦. توجد فى "أرض السباخ" أو "السباخ" إذا فى المنطقة الشمالية من الوجه البحرى بين فرعى النيل بقرب بحيرة البرلس.

(٦) اسم العذراء مريم.

(٧) راجع كتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء طبع على نفقة القمص عبد المسيح سليمان "مصر" ١٩٢٧ " ص ٧١ - ٧٢.

(٨) فى سنة ١١١٣م.

٢٤- ديـــر جميانة المشهور بدير أو كنيسة الست جميانة "أو دميانة" الواقـــع فى وادى الزعفران فى البرارى على مسيرة ساعتين بحرى بلقاس. ذكـــره المقريزى "٦٥" بقوله "هو على اسم بوجرج قريب من دير العسكر على ثلاث ساعات منه وعيده عقب عيد دير المغطس وليس به الآن أحد". لـــيس لديـــنا أى دليل أو تقليد أو مرجع تاريخى يخبرنا بأن هذا الدير كان مكرساً بأسم أبو جرج فى وقت ما كما يزعم المقريزى بل كل ما وصل إلى علمـــنا مـــن التقالـــيد يشـــهد بأن الدير أو الكنيسة المقامة بوادى السيسبان بالزعفـــرانه كانت على اسم تلك الشهيدة وقائمة بقرب المكان الذى عاشت واستشهدت فيه. توجد بين المخطوطات العربية المسيحية سيرة "ميمر" بأسم القديسة جميانة باللغة العربية تحتوى على خبر حياتها واستشهادها[١] برفقة أربعيـــن عـــذراء بـــوادى السيســـبان بالزعفرانة[٢] فى البرارى فى عهد ديقلاديـــانوس الملـــك الكافـــر فى أواخر القرن الثالث الميلادى[٣]. وضع هـــذه الســـيرة الأنبا يؤانس أسقف البرلس[٤] عما وجده بقلم خرسطوذولس تلمـــيذ يولـــيوس الاقفهصـــى كاتـــب ســـير الشهداء[٥] فى القرن السادس الميلادى "؟"[٦]

قـــال المقريـــزى أيضـــاً: "وعـــيده (أعنى عيد الدير) عقب عيد دير المغطس". يفهم إذاً من هذا أن فى أيام المقريزى كانوا يختلفون بعيد الست

---

(١) نشرها وصـحهها حضرة الأستاذ جرجس فيلوثاوس عوض تحت عنوان "ميمر الشـهيدة دميانة" (القاهرة ١٦٣٣ ش – ١٩١٧م) بعد أن قابلها على عدة نسخ قديمة خطية تتضمن سيرة هذه الشهيدة وهذه الطبعة احسن من الطبعات الآتية: سيرة الشهيدة دميانة طبعت على نفقة جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية بمطبعة الاقتصاد بمصر "دون ذكر تاريخ للطبع"، سيرة الشهيدة دميانة بقلم مرقس جرجس صاحب المكتبة الجديدة "مصر، دون ذكر التاريخ"، سيرة الشهيدة دميانة نقحت بقلم توفيق افندى عزوز اعتنى بطبعها مرقس جرجس طبعت بمطبعة عين شمس "دون ذكر التاريخ"

(٢) تؤيد السيرة أنه فى تلك الوقت كانت الزعفرانة مدينة كبيرة، راجع السيرة، ص٣٨، ٧١: "فأخرج الجميع الأعوان إلى بحرى مدينة الزعفرانة واخذوا رؤوسهم" كان ابوها مرقس حاكما أو واليا على هذه المدينة وعلى البرلس ووادى السيسبان (ص٣٧).

(٣) راجع الميمر؛ ص ٤٣ – ٧١.

(٤) ربما يكون هو القديس الذى يذكره كتاب السنكسار تحت ١٩ كيهك.

(٥) راجع كتاب السنكسار تحت ٢٢ توت و٢٥ بابه.

(٦) تذكر بعض المخطوطات أنه وجد شخص آخر يدعى أيضا يوحنا اسقف البرلس ومن المحتمل أن يكون واضع هذه السيرة ولو اعتبرنا أن يوحنا أسقف البرلس المذكور فى كتاب السنكسار تحت ١٩ كيهك هو واضع هذه السيرة بالعربية فلابد أن يكون لها أصل قبطى قد ضاع.

دمـــيانه فى شهر بشنس إذ سبق وذكر بأن عيد دير المغطس يقع فى بشنس وهــذا هــو الواقع حيث أن للست دميانة عيدين فى السنة إحداهما فى ١٣ طوبــه وهــو تذكــار استشهادها والآخر فى ١٢ بشنس وهو يوم تكريس كنيستها بالزعفرانة[١]. وجرت العادة أن يحتفل بعيد القديسة الأخير ويعرف بمولد الست دميانه منذ مئات السنين. ويقال إنه يوجد فى الكنيسة الجديدة[٢] مقبرة تضم جسد القديسة دميانه مع أجساد رفيقاتها الأربعين عذراء اللواتى استشهدن معها وكانت قبلا محفوظة فى الكنيسة السابقة ويرى الزائر بجانب الكنيسة الحالية بقايا من كنيسة قديمة مبنية على الطراز الرومانى ويا حبذا لــو اهتمــت لجنة حفظ الآثار العربية والقبطية فى أقرب وقت لدراسة هذه البقايا وكشفت ما كانت لها من نظام هندسى واتساع وقدم. أما البنيان الذى بجــوار الكنيسة ويقال عنه "دير" فليس هو بشكل دير بالمعنى الصحيح ولا يســكنه مــنذ زمــن بعيد رهبان سوى قمص يشرف على أوقاف الكنيسة الواسعة. وقال المقريزى (٦٥) "وليس به الآن أحد".[٣] أريد أخيراً أن ألفت نظــر القارئ المحب للبحث فيما يتعلق بتاريخ قديسى كنيسته إلى موضوع أعتبره غريباً فى حد ذاته وفريداً فى بابه وهو أن للشعب القبطى فى الوجه البحرى منذ زمن إقبالا زائداً على تكريم الست دميانة والتشفع بها بينما إذا رجعــنا إلـــى المخطوطات والكتب الطقسية المتداولة فى الكنيسة المرقسية وبحثناها عما فيها من أنواع التذكارات والتمجيد للقديسة دميانه فلم نعثر فيها على شئ من هذا القبيل غير أن فى بعض الكتب الطقسية حديثه العهد خذوا مثلا كتب السنكسار الخطية أو المطبوعة منها تجدونها خالية من سيرتها فى يوم عيدها[٤] أو خذوا "دليل أعياد الملائكة والرسل والشهداء والقديسين فى

---

(١) راجع الميمر المذكور، ص ٧١، ٨٠.

(٢) بنيت الكنيسة الجديدة فى مكان الكنيسة التى شيدت باهتمام الأنبا باسيليوس مطران أورشليم سنة ١٨٨٧.

(٣) وإذا أراد القارىء أن يكون على بينة أوضح من جهة هذا الدير قديما وحاليا عليه أن يراجع ما كتبه E. Sidawi فى:

- Bulletin de la Sociéte Royale de Géographie, VIII (1917) p.p.79.99, H.Munier, les Monuments Coptes selon le pere M. Jullien (=BSAC., VI, 1940) p.p. 145-146.

(٤) راجع كتاب السنكسار (نشره R. Basset فى مجموعة مؤلفات الآباء الشرقيين) تحت ١٢ طوبه و ١٢ بشنس. كذا السنكسار تأليف الأنبا ميخائيل أسقف مليج الموجود بالمتحف القبطى طقس ٤١ وهو أقدم سنكسار معروف بالكنيسة القبطية لم يرد به خبر الست دميانه لا فى ١٣ طوبه.

جمــيع أيــام السنة القبطية" لواضعه أبو البركات بن كبر[١] فلا تجدون فيه تذكارهــا فى ١٣ طوبه أو ١٢ بشنس. خذوا أيضا كتاب الدفنار[٢] فتجدوه خالــياً من تذكارها. زد على ذلك أنه سبق لى أنى فحصت عدة مخطوطات طقسية تحتوى على ذكصولوجيات وطروحات وابصاليات لمدار السنة من مختلف العصور فلم أعثر فيها على ذكر تلك الشهيدة ولا تزال هذه المسألة تحت البحث.

٢٥- ديــر نقــيزة[٣] ذكــر الشيخ المؤتمن أبو المكارم فى مؤلفه[٤] المذكور إذ يقول: "دير شاهق البناء ينظر من دمياط". كان يوجد قديما بقرب مديــنة النقيزة التى كانت غير بعيدة من مدينة البرلس حيث يوجد الآن كوم النقيزة على ساحل البحر الأبيض المتوسط. ولم يوجد لهذا الدير بقايا. ومن المحتمل جداً أن المياه غمرته أو أن الرمال غطته كما حدث لكثير من المدن والقــرى فــى هــذه المنطقة المنكوبة التى نكبت بطغيان المياه وبالزلازل المدمــرة. قد لخص الأستاذ جرجس فيلوثاؤس عوض ما ذكره أبو المكارم عــن نقــيرة هكــذا: "نقــيرة علــى الــبحر المالح شرقى نستراوة وكان اخرسطوذولس سادس ستى البطاركة حبيساً فى صومعة فيها وكان بها دير شــاهق البــناء ينظر من دمياط ولم يبق من أثرها إلا الكوم، (راجع "دليل المــتحف القبطى" بقلم مرقس سميكه باشا، الجزء الثانى (القاهرة، ١٩٣٢ ، ص٢٢١). وكان بها كنيسة واحدة.

---

[١] راجع : Eng. Tisserant, Le Calendrier d' Abou' I- Barakât (= Po., tx, fasc. 3, 1913); F. Nau, Les Ménologes des Evangéliares coptes arabes (= PO., t.x, fasc. 2, 1913).
قد وردت فى كتابة الدلال لأبى البركات تحت ١٠ طوبه وليس تحت ١٣ طوبه وهو عيد الشهيدة. ولافى ١٢ بشنس (راجع Dr. G. Graf, Catalogue de manuscripts arabes chrétiens conserves au Caire, p. 23, mss. 58, 59.) "بطريقة دميانا". لا أعرف هل الست جميلة مذكورة هنا أم لا. ومهما يكن الأمر فقد ذكر يوم عيدها هنا خطأ. راجع (18) Le Clandrier, p. 262.

[2] De Lacy O'Leary, The Difnar (Antiphonarium) of the Coptic Church (London, 1926.).

[٣] كانت مدينة النقيزة فى القرن التاسع للميلادى قلعة مبنية على ساحل البحر الأبيض المتوسط "راجع: J. Maspero et G. Wiet, Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte (= MJFA., XXXVI) Le Caire, 1919, pp, 212 – 213).

[٤] ورقة ٥٥ جـ "راجع كتاب ميمر الشهيدة دميانة" ص٨.

٢٦- ديـــر البيما[١] أو دير الميما (الميمة)[٢] أو دير الميمنة[٣] نجده مذكـــوراً لأول مـــرة فى خبر مفصل من كتاب الشيخ المؤتمن أبى المكارم ضمن بيانه عن أديرة الغربية إذ يقول: "البيما - فى تصحيح الميما - وهذه اللفظـــة قبطية وتفسيرها أربعون[٤] وذلك أن الروم خرجوا من مصر فى وقت دخول المسلمين تخلف منهم أربعون رجلا. فتناسلوا وكثروا وتوالدوا بأسفل الأرض من مصر فسموا البيما[٥] أى نسل الأربعين وأقامت الجيوش بالبـــيما يقاتلون المسلمين بعد ما فتحت مصر سبع سنين بما يفتحون عليهم من تلك المياه والغياض[٦].

وبيـــنما أبـــو المكارم يقتصر فى كلامه عن شرح الأصل فى تسمية هذا الديـــر نجد المقريزى "٦٦" يبين لنا بأكثر إيضاح موقعه وحالته القديمة ومصيره فـــيما بعد إذ يقول: "دير الميمنة" بالقرب من دير العسكر[٧] كانت له حالات جليلة ولـــم يكـــن فـــى القديم دير بالوجه البحرى أكثر رهباناً منه إلا أنه تلاشى أمره وخرب فنزل الحبش وعمروه وليس فى السباخ سوى هذه الأربعة الأديرة". ومن الأســـف أنـــنا لا نعـــرف سبب خراب هذا الدير وتعميره على يد الأحباش مرة أخرى لاسيما إذا كان بهذا الدير أكبر عدد من الرهبان فى الوجه البحرى.

وقـــد ورد اسم هذا الدير مرتين فى "ميمر الشهيدة دميانة" أولا عندما ذكـــر الأنبا يؤانس أسقف البرلس بأن ذات يوم حضر إليه راهب قديس من ســـكان ديـــر الميمة قبلى بيعة الزعفرانة المتهدمة وسلمه كتب قديمة لتلك الكنيســـة وعندما فحصها وجدها كتب تتضمن ترتيب[٨] تلك الكنيسة وكان

---

(١) ورقة ٥٥ جـ.

(٢) وردت فى استشهاد الست دميانة "راجع الميمر ص٣٦، ٣٨" وأيضا فى خبرها الوارد فى "كتاب السنكسار" طبعة القمص عبد المسيح ميخائيل والقمص ارمانيوس حبشى، الجزء الأول "القاهرة" ١٦٥١ش - ١٩٣٥، ص٢٨٧.

(٣) المقريزى "٦٦".

(٤) اعون بالقبطية chme ولفظة الأربعين لفظة pi-chme تكتب بالعربية "بيهميه" ولفظوها أخيرا بيمى وبيما ومنها ميما.

(٥) اطلقت لفظة "البيما" على سكان الدلتا.

(٦) راجع "كتاب الميمر" ص ٨ - ٩.

(٧) كان هذا الدير إذاً يقرب دير جميانة إذ قيل عن الأخير أنه "قريب من دير العسكر" المقريزى "٦٥".

(٨) أشبه بكتاب يستعمل فى الكنائس القبطية يشمل على كل ما يقرأ من فصول ومردات ودكصولوجيات وطروحات ولحن وبرلكس وميمر لعشية وباكر وقداس يوم عيد القديس الذى بنيت الكنيسة على اسمه.

ضـــمنها "ســـيرة دمـــيانة الشهيدة"[١] ثانياً لما أراد والدا دميانة أن يعمداها احضـــرا معهمـــا الـــنذور وأتيا إلى بيعة "قبليهم بقليل كانت في دير الميمة وعمدوا الابنة..."[٢]. لم نعثر على بيانات يذكر فيها متى وكيف خرب هذا الدير بعد تعميره من الأحباش كما يخبرنا المقريزى. ولم نسمع على أن له بقايا.

٢٧- ديـــر الســـيدة مـــريم (العذراء) بتنيس Tennis. كان هذا الدير بجـــوار تنـــيس الواقعة على جزيرة فى بحيرة المنزلة وعلى بعد نحو ٩كم جـــنوب غـــربى بورسعيد. وكانت هذه المدينة ميناء مهماً ومركزاً لصناعة وتجارة الأقمشة المطرزة بالقصب حتى سنة ١١٩٢م[٣] وكانت أيضا كرسيا أسقفياً ذا شهرة فى تاريخ كنيسة الإسكندرية منذ القرن الخامس لغاية القرن الثانى عشر الميلادى. وحدث زلزال[٤] سنة ١٠٦٢م فى تلك الجهة وغمرت الجزيرة تقريباً كلها مع المدينة والبلاد المتجاورة حتى لم يبق الآن إلا جزء صـــغير من الجزيرة ظاهراً فوق مياه البحيرة فى زمن الجفاف[٥]. يخبرنا تـــاريخ البطاركة عن وجود دير على أسم السيدة العذراء مريم بقرب تنيس فـــى منتصـــف القرن الثامن الميلادى إذ ينص: "فولى (القاسم الوإلى على مصر) عليهم زماما يسمى أبا جراح وكانت خيامه عند دير على اسم السيدة مـــريم قريـــب تنيس وفيه جماعة من الرهبان وكهنة مزينين بأفعال حسنة واغومـــنس قديـــس كـــان من وادى هبيب من دير القديس أبى مقار واسم الاغومـــنس ابـــيماخس واســـتحق الأسقفية بعد ذلك[٦] وكان معه من جملة الرهـــبان فـــى هذا الدير أبا مينا الذى صار أسقف مدينة منف وأبا يعقوب القـــس وجماعة رهبان وكان للزمام أخوان فأخذهما وصعد إلى دير ودخل البـــيعة وطرد الرهبان من البيعة ونهبوها وأخذوا كلما فى الدير من قماش

(١) راجع الميمر، ص٣٦ - ٣٧.
(٢) راجع الميمر، ص٣٨. وأيضا كتاب السنكسار المذكور، ص٢٨٧: "وأخذها أبوها إلى الكنيسة التى بدير الميمة".
(٣) راجع BSAC., t. X (1944), p. 125
(٤) راجع نفس الصفحة من المجلة المذكورة.
(٥) ورد فى "كتاب تحفة السائلين" ص١٤٨ خطأ فى تحديد موقع هذا الدير.
(٦) صار أسقف مدينة الفرما (راجع Hist. Pat. III, p. 202 (456)).

وغلـــة وأثـــاث...[١] ولـــم نسمع فيما بعد خبراً عن هذا الدير فى بيان أبى المكـــارم. فقد أكتفى حضرة الأستاذ جرجس فيلوثاؤس فى الكشف للكنائس والأديرة الواقعة بمدينة تنيس وبجوارها بذكر ٣٥ كنيسة فى تلك الجهة ولم يذكر لها ديراً واحدا (راجع "دليل المتحف القبطى" بقلم مرقس سميكه باشا، الجزء الثانى، ص٢١٨).

٢٨- دير أرميا. ذكره أبو المكارم فى بيانه المذكور أعلاه قائلا إنه واقـــع بجزيرة دمياط (تابعة الآن لمحافظة دمياط) وكان شاهق البناء ويرى من دمياط[٢]. ولم تجده مذكوراً فى المصادر التاريخية. والدير لا بقايا له.

٢٩- ديـــر ببلدة شطا. هذا الدير ذكره أبو المكارم فى بيانه المذكور أعلاه[٣] كان واقعاً ببلدة شطا المعروفة أيضا الآن بالشيخ شطا وسيدى شطا بقرب دمياط شرقا (مركز فارسكو مديرية الدقهلية). وكانت شطا قديماً ميناء علـــى بحيرة تنيس وكرسيا أسقفياً[٤]. ذكر فى البيان أن الدير كان كبيراً. لا نعرف اسم الدير ولا زمن اندثاره والدير لا بقايا له. ولكى يستطيع القارئ أن يقـــدر الإقـــبال على الحياة النسكية فى أرض مصر فى القرن الخامس المـــيلادى فجدير بالذكر هنا أن بحيرة تنيس أو بحيرة المنزلة كانت تتخللها عـــدة جزائر كانت مواضع حسنة ومختارة لأولئك الذين كانوا يتوقون إلى حياة الانفراد وعمل النسكيات كما شهد بذلك الناسك المشهور قسيان. فذكر أنـــه حينما سافر من الشام إلى مصر رأى مدينة اسمها ديولكس (Diolcos) كانـــت موقعهـــا عـــند ملتقى النيل مع البحر وكان هناك نساك عاشوا على جزيـــرة قـــد كونها نهر النيل والبحر[٥]. وقال فى موضع آخر: (على أثر حـــدوث زلـــزلة فى الأراضى الممتدة قديما بين دمياط وبورسعيد) "لم يبق هناك إلا القرى التى كانت مبنية فوق التلال[٦]. وكل من هذه القرى صارت

---

[١] راجع المؤلف المذكور (356) p. 102.
[٢] راجع "دليل المتحف القبطى" الجزء الثانى، ص٢١٩.
[٣] راجع المؤلف المذكور، ص٢٢٠.
[٤] راجع J. Maspero et G. Wiet, Matériaux, pp. 112,113
[٥] Pl., LXXIII, col. 838.
[٦] سمى البعض منها الآن "كوم" مثل كوم ابن سلام، كوم تونة، كوم تنيس.

كجزيـــرة ما كان يسكنها أحد إلا النساك الذين التجئوا إليها طالبين لأنفسهم تمام الانفراد"[١].

٣٠- ديـــر التثليث. ذكره أبو المكارم فى بيانه لكنائس وأديرة الوجه الـــبحرى[٢] كان واقعاً ببلدة بزقية بالقرب من تنيس ودمياط. وهذه البلدة قد اندثـــرت ســـنة ١٠٦٢م على أثر نفس الحادث الذى ذكرناه عند الكلام عن مدينة تنيس وكان هذا الدير للملكية كما كان لهم بيعة هناك اندثرت أيضاً.

٣١- ديـــر أبو بخوم. ذكره أبو المكارم فى بيانه المذكور أعلاه[٣]. كـــان واقعـــا فى جزيرة تونة وهى فى بحيرة تنيس. كان هذا الدير للملكية وخـــرب ســـنة ١١٦٨م كـــان بهـــذه الجزيرة أربع كنائس اندثرت أيضا. تقـــع جزيـــرة تونـــه الآن بالجهة الجنوبية الغربية لجزيرة تنيس فى بحيرة المنزلة[٤].

٣٢- ديـــر فى تل الهرّ. فيه ترهب القديس الناسك العالم إيسيذورس الفـــرمى[٥] المولود بالإسكندرية وصار رئيسا عليه وتنيح فيه سنة ٤٤٩م. وهـــو نفـــس الديـــر الذى منه أرسل الآلاف من رسائله المشهورة لملوك وبطاركـــة وأســـاقفة وولاة وعظمـــاء وأغنـــياء عصـــره فيها تارة مذكراً إيـــاهم مـــبادئ الآداب الإنجيلية وتارة مونبا ومقوما المعوج وحينا مرشداً ومعزياً[٦]. ومع أنه كان راهبا بسيطا فى دير بعيد عن مراكز السلطة الدينية والزمنـــية كان صوته مسموعا جدا ليس عند أكابر مصر فقط بل أيضا فى أنحـــاء أخرى من المسكونة، وهو قاطن فى قلايته فى ذاك الدير لا يخشى من أن يقرع فى رسائله عند الضرورة بطريركى عصره وهما أنبا ثاوفيلس وأنـــبا كيرلس لعيوبهما وسوء تصرفهما رغماً عن صلة القرابة التى كانت تـــربطه بهمـــا. وكـــان موقع هذا الدير فى سهل الطينة الواقع عند الطرف

---

[1] Johannes Gassianus, Collationes, VII, 26; XI, 3.

[٢] راجع "دليل المتحف القبطى" الجزء الثانى، ص٢١٨.

[٣] راجع المؤلف المذكور، ص٢١٨.

[٤] راجع J. Maspero et G. Wiet, Matériaux, pp. 61,62.

[٥] راجع كتاب السنكسار تحت ١٠ أمشير.

[٦] لذلك دعى "معلم المسكونة" "راجع المؤلف المذكور".

الشــمالى لقــناة الســويس من الجهة الشرقية وفى نصف المسافة بين تل الفــرما[1] والقنطرة الشرقية. وكانت قديما طريق القافلة بين مصر والشام التى تمر على مسافة قليلة جنوبا منه. وكان الدير تابعاً لأسقفية Pelusion أو الفــرما وهــى من أقدم أسقفيات مصر. ولما بلغ القديس هيلاريون مؤسس الرهبنة فى الشام خبر وفاة معلمه الأنبا انطونيوس الكبير فى سنة ٣٥٦م قام مــن ديره بجوار مدينة غزة بصحبة أربعين راهبا وساروا إلى جبل القلزم ليؤدوا آخر واجب عليهم نحو ذاك الراحل العظيم كوكب البرية. فمروا فى طــريقهم على مدينة الفرما واستراحوا فى هذا الدير ثم استأنفوا السير إلى جبل القلزم.

وتنقصــنا المصادر التى تدلنا على مصير هذا الدير بعد نياح القديس ايسيذورس وكم من القرون بقى قائماً ولكن من المؤكد أن هذا الدير لم يبق لــه أثر بعد سنة ١١١٨م إذ فى تلك السنة استولى بودين الأول ملك الفرنج على الفرما ثم أحرقها جنوده[2] ولم تقم لها قائمة فيما بعد. توجد فى تل الهر وتــل الفــرما كمــا فى تل اللولى وتل الفضة وهما بقربهما لم تجر فيها حفريات رسمية لغاية الآن. ياحبذا لو اهتم رجال الآثار بهذه البقعة الأثرية الــتى قامت عليها مختلف الحضارات وازدهرت فيها حينا من الدهر. ولا يســتنتج القــارئ من ذكرنا ديراً واحداً فى منطقة الفرما أن هذه المنطقة كانت قديماً فقيرة بالكنائس والأديرة. كلا أننا لضيق المقال نكتفى بما ذكره أبو المكارم فى كتاب كنائس وديارات مصر فى هذا الصدد "ورقة ٥٧جــ". "وكان بها "بالفرما" عدة كنائس وأديرة أخربها الفرس والعرب".

وإذا ســرنا من هذا الدير متجهين إلى الغرب مارين بالحد الجنوبى الشــرقى لبحيرة المنزلة وصلنا إلى بلدة صان الحجر[3] الواقعة فى الركن الشمالى الغربى من مركز فاقوس "مديرية الشرقية".

---

(١) سميت فى العصور الوسطى مدينة الفرما أو الفرما. وردت أيضا "الفرماء" و"تل الفرما" و"فرماء" "كذا". وكان اسمها بالقبطية Permoun وباليونانية Pelousion.

(٢) راجع مؤلف أبى المكارم المشار إليه ورقة ٥٨جـ.

(٣) اسمها قديماً "جانى" بالقبطية "تانيس" باليونانية.

٣٣- دير تاشنتس: لا نعرف إذا كان هذا الدير واقعا فى مدينة صان الحجـر أم بجوارهـا. جاء ذكر هذا الدير فى سيرة حياة القديس مقاريوس الإسكندرى المحفوظة باللهجة البحيرية فى مخطوطة المكتبة الفاتيكانية رقم ٦٤ ورقـة ٨١جـ. ومن هذا يستنتج أن هذا الدير كان موجودا فى القرن الرابع الميلادى.

وأننا لم نتمكن من العثور فى المصادر التاريخية على معلومات عن هذا الدير أكثر مما ذكرنا.

٣٤- دير ظاهر أشمون الرمان: هذا الدير ذكره أبو المكارم فى بيانه للكـنائس والأديرة فى الوجه البحرى[١]. كان هذا الدير واقعاً شمال غرب صـان الحجـر خارج عن مدينة أشمون الرمان[٢] المعروفة أيضاً بأشمون طناح أو بأشموم طناح[٣] الواقعة على البحر الصغير (مركز دكرنس مديرية الدقهلـية). ولا نعـرف اسـم هذا الدير وذكر عنه فقط أنه كان فيه "بمين المتعـبد". تاريخ هذا الدير مجهول والدير لا بقايا له وقبل أن نبين للقارئ شـيئاً عـن تاريخ الأديرة المتهدمة والمتروكة فى المنطقة الشمالية لمدينة مصر يجب أن نذكر بعض الأديرة الواقعة فى غرب الدلتا.

٢٥- ديـر أنبا أرميا (Jeremias). كان هذا الدير واقعاً بقرب منوف العلـيا "مديرية المنوفية" وهو خلاف دير أبى هرميس (= Jeremias) بقرب سقارة. ذكره يوحنا أسقف نقيوس فى مؤلفه فى (التاريخ)[٤] عندما تكلم عن انستاسيوس الذى علم له فى هذا الدير أنه سيكون إمبراطوراً على بيزانس " ٤٩١ – ٥١٨م". وليس لدينا معلومات أكثر من ذلك عن هذا الدير. والدير لا بقايا له.

---

[١] راجع "دليل المتحف القبطى" الجزء الثانى، ص٢٢٢. ربما يوجد فى المخطوطة أكثر معلومات عن هذا الدير.

[٢] كانت أسقفية فى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر الميلادى (راجع H. Munier, Recueil des listes épiscopales de l'Eglise copte (Le Caire, 1943), p. 63).

[٣] كان بها بيعة بخبس Pi-kh bs (= المصباح) وهو أبو يحنس الشهيد الذى كان فى أشمون طناح (راجع كتب السنكسار تحت ١٠ مسرى).

[4] H. Zotenberg, Chronique de Jean, évêque de Nikiou, p. 488; J. Maspero et Gaston Wiet, Matériaux, pp, 200, 203.

٣٦- ديـــر وكنيسة مار يوحنا المعمدان: هذا الدير ذكره أبو المكارم فى بيانه المشار إليه وكان واقعاً فى مدينة مليج أو حصة مليج. وهذه المدينة كانت كرسياً أسقفياً (راجع H. Munier, Recueil. Pp. 25,41). لا نعرف عن هـذا الدير أكثر مما ذكره "دليل المتحف القبطى" الجزء الثانى، ص٢٤٢. ومليج بمركز شبين الكوم مديرية المنوفية. والدير لا بقايا له.

٣٧- دير مارمينا أو دير الحبيس. أو قلاية الحب. لم يزل هذا الدير قائما حتى يومنا هذا على بعد ١,٥كم. بحرى بلدة إيبار "مركز كفر الزيات مديرية الغربية" ويوجد به كنيسة وقلالى[1] لكن ليس فى الدير رهبان الآن. سمى بدير الحبيس لأن حبيساً سكن هناك فى حبس أو صومعة فى العصور الوسطى كما يخبرنا كتاب تاريخ البطاركة. لغاية الآن يقيمون هناك فى كل سنة مولداً فى ١٥ بؤونه.

لم أجد ذكر هذا الدير فى المصادر التاريخية إلا فى بيان أبى المكارم المذكور أعلاه[2]، ولا أعرف إلى أى قرن يرجع تاريخه وما كانت أحواله.

٣٨- ديـــر القديس تادرس؟ كان هذا الدير واقعا ببلدة بوريج "بمركز طـــنطا مديـــرية الغربـــية". ذكـــره أبـــو المكـــارم فى بيان كنائس وأديرة الوجـــه البحرى[3] ذكر أن الأنبا مقاره الثانى وهو التاسع والستون من عدد بطاركـــة الإسكندرية "١١٠٢ - ١١٢٩م" كان راهبا بهذا الدير. وهذا الدير لابقايا له.

٣٩- ديـــر المـــلاك ميخائيل. هذا الدير ذكره أبو المكارم فى بيانه المشار إليه[4] كان واقعاً ببلدة مسير "مركز كفر الشيخ مديرية الغربية" وكان بهـــا خمس كنائس. وليس لدينا معلومات أكثر من ذلك عن هذا الدير. وهذا الدير له بقايا له.

---

(١) ربما حجرات لزوار المولد.
(٢) راجع "دليل المتحف القبطى" الجزء الثانى، ص٢٣٧.
(٣) راجع "دليل المتحف القبطى" الجزء الثانى، ص٢٢٤.
(٤) راجع المؤلف المذكور، ص٢٣٤.

٤٠- ديـــر أبو هرمس (= Jermias) أو بهرمس وكان هذا الدير على بعـــد نحـــو ساعة ونصف ساعة على المحلة الكبرى. ذكره أبو المكارم فى بيانه المشار إليه[١] هذا كله نعرفه عن هذا الدير. والدير لا بقايا له.

٤١- دير اتريب: كان قديماً ديراً بمدينة أتريب "من الشرقية". كانت هـــذه المديـــنة تقع على الضفة الشرقية للنيل "الفرع الدمياطى" بالقرب من بـــنها العســـل حالـــياً وشمال شرقى منها. اشتهر اسم هذا الدير فى الآداب العربـــية المسيحية لمصر بسبب أعجوبة كانت تحصل فى كنيسة الدير فى ٢١ بؤونه[٢] من كل سنة خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين. وعرفت هـــذه الأعجوبة بأعجوبة السيدة العذراء بكنيسة مدينة أتريب فى أيام خلافة المأمون "٨١٣ - ٨٣٣م". ومن هذه الأعجوبة أن حمامة بيضاء كانت تنزل من مكان مجهول وتأتى فى ذلك العيد فتدخل المذبح ثم تغيب عن النظر إلى مـــثل هذا اليوم فى السنة التالية. وتدرجت هذه الأعجوبة إلى مجموعة من العجائب المعروفة بأسم "مجموعة الاثنتين والسبعين أعجوبة للعذراء مريم" وهـــى محفوظة باللغة العربية والحبشية وكثير من اللغات الأخرى فى عدة مخطوطات ونشرت فى مؤلفين[٣] ويمكن القارئ أن يطلع على تفصيل هذه الأعجوبـــة اللطـــيفة فـــى أحد المؤلفين المشار إليهما فى الحاشية ووضعه الشابشتى[٤] فى كتاب الديارات[٥] وياقوت[٦] فى كتابه معجم البلدان[٧]: "دير أتريـــب" بأرض مصر ويعرف بمارت مريم عليها السلام له عيد وانه قبل الخامس عشر من آب والحادى والعشرين من بؤونه من أشهر القبط يذكرون

---

(١) راجع المؤلف المذكور، ص٢٢٤.

(٢) هو عيد العذراء مريم فيه تحتفل الكنيسة القبطية أولا بتذكار تكريس كنيسة اتريب وهى اول كنيسة بنيت فى مصر على اسم العذراء مريم، ثانيا بتذكار تكريس كنيسة على اسم العذراء مريم بمدينة فيلبى فى أيام الرسل، وثالثا بتذكار تكريس كنيسة على اسم العذراء مريم بمدينة قيسارية على يد القديس باسيليوس.

(٣) كتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء مريم مجموع من أقوال آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية طبع علـى نفقـة جـرجس حنين "مصـر ١٩٠٢م - ١٦١٩ش" ص١٨٦ - ١٩٤ وكـتاب مـيامر وعجائـب السيدة العذراء والدة الإله الكلمة على حسب ما وضعه آباء الكنيسة الأرثوذكسية طبع على نفقة القمص عبد المسيح سليمان "مصر ١٩٢٧" ص٢٧٤ - ٢٨٦.

(٤) توفى سنة ٩٨٨م أو ١٠٠٨م.

(٥) النص مع الترجمة الانكليزية فى: BSAC., t. V (1939), pp. 23, 28

(٦) توفى فى سنة ١٢٢٩م.

(٧) راجع المجلد الرابع، ص١٢١ (طبع بمطبعة السعادة، مصر، ١٣١٤ - ١٩٠٦).

أن حمامـــة بيضاء تجيئهم ولا يرونها إلا يوم مثله وتدخل المذبح ولا يدرون من أيـــن جاءت". ثم ذكره أيضاً القزوينى[1] فى كتابه آثار البلدان[2]. ذكره أيضاً أبو المكارم فى بيانه المذكور أعلاه[3] لكننا لا نعرف ما ورد بالمخطوطة.

وأخيراً ذكره المقريزى إذ يخبرنا أن الدير قد تلاشى فى أيامه "حتى لم يبق به إلا ثلاثة من الرهبان لكنهم[4] يجتمعون فى عيده" ولا يمكننا تحديد تـــاريخ تأسيس هذا الدير إنما يرجح أن يكون قديم العهد إذ أن أتريب كانت اســقفية قبل سنة ٣٢٥م[5]. ولو أجريت فى تل اتريب حفريات أوسع نطاقا مـــن الـــتى أجريـــت سابقاً فانه من المنتظر أن تكشف بعض بقايا الكنيسة أو الديـــر الـــذى كان على حسب الوصف الوارد فى ميمر أعجوبة كنيسة أتريـــب عظـــيم الاتســـاع ومزداناً بكثير من أعمدة الرخام الأبيض وبأبدع الزخارف.

٤٢- دير سرياقوس أو دير أبى هور: سمى دير سرياقوس لوقوعه بجوار بلدة سرياقوس الواقعة على بعد ١٧كم. شمال شرقى القاهرة بمركز شبين القناطر مديرية القليوبية وسمى دير أبى هور لأنه كان مبنياً على اسم القديـــس أبـــا هور الشهيد من سرياقوس الذى استشهد فى أيام ديقلاديانوس الملك بمدينة أنصنا فى اليوم الثانى عشر من شهر أبيب[6]. ذكر خمسة من المؤرخيـــن[7] هذا الدير ووصفوه. ومن مقارنة وصف الشابشتى لهذا الدير بوصـــف المقريـــزى يظهـــر أنـــه كان فى أوج عمرانه فى القرن العاشر الميلادى واضمحل فى القرن الخامس عشر وكانت لهذا الدير شهرة عجيبة فـــى نوعهـــا. وجدير بنا أن نذكر هنا وصف الشابشتى له[8]: "وهذه البيعة

(١) توفى فى سنة ١٢٨٣م.

(٢) (دير اتريب بأرض مصر يعرف بمارت مريم عليها السلام له عيد وإنه فى الخامس عشر من آب والحادى والعشرين من بؤونه من أشهر القبط يذكرون أن حمامة بيضاء تأتيهم ولا يرونها إلا مثله تدخل المذبح ولا يدرون من أين جاءت).

(٣) راجع (دليل المتحف القبطى) الجزء الثانى، ص٢١٨.

(٤) أعنى الشعب أو الزوار.

(٥) راجع H. Munier; Recueil des listes épiscopales de l'Eglise Copte (Le Caire, 1943), p.2.

(٦) راجع كتاب السنكسار تحت ١٢ أبيب.

(٧) راجع BSAC., t V (1939), pp. 8 - 9

(٨) راجع المجلة المذكورة. ص٢٢.

بسرياقوس من أعمال مصر، عامرة كثيرة الرهبان، لها أعياد[1] يقصدها الناس، وفـيها علـى ما ذكر أهلها أعجوبة وهى أن من كانت به خنازير[2] يقصد هذا الموضـع لبعالج به، فيأخذه رئيس الموضع ويأتيه بخنزير، فيرسله على موضع الوجع[3] فيأكل الخنزير الذى فيه لا يتعدى ذلك الموضع، فإذا تنظف الموضع ذرّ عليه[4] من رمّاد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ومن زيت قنديل البيعة فيبرأ ثم يؤخذ ذلك الخنزير[5] فيذبح ويحرق ويعد رماده لمثل هذا الحال.

لا يختلف ياقوت[6] والمقريزى "٦١" فى وصفهما هذا الدير من حيث المعـانى ويخـتم المقريزى وصفه بهذه الملاحظة: (وهو "أعنى الدير" إلى الآن كذلك كما ذكروه) قال "ولهذه البيعة دخل عظيم من يبرأ من هذه العلة. وفـيه خلـق مـن النصارى". أما ابن فضل الله العمرى فى كتابه "مسالك الأبصـار فى ممالك الأمصار" فتكلم عن مظاهر هذا الدير وها قوله: "بيعة أبى هور – وهى بسرياقوس عامرة برهبانها. مثرية بفضة قناديلها وذهب صـلبانها كثـيرة القلالـى، مذهبة بالوقود جنح الليالى ولها أعياد مقصودة الأوقـات منتظرة الميقات"[7]. لا نعرف متى اندثر هذا الدير وموقعه تماما نسبة لموقع القرية سرياقوس حالياً. وليست له بقايا.

٤٣- ديـر بالقـرب من بلبيس: ذكره أبو المكارم فى بيانه للكنائس والأديـرة فـى الوجه البحرى المذكور أعلاه بقوله: (داخلها "أعنى بلبيس مركز الشرقية" كنيسة قديمة وخارجها كنيسة السيدة وبقربها دير)[8] وربما يوجد فى المخطوطة معلومات أكثر عن هذا الدير.

---

[1] لا نعرف ما هذه الأعياد خلاف عيد هذا القديس فى ١٢ ابيب أما المقريزى (٦١) فقال (وله عيد يجتمع فيه الناس).

[2] سألت حضرة صاحب العزة الدكتور جورجى صبحى بك عن هذا المرض فاخبرنى أن هذا المرض هو عبارة عن عقد تظهر فى الرقبة أو فى الأبط أو الحفر الأوربية (خلف الورك) وهو مرض درنى فيه العقد وتضخم وتتحبس وتتقيح وهو معد لما يتقيح وهو سل.

[3] المقريزى (فلحس موضع الوجع).

[4] يضيف المقريزى إلى هذا: (رئيس الدير).

[5] يضيف المقريزى إلى هذا: (الذى أكل خنازير العليل).

[6] راجع (كتاب معجم البلدان) المجلد الرابع، ص١٢١ "طبع بـطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م".

[7] راجع مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لإبن فضل الله العمرى بتحقيق الأستاذ أحمد زكى باشا، الجزء الأول القاهرة سنة ١٩٢٤، ص٣٦٠.

[8] راجع "دليل المتحف القبطى" الجزء الثانى، ص٢١٨.

٤٤- دير بناحية رانة. كان موقع هذه الناحية على الساحل الشرقى لـبحر القلزم (خليج السويس حالياً) على بعد يوم شمالى جبل الطور (تابع محافظة سيناء) أسفرت بحوث المستشرقين عن أن اسم هذه الناحية الخربة (رانــة) ورد محــرفاً فى المخطوطة الوحيدة لكتاب كنائس وديارات مصر لأبــى المكــارم بورقة ٥٨ج وصحته راية[١] كانت قديماً مدينة وأسقفية ثم خربت. جاء ذكر هذا الدير فى (كتاب التاريخ) لسعيد أبن بطريق البطريرك الملكى[٢] ثم ذكره أيضاً أبو المكارم "ورقة ٥٨ اجـ".

وقال إنه بنى فى أيام بسطيانوس الملك[٣] "٥٢٧ - ٥٦٥م" وهو الذى شيد أيضاً فى القلزم كنيسة أنباسيوس "أعنى اثناسيوس الرسولى البطريرك العشرون[٤]. كان هذا الدير للملكية كما كانت أسقفية القلزم تابعة لبطريركية الملكــية[٥] فــى معظم العصور كانت كرسياً أسقفياً وليست له بقايا. وتدل المصــادر التاريخية على أن ما بين القرن الرابع الميلادى والقرن السادس المــيلادى كان كثيرون من النّساك أو المتوحدين يعيشون فى منطقة القلزم وهــم إما أنهم كانوا يعيشون منفردين فى مغاير الجبال أو المقابر المتروكة وأمــا سكنوا فى قلالى متفرقة تحت إرشاد ناسك كبير يفتقد كل واحد منهم فى قلايته من حين إلى حين ولكن لم تكن هناك معيشة واحدة تربطهم أو نظام شــامل وقوانين واحدة تجمعهم. فهؤلاء كانوا على مثال النساك الذين كان أنبا أنطونــيوس وأنبا أمون يفتقدهم فى القرن الرابع الميلادى. ومن هؤلاء النساك الكبار الذين عاشوا بجوار القلزم [٦] نذكر الأنبا شيشوى[٧] والأنبا أوكين.

من المحتمل أنه وجدت بين القرن الخامس والسابع الميلادى بعض أديرة بجــوار مديــنة فاران التابعة لشبه جزيرة سيناء والواقعة على الشاطئ الشرقى لخلــيج الســويس على بعد نحو ٥٠ كم شمال الطور. وكانت هذه المدينة وقتئذ

---

(١) راجع J. Maspero et G. Wiet, Matériaux, pp. 98-99

(٢) راجع Eutychii part. Alexandr. Annales, pars I, ed. L. Cheikho (= CSCO, Scriptores arabici. Textus ser. III, t. VI. Beryti, 1906), pp. 202-204

(٣) هذا ما ذكره أيضاً سعيد بن بطريق فى مؤلفه المذكور بعاليه.

(٤) ورقة ٥٨ جـ.

(٥) راجع H. Munier, Recueil des listes épiscopales etc., p. 203
وكتاب السنكسار تحت ٣٠ مسرى

(٦) خربت مدينة القلزم (Clysma) فى القرن الرابع عشر ونشأت بجوارها على بعد ١٢ ميلا منها مدينة السويس.

(٧) راجع Zoega, Catalogus codicum copticorum p. 299.

كرسيا أسقفيا. كما وأن جماعات من المسيحيين كانت منتشرة فى الجهات المتجاورة لها كذا قلالى لنساك. ونعلم من سيرة حياة الأنبا بيجيمى الذى كان ناسكا فى برية شيهات إذ كان له الفضل فى نشر الدين المسيحى بين الوثنيين الساكنين هناك.

٤٥- دير يحنس. كان واقعا بدمنهور شبرا[١] وهى بلدة على الضفة الشرقية لنهر النيل قبالة جزيرة الوراق على بعد نحو ستة كم. شمالى القاهرة وسمى بدير يحنس اذ أنه قيل إن أصبع الشهيد يحنس السنهوتى[٢] كان يحفظ فى دكة بكنيسة القديس يحنس هناك. وتكلم المقريزى فى كتابه الخطط "الجزء الأول ص١١٠ - ١١٢" فى الباب "ذكرى عبد الشهيد" عن أمور غريبة كانت تحدث فى ٨ بشنس من كل سنة فى "شبرا" من ضواحى مصر واليك نصه: "ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد[٣] وكان من أنزه فرج مصر وهو اليوم الثامن من بشنس أحد شهور القبط ويزعمون أن النيل بمصر لايزيد فى كل سنة حتى يلقى النصارى فيه تابوتا من خشب فيه أصبع من أصابع أسلافهم الموتى ويكون ذلك اليوم عيدا ترحل اليه النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة أهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفى الجزائر ولا يبقى مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بغى ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق إلا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لا يحصيهم إلا خالقهم وتصرف أموال لا تنحصر... وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائما بناحية شبرى من ضواحى القاهرة ألخ". يذكر ابو المكارم[٤] أن جسد الشهيد نقل من كنيسته إلى أربع كنائس أخرى بسبب اقتراب نهر النيل فى بعض السنين إلى الكنيسة فنقل أولا إلى كنيسة دير العذراء بناحية العدوية ولم يبق هناك إلا مدة وجيزة إذ سمع صوت من الجسد يقول "ما يمكن ان يبقا[٥] كنيسة

---

(١) الأن شبرا الخيمة من ضواحى مصر مديرية القليوبية.
(٢) راجع كتاب السنكسار تحت ٨ بشنس.
(٣) أعنى الشهيد يحنس الذى من سنهوت.
(٤) فى كتابة "كنائس وديارات مصر".
(٥) كذا.

السيدة وليس لى إلا البيعة التى كنت فيها أولا وعند ذلك أعيد اليها"[١]. يخبرنا أبو المكارم فى موضع آخر بنقل جسد الشهيد إلى ثلاث كنائس أخرى لنفس السبب المذكور قائلا: "وكان بها ايضاً بيعة أبو مينا الكبير. جسد الشهيد أنبا يحنس فى دكة خشب نقى وكان البحر قريب من هذه البيعة ثم بعد البحر من هناك فنقل إلى بيعة تادرس بدمنهور[٢] على البحر فعدى البحر على هذه البيعة وانتقل إلى كنيسة السيدة بشبرا وجدد عمارتها أعنى بيعة أبو يحنس بعد الحريق[٣] الشيخ الأكرم بن أبى الفضائل بن أبو سعيد فى الخلافة العاضدية"[٤].

وفى القرن العاشر الميلادى ذكر الشابشتى هذا الدير ولخص أمره فى هذه العبارة "دير يحنس هذا الدير بدمنهور من أعمال مصر، إذ كان يوم عيده أخرج شاهده من الدير فى تابوت، فيسير على وجه الأرض لا يقدر أحد أن يمسكه ولا يحبسه حتى يرد البحر، فيغطس فيه، ثم يرجع إلى مكانه[٥]" ونقلا عنه كتب ابن فضل الله العمرى[٦] فى النصف الأول من القرن الرابع عشر: "دير يحنس. وهو بسنهور[٧]، من أعمال مصر. وهو عامر برهبانه، ناضر بسكانه قال الشبشتى: وقد ذكر بعض المتقدمين أنه إذا كان يوم عبده، اخرج الرئيس الذى فى الدير الشاهد فى تابوته. ويسير التابوت على وجه الأرض، فلا يقدر أحد يمسكه ولا يحبسه، حتى يرد البحر، فيغطس فيه، ويرجع إلى مكانه".

ولا نعلم بالتحديد تاريخ هذا الدير والكنيسة التى كانت بداخله. ويتضح من مقارنة المصادر التاريخية انه كان موجوداً فى القرن العاشر الميلادى وربما قبل ذلك. يخبرنا المقريزى ان كنيسة الدير هدمت فى سنة

---

(١) أعنى إلى كنيسة دمنهور بشبرا. راجع ورقة ٤٥ ظ.
(٢) المقصود هنا: دمنهور شبرا.
(٣) أعنى الحريق الذى أحدثه شاور الوزير فى الفسطاط سنة ٥٦٤هـ (١١٦٩م).
(٤) راجع ورقة ٣٠ جـ.
(٥) راجع BSAC., t. V (1939), p. 22
(٦) فى كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى بتحقيق الاستاذ احمد زكى باشا الجزء الأول، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.
(٧) كذا. يقصد العمرى هنا سنهور الواقعة فى مركز دمنهور بمديرية البحيرة. ذكر ياقوت فى مؤلفه المذكور: "بسمنود" كذا.

٧٥٥هـ "١٣٥٤م" وهى نفس السنة. "التى هدمت لهم[١] عدة كنائس[٢]" كذا يتكلم عن مصير إصبع الشهيد إذ يقول: "فلما كان العشر الأخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والأمير علاء الدين على بن الكورانى وإلى القاهرة إلى ناحية شبرى الخيام من ضواحى مصر فهدمت كنيسة النصارى وأخذ منها إصبع الشهيد فى صندوق وأحضر إلى الملك الصالح[٣] وأحرق بين يديه فى الميدان وذرى رماده فى البحر حتى لا يأخذه النصارى فبطل عيد الشهيد من يومئذ إلى هذا العهد ولله الحمد والمنة"[٤]. وليست لهذا الدير بقايا.

٤٦- دير جرجيوس الذى عرف ببئر العظام. كان هذا الدير بالقاهرة بالقرب من الجامع الأقمر[٥] أو جامع العظام "حيث البئر التى تعرف الآن ببئر العظما من أجل أنه نقل[٦] عظاما كانت بالدير (عظام أو ذخائر قديسين؟) وجعلها بدير الخندق". ذكره المفريزى "٦٠" وقال إن القائد جوهر الصقلى هدم هذا الدير حينما وضع الأساسات للقاهرة فى سنة ٩٦٩م وأعطى القبط دير الخندق عوضاً عنه.

٤٧- دير مارجرجس بالخندق أو دير الخندق. كان واقعا بظاهر القاهرة من شماليها أى على الحد الشمإلى منها تابعا لضاحية القاهرة المعروفة باسم الخندق وبجوار مدافن أنبا رويس حاليا[٧] "بالعباسية". كان هذا الدير على اسم مارجرجس. ذكره المقريزى "٦٠" باسم دير الخندق إذ قال إن القائد جوهر الصقلى عندما أسس مدينة القاهرة سنة ٩٦٩م هدم دير العظمة (دير العظام) الذى كان واقعا فى القاهرة بالقرب من جامع الأقمر[٨]

---

(١) أعنى النصارى.

(٢) راجع كتاب الخطط، الجزء الأول.

(٣) الملك الناصر محمد بن قلاون "١٢٧٩ - ١٢٩٠م".

(٤) راجع كتاب الخطط، الجزء الأول، ص١١١ - ١١٢.

(٥) ورد فى الخطط الجديدة التوفيقية لعلى باشا مبارك طبع ١٣٠٥هـ الجزء الرابع ص٦٠ جامع الأقمر هو على يمين السالك من شارع الامشاطية بخط بين القصرين يريد باب الفتوح بقرب حارة برجوان وجامع السلحدار (وهو الآن يعرف بشارع المعز لدين الله قرب الصاغة قسم الجمالية).

(٦) أعنى جوهر الصقلى.

(٧) سميت قبل ذلك "مقبرة الخندق".

(٨) "الجامع الاقمر حيث البئر التى تعرف الآن ببئر العظمة وكانت إذ ذاك تعرف ببئر العظام من أجل أنه نقل عظاما كانت بالدير وجعلها بدير الخندق".

فعمر دير الخندق عوضاً عن الدير الذى هدمه. ذكر أبو المكارم هذا الدير عــندما تكلــم عــن سلمون ملك النوبة الذى تنازل عن الملك وحضر إلى القاهــرة حيث قضى آخر سنة من حياته متعبداً لله. ولما مات "دفن فى دير القديس مارى جرجس بالخندق فى بطريركية كيرلس وهو السابع والستون فــى العدد[١] وقبره من داخل صور البيعة مجاور الباب على يمين الداخل إليها"[٢]. ويذكر تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية الجزء الثانى أنه "لما دخل "سـلمون" إلى القاهرة أكرمه أمير الجيوش وأنزله فى دار حسنة وحمل إليه الكسوة والفرش والآنية وأقام على هذه القضية مقدار سنة ثم تنيح ودفن فى ديــر القديس مارى جرجس بالخندق[٣]". هدم هذا الدير فى ١٤ شوال سنة ٦٧٨هـ "١٢٨٠م" فى أيام الملك المنصور قلاون ثم جدد وعمل كنيستين[٤] وهما كنيسة غبريال الملاك وكنيسة مرقوريوس التى سميت فيما بعد كنيسة أنبارويس[٥].

٤٨- ديــر مــارى[٦] ميــنا أو دير الشهيد أبو مينا. كان واقعا فى الحمــراء أو الحمــراء الوسطى "على حسب تقسيم مدينة مصر فى القرون الوســطى" بخط قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر[٧] وبقرب النيل[٨]. وكــان بــه كنيســة عرفــت باسم "أبو مينا الزهرت"[٩] و"أبا مينا بظاهر مصـــر"[١٠] كمــا كانت بجوار مدافن المسيحيين[١١] وهى مازالت موجودة ليومــنا هــذا. ويلاحــظ القارئ أن هذه الكنيسة ليست الكنيسة التى ذكرها

---

(١) أنبا كيرلس الثانى "١٠٧٨ – ١٠٨٢".
(٢) ورقة ٩٨جـ.
(٣) راجع ١ تاريخ بالمتحف القبطى الجزء الثانى ورقة ١٧٤ (جـ).
(٤) راجع المقريزى (٦٠).
(٥) راجع كتاب الخطط، الجزء الرابع، ص٤٢٣.
(٦) أما دير الملاك (ميخائيل) البحرى ودير الملاك غبريال دير أنبا رويس الواقعة شمالى القاهرة عند العباسية فأظن أنها ليست أديرة أصلا بل كنائس. لذلك لم أدرجها فى هذا الجدول.
(٧) راجع المقريزى، كتاب الخطط، الجزء الرابع، ص٤٢٦.
(٨) راجع أبو المكارم ورقة ٣٠جـ "وكان البحر قريب من هذه البيعة".
(٩) تختلف تسميتها لفظيا حسب نسخ المخطوطات. راجع كتاب السنكسار تحت ١٢ كهك "... استشهد القديس برشنوفيوس على أيام المسلمين هذا كان راهبا فى كنيسة ابومنا الزهرى التى بين مصر والقاهرة على الخليج".
(١٠) راجع É. Amélineau, La Géographie de l'Egypte, pp. 577, 579.
(١١) راجع أبو المكارم ورقة ٣١ ظ.

المقريـــزى فى كتابه الخطط الجزء الثانى، ص٤٢٥ بالوصف الآتى "كنيسة بومنا بجوار بابليون أيضا وهاتان مغلوقتان لخراب ما حولها"[١].كما وأنها تخـــتلف عن الكنيسة التى ذكرها المقريزى فى ذات المؤلف ص٤٢٤ بأسم "كنيســـة بومنا هذه الكنيسة قريبة من السد فيما بين الكيمان[٢] بطريق مصر وهـــى ثـــلاث كـــنائس متجاورة إحداها لليعاقبة والأخرى للسريان وأخرى للأرمـــن ولها عيد فى كل سنة تجتمع إليه النصارى". أما الدير الذى نحن بصـــدده فمـــن المحتمل أن يكون من أقدم الأديرة التى كانت بمدينة مصر وحولهـــا ويـــرجع تاريخه إلى ما قبل القرن الثامن الميلادى إذ قد ذكر أبو المكـــارم (ورقـــة ٢٩ظ) "جدد بناها فى[٣] خلافة هشام ابن عبد الملك ابن مـــروان... باهـــتمام من جماعة من النصارى الساكنين بهذا الخط فى سنة ومائة هجرية[٤] (٧١٥م)".

وقـــد تكلـــم أيضاً بأنه كان يوجد "بجوار هذه البيعة الدير بباب مفرد وفـــيه عدة من الرهبانات فى مساكن متفرقة وفيه بئر ما معين[٥] الخ". أما مـــن حيـــث حســـن موقع الدير فقال إنه "بين البساتين حسن الوضع كثير المترددـــن من الرهبان وغيرهم[٦]" وكان لهذا الدير من القديم مع أنه كان فـــى وسط المساكن جوسق[٧] على نظام بنيان الأديرة الواقعة فى الصحراء أو على حافتها[٨] لكنه هدم على ممر الأيام. وفى أواخر القرن الثانى عشر

---

(١) يتكلم المقريزى هنا عن كنيستين بجوار بابليون وهى كنيسة تاودروس الشهيد (المشرقى) وكنيسة بومينا.

(٢) هى الأنقاض الموجودة عند الحد الجنوبى الشرقى لمصر العتيقة.

(٣) إقرأ "بناه".

(٤) ذكر المقريزى أن تجديده حدث فى سنة ١١٧هـ (راجع كتاب الخطط الجزء الرابع – ص ٤٢٥).

(٥) ورقة ٣٠ ظ.

(٦) ورقة ٣١ جـ.

(٧) المعروف عند العامة بالحصن وهو فى الواقع البرج الشاهق أشبه ببرج قلعة تستعمل أبو المكارم كلمة "حصن" للسور الضخم الذى يحيط بالدير. كان لدير صمونيل القلمونى أربعة جواسق "راجع أبو المكارم، ورقة ٧١ظ". وكان مدخل الجوسق من داخل الكنيسة بسقالة. والقصد منه حراسة وحماية الدير وسكانه من هجمات البربر أو العربان أو اللصوص "راجع كتاب السنكسار تحت ٢٦ طوبه". ومرارا كانوا يدفنون الرهبان تحت الجوسق وقد يكون فيه مكتبة الدير. وكان عادة سور (= حصن) عال ضخم يحيط بالدير والكنيسة والجوسق والبساتين والأراضى المزروعة .

(٨) قد وجدت أيضا قديما كنائس لها جوسق كما أن أبا المكارم ذكر وجود كنائس منقورة بالازميل فى الجبل عند أسيوط ولكل منها جوسق "ورقة ٨٩جـ".

المــيلادى جــددت عمارته وقصدوا أن يعلموه من ثلاث طبقات[1] لكن لم يكمــل الانصــفة[2]. وحدث فى سنة ٥٥٩هــ "١١٦٣ - ١١٦٤" لما هجم "الغــز الأكــراد مــع صلاح الدين يوسف بن ايوب على مصر أحرق هذا الديــر والبيعه إلى أن صاروا أرض ماخلا الجاق وجانبى الاسكنا البحرى والقــبلى"[3]. وبعــد هذه النكبة اهتم كبار القبط بتجديد الكنيسة لكنهم لسبب تجهله تركوا الدير مهدوما مع سائر الأبنية التى كانت من حقوقها حتى قال أبــو المكارم: "وبقى هذا الدير فى الخراب بين الكيمان"[4]. أما حصن الدير أو ســورة بقــى قائما[5] ويذكر أن السور الحالى لدير مارى مينا ليس من البنيان القديم أو المرمم الذى أشرنا إليه. مازالت بعض بقايا لدير مارى مينا موجــودة لغايــة الآن يــراها الإنسان عند خروجه من كنيسة مار جرجس القديمــة[6] التى ذكر أبو المكارم[7] تاريخ وحوادث بنيانها. وهذه البقايا هى عــبارة عــن قلالــى دير مارى مينا القديم ملاصقة بعضها ببعض متصلة بممــرات وسلالم وقد وصفها العالم الخبير بالآثار القبطية المرحوم الدكتور بتلر فى كتابه[8]:

(The Ancient Coptic Churches of Egypt)

"These houses – the old monastic building – are all united by corridors and staircases together, and one may wander from floor to floor and house to house at will. One desolate chamber succeeds another: the rooms are all bare and empty, ungarnished and unswept and that is their normal state. But a certain season of the year, at the festival of Mârî Mîna, these cold-looking cells are

---

(١) كان فى بعض الأديرة جوسق من خمس طبقات كالجوسق الذى كان فى دير النور من الأعمال الاهنسية (أبو المكارم، ورقة ٩٢ جـ وظ).

(٢) أبو المكارم، ورقة ٣١ظ: "وعمر فى الجوسق الطبقة الأولى ونصف الطبقة الثانية".

(٣) أبو المكارم، ورقة ٣١جـ.

(٤) ورقة ٣٢جـ.

(٥) ورقة ٣٢جـ.

(٦) وهى تابعة لكنيسة مارى مينا.

(٧) ورقة ٣٠ ظ.

(٨) Vol. I (Oxford), 1884, p. 69.

thronged with families of pilgrims. Not that the tenants come generally from any great distance: but pious people belonging to the dair, or bounds by special ties of gratitude or veneration to its partron saint, come and dwell here for three or four days to keep the feast."[1]

وأمـــا كنيسة مارمينا الحالية فهى ليست تلك الكنيسة التى ذكرها أبو المكـــارم بأسم كنيسة مارى مينا "الكبيرة"[٢] إذ أن المقريزى يخبرنا بهدمها فـــى ســـنة ٧٢١هـ (١٣٢١م) فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون. إذ يقـــول: "وهدمـــوا كنيســـة بومنا التى كانت بالحمراء وكانت معظمة عند النصـــارى من قديم الزمان وبها عدة من النصارى قد انقطعوا فيها ويحمل إلـــيها نصـــارى مصـــر ســـائر ما يحتاج إليه ويبعث إليها بالنذور الجليلة والصـــدقات الكثيرة فوجد فيها مال كثير ما بين نقد ومصاغ وغيره وتسلق العامـــة إلـــى أعلاها وفتحوا أبوابها واخذوا منها مالا وقماشا وجرار خمر فكـــان أمـــرا مهولا"[٣] أما الأنبل البديع الذى فى الكنيسة الحالية فقد جددته لجـــنة حفـــظ الآثار العربية وأعادته إلى رونقه الأول ويشبه إلى حد ما، ما وصفه أبو المكارم بقوله: "وبها أعنى البيعة الكبيرة أنبل رخام ملون أكثره احمر شفاف محمول على عمد رخام محكم الصنعة[٤].

٣٩- دير العذراء بالحمراء[٥] الوسطى. هذا الدير ذكره أبو المكارم دون غيره من المؤرخين ضمن كلامه عن تقسيم المنطقة الكائنة بين مصر والفسطاط إلى ثلاث حمراوات[٦] عقب فتح مصر على يد عمرو بن العاص إذ يقول: "وإن بنى روبيل وكان يهوديا خطوا بالحمرا إلى أن بلغوا إلى دير مريم بحرى جنان حوى ومسجود الخلوق فى السهل"[٧]. وهذا الدير ما كان

---

[١] قد ازالت لجنة الاثار أغلب هذه الغرف.
[٢] ورقة ٣١ جـ.
[٣] كتاب الخطط، الجزء الرابع، ص٤٢٦.
[٤] ورقة ٣٠ جـ.
[٥] وردت فى المخطوطة "الحمرا".
[٦] ورقة ٣٢ ظ.
[٧] ورقة ٣٢ظ.

بعيدا من دير أبى مينا الذى كان واقعا أيضا فى الحمرا الوسطى[١]. لم يذكر ابـــو المكارم شيئا عن تاريخ هذا الدير أو خلافه ولا نعلم شيئاً عن اندثاره. مـــن المحـــتمل جدا أن "دير مريم" الذى ذكره أبو المكارم عند كلامه على الحمراء[٢] هو الدير الذى نحن بصدده. وليس لهذا الدير بقايا.

يوجد خارج مصر القديمة من الجهة الجنوبية أربع كنائس قديمة تقع الثلاث الأولى منها بالمنطقة المعروفة بالكيمان (تلال سبخة) وهى:

(أ) كنيســـة العـــذراء ببابـــيلون الدرج، (ب) كنيسة ابو قير ويوحنا، (ج) كنيسة الأمير تادرس، (د) كنيسة الملاك (ميخائيل) القبلى. وفى بعض المصـــادر التاريخـــية قـــد أُطلق على هذه الكنائس اسم "دير" فعلى الكنيسة الأولى أُطلق اسم "دير بابيلون" وعلى كنيسة أبو قير ويوحنا وكنيسة الأمير تادرس معا اسم "دير الأمير تادرس" وعلى الكنيسة الأخيرة اسم "دير الملاك القبلى".

وربمـــا سميت هذه الكنائس (أديرة) لأن لكل منها سورا ضخماً عالياً ولها أبواب متينة بالأسوار وبداخلها عدة غرف أشبه بقلالى. وليس لدىّ أدلة كافـــية للجـــزم بما إذا كانت قديماً أديرة رسمية. وجدير بالاعتبار فى هذا الصـــدد أن المقريزى لم يذكر هذه الكنائس بين أديرة مصر بل ذكر اثنتين منها عند وصفه كنائس مصر وهما كنيسة بابليون[٣] "فى قبلى قصر الشمع بطـــريق جسر الافرم وهذه الكنيسة قديمة جداً وهى لطيفة ويُذكر أن تحتها كـــنز بابليون[٤] وقد خُرب ما حولها". وكنيسة تاودروس الشهيد[٥] "بجوار بابليون نسُبت للشهيد تاودروس الاسفسهلار"[٦].

---

(١) راجع الكلام عن هذا الدير.

(٢) اعنى فى الجزء الأول من كتابه الذى بقى مخطوطة. راجع "دليل المتحف القبطى". الجزء الثانى ص٢١٥.

(٣) راجع المقريزى "الكنيسة الحادية عشر" Abou Saleh, Churches and Monasteries of Egypt (cd. Evetts), p. 328. والخطط الجزء الرابع ص ٤٢٥.

(٤) الحصن الرومانى والمعسكر التابع له.

(٥) راجع المقريزى "الكنيسة الثانية عشر" الطبعة المذكورة p. 328 والخطط الجزء الرابع، ص٤٢٥.

(٦) "الاسفسهار" كلمة اصلها فارسى معناها قائد جيش (Stratilates) وهى لقب الشهيد تادرس "تاودروس" بن يوحنا الشطبى الذى تذكاره ٢٠ أبيب اما Butler, Ancient Coptic Churches of Egypt, Vol. I, p. 264 فيقول انه الأمير تادرس المشرقى الذى يقع تذكاره فى ١٢ طوبة وهذا اقرب للصواب راجع وصف هذه الكنائس الأربع فى المؤلف المذكور pp. 250 - 269.

وأعتقد أن وصفى للأديرة الخربة فى الوجه البحرى قد يكون وصفا ناقصاً ان لم أدون فيه ذكر أديرة البنات أو الراهبات[١] المتهدمة. وكان هذا النوع من الأديرة مزدهراً من القرن الرابع لغاية القرن السابع الميلادى مثل أديـــرة الرهبان وقتئذ ثم أدركها من بعده نفس العوامل المدمرة التى قضت علـــى أديرة الرهبان. لقد نشأت أول أديرة الراهبات فى نفس العصر الذى ظهـــر فـــيه أديـــرة الرهبان وبأمكنة كانت مجاورة لأديرة الأنبا باخوم فى الصـــعيد فنمت بجانب أديرة الرهبان كأنهما فرعان نابتان من أصل شجرة واحـــدة فنسمع أن مريم أخت أبينا باخوم اختارت السكون[٢] بقربه والمقام بكنفه وصقبه.

فلمـــا عرف الكبير[٣] ذلك منها أمر من ابتنى لها قلاية مفردة فى أرض القـــرية طبانسين[٤] وتبعد من ديره الأول مسافة قليلة وسكنت فيها وقصدها فى مـــا بعد نسوة غيرها واعتمروا لهن قلالِى وسكنّ عندها وأخذن سيرتها وهكذا قليلا كثرت الرهبانات وتزايدن جداً وصار الموضع لهن ديراً كبيراً وكانت هى أولتهـــن وكأم حنينة عليهن ورتب الكبير لافتقادهن شيخاً من آباء ديره الخ".[٥] ويجـــب القـــول هنا بكل أسف أننا لا نعرف شيئاً عن انتشار وتطور ومصير أديـــرة الراهـــبات المصرية من بعد نياح الأنبا باخوم كما ولا نعرف شيئا عن أهـــل أديرة الراهبات الخربة والأديرة العامرة لغاية الآن. ونورد للقارىء بيان أديـــرة الراهبات التى اندثرت فى الوجه البحرى غير انه يوجد كثير من أديرة الراهبات قد هدمت وليس لنا بها علم. يخبرنا كتاب تاريخ البطاركة أنه وجدت فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى فى الجهة الغربية من الإسكندرية "ســـتماية دير عامرة كلها بالأرثوذكسيين وجميعهم رهبان ورهبانات مثل خلايا الـــنحل من عمارتهم"[٦]. ثم يذكر كتاب السنكسار مرارا وجود أديرة الراهبات

---

(١) اطلق المقريزى على هذه الأديرة أيضا اسم "دير الابكار المترهبات ودير البنات المترهبات ودير النساء".

(٢) كذا. إقرأ "السكنى".

(٣) اعنى أنبا باخوم.

(٤) ربما جزء من قرية الطويرات مركز قنا حيث بنى أنبا باخوم ديره الأول.

(٥) راجع "كتاب القديس أنبا باخوميوس أب الشركة" نقحه القمص عبد المسيح المسعودى (القاهرة ١٨٩١م) ص٢٤.

(٦) راجع: Evetts, Hist. Pat. II, p. 472 (208)

بظاهر الإسكندرية لاسيما الجهة الغربية منها وذلك بين القرن الخامس والثامن الميلادى "فالقديسة الناسكة مريم دخلت إلى بعض ديارات القديسين[١] العذارى بظاهر الإسكندرية ولبست فيه الثوب المقدس"[٢]. نقرأ أن الأنبا بقطر رئيس دير الزجاج سلم أم القديس تاوفيلس الراهب ابن بعض ملوك الجزائر "إلى دير الرهبانات" هناك[٣]. ولم ترد القديسة افروسينه "الذى[٤] أسمت[٥] نفسها بزبرجد" أن تدخل دير الراهبات بقرب الإسكندرية إذ قالت فى نفسها "فأن أنا ذهبت إلى دير النساء جاء والدى واخذنى فيودينى إلى شهوات نفسه لكن أنا أمضى إلى ديارات الرهبان الرجال وأتزيا بزى الرجال واجعل نفسى خصى"[٦]. وقد جاء بمخطوطة كنيسة أبى سرجة بمصر القديمة تاريخ رقمها ١٢ ورقة ٣٦ظ أن هذه المخطوطة كُتبت برسم "الراهبة الناسكة مريم بدير إسكندرية" بتاريخ ١٥ برمودة سنة ١١٤٨ ش - ١٤٣٢م. قد ذكر فى احدى عجائب أنبا برسوم العريان[٧] دير الرئيسة اسكندره بمصر[٨] ربما هو الدير الذى نحن بصدده.

أخيراً يذكر المقريزى "٨١، ٨٢" ديرين للبنات فى مصر بقصر الشمع كان أولهما معروفاً بأسم دير المعلقة "بمدينة مصر وهو أشهر ديارات النساء عامر بهن" والآخر دير بربارة بمصر القديمة بجوار كنيسة الست بربارة. وكان هذا الدير أيضاً "عامراً بالبنات المترهبات" فى أيام المقريزى[٩]. زالت معالم هذين الديرين من بعد ولا نعلم زمن ولا سبب اندثارهما تماماً. ذكر أبو المكارم فى كتابه الخاص بالكنائس والأديرة بمصر أنه وجد فى القرن الثانى عشر الميلادى ببلدة دمرو الخمارة "مركز المحلة الكبرى مديرية الغربية" خلاف سبعة عشر بيعة للقبط ديران أحدهما للرهبان

(١) كذا.
(٢) راجع كتاب السنكسار تحت ٢٦ برمهات.
(٣) راجع كتاب السنكسار تحت ١٤ طوبه.
(٤) كذا.
(٥) كذا.
(٦) راجع Dr. G. Graf, Catalogue de Manuscrits arabes chrétiens conserves au Caire, Città del Vaticano, 1934, Ms. 88 III. (p. 34), fol. 244 v.
(٧) تنيح سنة ١٣١٧م.
(٨) راجع Dr. W. Crum, Barsaumà the Naked (= PSBA., 1907, Vol. XXIX). P. 206.
(٩) راجع المقريزى "٨٢".

والآخر للراهبات وكان اسم رئيسته الأم قمرية[1]. وليس لدينا معلومات أكثر من ذلك.

غير أن معظم الكنائس بدمر والخمارة انهدمت فى سنة ١١٧٨م فمن المحتمل أن هذين الديرين انهدما فى نفس السنة معها. ذكر أبو المكارم أيضاً فى نفس المؤلف أنه وجد فى القرن الثانى عشر الميلادى ببلدة سنباط "مركز زفتى مديرية الغربية" بجوار بيعة أبو جرج دير للرجال ودير للنساء[2] فى أملاك مرقس بن القنبر الضرير[3]. وان هذين الديرين كانا على ما أظن لطائفة الملكية. والديران ليس لهما بقايا.

وإلى هنا تنتهى جولتنا الأولى فى البحث عن الأديرة المتهدمة فى الوجه البحرى. ولا يفوت القارئ أننا قبل القيام بهذه الجولة وجدنا أنفسنا أمام عمل خطير شاق لما يقتضيه من بحث وتنقيب ومراجعة عدة مصادر خطية ومطبوعة ومراراً لم نوفق إلى إيجاد المعلومات التى تهدينا إلى حل مشكلات عويصة حول ضبط زمان ومكان وتطور وخراب بعض الأديرة. وكثيراً لم نتوصل لسوء الحظ إلى معلومات أكيدة راهنة كنا نتمنى أن نحيط بها القارئ علماً. وكان جلّ اهتمامنا أن نحيى أمام ذاكرة القارئ ما كان عليه بعض الأديرة المشهورة من موقع عظيم وضخامة البنيان ومنعة أمام الهجمات البربرية وبه عدد وافر من السكان وظهور القديسين فيه مع أجتاح العجائب وصنع الأشفية فيه وذيوع الصيت واقامة الموالد بجوارها وشهرتها. وأيضا ما قد محت يد الزمان من المعالم ومآثر هذه الأديرة وما قامت به تقلبات الدهر من عمل ناقص وهادم لها. ولا نتخيل أننا قد أوفينا حقاً هذا الموضوع التاريخى الذى يهم كل مصرى أو بلغنا إلى البيان الوافى فيما يتعلق بتاريخ الأديرة الخربة فى الوجه البحرى. ونحن نعلم حق العلم أن بياننا هذا يلحقه كثير من النقص حيث أن مصادرنا ووثائقنا التاريخية

---

(١) راجع "دليل المتحف القبطى" الجزء الثانى – ١٩٣٢ ، ص٢٢٦.

(٢) راجع التأليف المذكور، ص٢٢٨.

(٣) راجع خبره فى أبو المكارم، ورقة ٩ج – ١٧ج " طبعة Evetts"
Dr. G. Graf, Ein Reformversuch innerhalb der koptischern Kirche im Zwölften Jahhrhundert (Paderborn 1923), pp. 26 – 34.

قاصرة لا تسمح لنا بحل كثير من المسائل تثيرها ذكر أديرة مصر القديمة من موقع وتطور ومدى البقاء وأسباب الاندثار بمعنى أن كل ما نعرفه عن الـبعض منها لا يتجاوز الاسم فقط وعن البعض الآخر الاسم والموقع فقط وعـن أديرة أخرى زمن وجودها فقط وعن غيرها بعض معلومات أكثر، الأمر الذى جعلنا نذكر تارة اسم الدير فقط دون إمكاننا التعلق عليه بأى بيان آخـر وتارة استطعنا التوسع فى البيان على يد بعض المصادر. وإذا نحن أتيـنا فـى هذه الأسطر بالقليل من الكثير الذى كنا نود إظهاره من بواطن التاريخ فمع ذلك نحن على يقين أن هذا القليل من شأنه أن يكوّن صحيفة من صـحائف تـاريخ كنيسـة الإسكندرية لا بل على الأخص صحيفة تفيض بضـيقات وآلام وأحزان هى تاريخ حياة الرهبنة المصرية الخالدة. إن هذه الصحيفة التى سطرناها تمثل للقارئ إلى حد ما، ما أصيبت به تلك الرهبنة فـى مصر إبان مختلف العصور من أقسى وأفزع الطوارئ وأشد النوازل ضيقاً وكرباً ومن أخطر النكبات التى أدت أخيراً بعد الضعف والتدهور إلى اندثـار وزوال مؤسسـاتها. أن هذه الصحيفة ليست قاصرة على بيان هذه الوقـائع فحسـب بل وتوضح أيضاً أن الرهبنة المصرية كان لها عصرها الذهـبى حقـبة مـن الدهر حيث أنه كان عليها إقبال عظيم وانتشار سريع لاسـيما فـى بعض المناطق التى أشرنا إليها. حقاً لقد بزغت هذه الرهبنة زمانـا ثـم أفلت مثل الحاضرات والمدنيات العريقة. وقد ذكرنا ما أنجبت الرهبـنة المصرية فى أيام ازدهارها فى الأديرة التى قد أمست اليوم خربة من عدد وافر من بطاركة الإسكندرية الأماثل. نعم لقد رأينا كيف أن ما بنى بالكد العظيم فى أمكنة غير مأهولة خرب ثم أعيد بناؤه مرة بعد مرة باهتمام بطاركـة كنيسة الإسكندرية وسخاء أعيان القبط وأحياناً بسماح من الحكام، وكـيف أن ما شيد بالجهد الجهيد فى أمكنة مقفرة اندثر فى لحظة عين تارة بفعل الحريق أو طغيان البحر الصاخب وتارة عند نزول العواصف أثارها التعصـب الدينى والقوة الهمجية الغشيمة. لقد دلت المصادر التاريخية على أن بيوت العبادة ومحال النسك وأمكنة أقيمت لمجد البارى عز وجل ولنشر السـلام على الأرض كانت معرضة من وقت لآخر لهجوم الفرس والعرب

والقـــبائل البربرية وجيش الخراسانيين فقضت على معضمها قضاء مبرما. وقصـــارى القول إن كل هذه المكاره كانت نصيب الرهبنة المصرية على توالـــى الزمان حتى لم يبق فى الوجه البحرى من تراث آبائنا النساك أعنى من مئات الأديرة إلا أربعة أديرة للرهبان وخمسة أديرة للراهبات.

ولى وطيد الأمل بأنه عن قريب تتاح لى فرصة أخرى لأواصل على صـــفحات "رسالة مارمينا" نشر بيان آخر عما اندثر من الأديرة فى الوجه القبلى.

القمص يعقوب مويزر

فاقوس ٢٧ برمهات سنة ١٦٦٤ش

نياحة القديس مقاريوس الكبير أب الرهبان.



من آداب الرهبنة

اتسمت الرهبنة القبطية منذ نشأتها كنظام دينى بطابع المثل العليا فى الـــزهد والتقشف والطاعة والقناعة وإنكار الذات. وليست هذه وغيرها فى الواقـــع ســـوى مظاهر متعددة لحياة الكمال المسيحى التى توسل بها آباؤنا الرهـــبان للاتصـــال بالله وللانفراد لعبادته، بعيداً عن مشاغل العالم وابتغاء مرضـــاته، طمعـــاً فى أمجاد النعيم المقيم. ولقد اتجهوا بحياتهم إلى الناحية الروحية الخالصة، وسعى كل منهم ليرقى بنفسه إلى أسمى مدارك الفضيلة حـــتى تنافســـوا فـــى شتى أنواع الحرمان وإذلال الجسد، كل بالوسيلة التى ارتآهـــا، إمـــا بـــالاقلال مـــن الطعام والنوم أو بخشونة الملبس أو بإطالة الصلوات والتأملات والصمت، أو غير ذلك.

ولقـــد احـــتفظ لـــنا التاريخ لحسن الحظ بصور مشرقة عن تقاليدهم وعقـــائدهم وآدابهم بصفة عامة، وذلك فيما خلفه لنا مؤرخو الرهبنة الذين وفـــدوا خصيصـــاً لهذا الغرض من أقطار الشرق والغرب. فبعد أن عاشوا أوقاتـــاً تختلف طولا وقصرا بين آبائنا الرهبان عادوا إلى بلادهم ممتلئين إجلالا وإعجابا بما رأوا وسمعوا. ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه الآداب مُثلا علـــيا لكافة الشعوب المسيحية. ولعل أوضح دليل على ذلك ما قاله القديس بندكت فى هذا الشأن "أن من يبغى الوصول إلى ذروة الكمال المسيحى يجد خير نموذج يحتذيه فى حياة وسير الآباء المصريين".

وإليك بعض الأمثلة:

كـــان الصيام ولا يزال أهم وسيلة لإذلال الجسد، لذلك مارسه النساك والرهبان الأولون منذ نشأة الرهبنة، وضربوا فى ذلك أرقاما قياسية، فبينما كان مصرحا للراهب بتناول وجبتين يوميا اعتاد اكثر الرهبان على الاكتفاء بوجبة واحدة، أما المتقدمون فى حياة التنسك فكانوا يأكلون مرة كل يومين أو ثلاثة، وربما اقتصروا على وجبة واحدة كل أسبوع، وكان الطعام يتكون

مــن خبز جاف يصنع مرة كل ستة شهور أو كل سنة، يغمسونه بماء قليل من الملح، على أن بعضهم كان يضيف إلى ذلك بعض الأعشاب الخضراء، أما المطبوخة فكانت تعتبر ترفا لا لزوم له.

وكذلــك شــأنهم فــيما يخــتص بالملبس، إذ كانوا يكتفون بما يستر عوراتهم، وكان القديس انطونيوس الكبير يقنع من لباسه بقميص من الجلد، بينما آثر البعض لبس جلد الماعز الخام والبعض الآخر عاف الملابس جملة إلا من منطقة حول حقوية.

وكـــان الإقلال من النوم وسيلة أخرى لإذلال الجسد، لذلك اكتفوا منه بأقل القليل حتى أن القديس ارسانيوس كان يكتفى بنوم ساعة واحدة ممضيا كل وقته فى الصلاة المستمرة.

وبالغ بعض الرهبان فى إذلال أجسادهم حتى انهم تحملوا بعض أنواع العذاب الاختيارى، فعلى سبيل المثال كانت تفصل مغارة القديس باخوميوس عن الجبل المقارب طريق ملئ بالأشواك وكان يذهب من وقت لآخر عارى القدمين ليحضر أخشابا لحاجته، وكثيرا ما عاد دامى القدمين ولكنه لم يكن يتحمل كل ذلك بكل صبر وشجاعة فحسب بل كان يملأ قلبه السرور متذكرا أن مخلصنا قد تحمل دق المسامير على الصليب.

ومن أمثلة الطاعة المطلقة التى كان يدين بها الرهبان فى خدمة الدير أن شخصا زهد العالم ووزع ممتلكاته على الفقراء ولكنه احتفظ بقدر يسير مــن الــنقود لنفسه ولما علم الأنبا انطونيوس بذلك قال له اذهب إلى القرية واشـــتر لحمـــا وضع قطعا منه على جسمك العارى، فلما فعل الراهب ذلك التفّــت حولــه الكلاب والطيور الجارحة وبالتقاطها قطع اللحم اقتطعت من جســمه أجزاء بأنيابها ومخالبها، فلما رجع إلى القديس انطونيوس وأراه ما حــل بجســمه قـــال له "مـــن يزهد العالم تاركا لنفسه نقودا تنهش جسمه الشياطين".

وكانـت الصـلاة من أهم أركان الرهبنة إذ كانوا يعتقدون أنها اتصال مباشــر مــع الله وسياج يقيهم تجارب الشيطان، وكان كل يوم يمضونه فى الصلاة بمثابة حجر يضيفونه إلى هذا السياج فيصبح أكثر ارتفاعا وتدعيما.

ولعــل خير ما اختتم به هذه الكلمة أن أنقل ما قاله المؤرخ بلاديوس عن رهبان نتريا (وادى النطرون):

"وكــان إذا حــل المساء أرتفعت من كافة الصوامع أصوات الرهبان الأبــرار بالتراتيل والمزامير إلى عنان السماء حتى ليخيل للسامع انه انتقل إلى فردوس النعيم".

ملاك ميخائيل



نشأة الرهبنة المسيحية فى مصر*
وقوانين
القديس باخوميوس

١– مقدمة:

تاريخ الرهبانية العام من الموضوعات التى كانت محل بحث وتأليف واســع النطاق فى الدوائر العلمية والتاريخية منذ أن كانت هنالك نهضة فى البحث والتأليف وإحياء تراث المدنية المسيحية. ولا شك أن الفضل فى ذلك يــرجع لحد كبير إلى أولئك الجهابذة من الرهبان الذين انزووا عن الحياة الدنــيا ومــا يكتــنفها من مسئوليات إلى مكتبات الأديرة حيث عكفوا على الدرس والتنقيب فى ذلك الجو الصوفى، فتضاعف بذلك إنتاجهم إلى درجة تبلغ حد الإعجاز، والأمثلة الدالة على ذلك عديدة جداً ليس هذا مكان سردها، ونكــتفى فــى هــذا المقــام بأقتباس مثالين أو ثلاثة من بين الأعمال الخالدة فى هذا الميدان، ونخص بالذكر منها مجموعة "حياة القديسين" (Acta Sanctorum) الــتى بدأ يجمعها الإخوان البولانديون (Bollandistes) نســبة إلى مؤسسها (J. Bollandus) ســنة ١٦٤٣ بمدينة انتورب فى بلجيكا، وقد بلغ عدد مجلداتها الضــخمة للقديسين الذين تقع تذكارات حياتهم من يناير إلى أكتوبر ٦٢ مجلداً؛ ثم أعمــال الأب ميــنى (Abbé Minge) الجــبارة فى مجموعة الآباء اللاتين (Patrologia Latina) فــى ٢٢١ مجلــدا والآبــاء الإغريق (Patrologia Graeca) فــى ١٦٥ مجلداً غير المجموعات الأخرى التى لا نستطيع التعرض لذكرها هنا؛ ضف لذلك مجموعة قوانين الحركات الديرية (Codex Regularum Monasticarum) التى بدأ نشرها هولشتين بروما فى سنة ١٦٦١.

---

* لما كان الأستاذ الجليل الدكتور عزيز سوريال عطيه قد تناول فى بحثه هذا موضوع الرهبنة المسيحية منذ نشأتها الأولى، فقد كان من الواجب علينا أن نصدر بـه هذه الرسالة. إلا أن ظروف الطبع اضطرتنا إلى إدراجه هنا، وعلى كل حال فللأستاذ المؤرخ من علمه وفضله ونباهة ذكره ما سيسترعى حتما انتباه القراء إلى مقاله الجامع.

ولكـــن الملحوظ فى هذا النشاط الأدبى الفائق. وفيما تلاه من البحوث الــتى بلغت الألوف المؤلفة فى العدد، أن عناية الكتاب كادت تكون قاصرة على تاريخ الرهبنة المسيحية فى أوربا، دون التعرض إلا بقدر تافه إلى ذلك الفصـــل الأول الـــرائع عـــن تاريخ الرهبنة المصرية فى القرون الخمسة المســيحية الأولـــى، بالـــرغم من أن العالم يدين لمصر بوضع تلك الأسس العتــيدة الــتى بــنى عليها واقتبس من قبسها أولئك الآباء الذين يرجع لهم الفضـــل الأكـــبر فى توجيه المدنية وبناء الحضارة المسيحية فى العصور الوسطى.

ظـــل إذن موضوع الرهبنة والديرية المصرية طوال القرون الخالية مجهـــولا أو كاد إلى أن تنبه لقدره بعض العلماء والمؤرخين والمستشرقين فـــى الخمســـين ســـنة الماضية على وجه التقريب، فأخذوا فى التنقيب عن أصـــوله ووثائقـــه المتعددة فيما وصل إلينا من ذلك التراث باللغات القبطية والعربـــية واللاتينية واليونانية، وما أن تبينت لهم قيمتها حتى سارعوا إلى نشـــرها نشـــراً علمياً دقيقاً مصحوباً فى أغلب الأحيان بترجمتها إلى أحدى اللغـــات الحـــية، ومن هؤلاء أملينو (Amélineau) قديماً ولوفور (Lefort) حديثاً ومـــن بيـــنهما مـــن الكـــتاب فـــى مخـــتلف الدول أمثال لادوز (Ladeuze) وجروتزماخـــر (Grutzmacher) ووالـــس بـــادج (Wallis-Budge) وأيفـــتس (Evetts) وكاتـــبرت بطلر (Cuthbert-Butler) وايفلين وايت (Evelyn White) وماكين (Mackean) وغيرهم كثير.

بـــدأت الأنظـــار تتجه على هذا الوجه إلى دراسة أصول الرهبنة والديـــرية المصرية دراسة علمية لأسباب كثيرة، أولها باعتبارها فصلا من فصول التاريخ المسيحى العام، وثانيها لأن أنظمة المصريين الديرية القديمة هى الأصل والأساس الثابت المكين الذى ابتنى عليه قادة الأفكار والجماعـــات الديرية فى أوربا أنظمتهم المألوفة إلى يومنا هذا، وثالثهما هـــو إحـــياء تلـــك الناحـــية الغامضـــة من تاريخنا القومى نحن معشر المصـــريين. وفـــى هـــذه المناســـبة نجد أنه من واجبنا أن نستلفت أنظار المواطنيـــن – المسيحى منهم وغير المسيحى على السواء – إلى أن دراسة

تاريخ آباء الكنيسة المصرية لا يجوز بأى حال من الأحوال أن تعتبر مسالة طائفــية بحــتة، بل هى دراسة قومية بكل معانى القومية فى هذا العصر الذى عكف فيه الباحثون المصريون على إحياء تراثنا القومى فى مختلف عصــوره مــنذ أن بزغت شمس الحضارة المصرية على هذا الوادى، وظلت تنير السبيل إلى العالم المتحضر فى الشرق والغرب قرونا عديدة، ومن الحقائق المفروغ منها أن تعاليم الآباء المصريين فى هذا الدور من أدوار تاريخــنا القومى تعتبر من أكبر المفاخر التى جادت بها القرائح المصرية على العالم المتمدين.

ولكنــنا بالــرغم مــن تلك الجهود المتصلة فى درس تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، لازلنا على عتبة البحث فى هذا الميدان الذى تتجلى لنا يومــا بعد يوم سعة أطرافه، وعمق غوره، وتشعب أصوله ومنابعه؛ وأننا مدركــون تمــام الإدراك تلك الحاجة الملحة إلى تضافر جهود المجتهدين لوضع تلك الدراسات الديرية المصرية فى الإطار اللائق بها، فيأخذ البعض فى مواصلة نشر الأصول، بينما يعكف البعض الآخر على كتابة حياة الآباء أمثال أنطونيوس وباخوميوس ومكاريوس وشنوده وغيرهم، ويأخذ الآخرون بعــنان درس الأنظمــة والقوانيــن الديرية وحكومة الكنيسة المصرية فى عصــرها الذهــبى، تلــك الحكومة التى ولد فى طياتها أول مشروع قومى لاســتقلال هذا الوطن منذ أن نزلت به النوازل الكاسحة المتتالية فى غزوة قمبيز لمصر سنة ٥٢٥ ق م.

ونحن إذ تصدينا ونتصدى للمحاضرة والكتابة بقدر متواضع فى هذه الموضــوعات، ثــم إذ دعونا وندعو إلى المشاركة فى بعث هذه الدراسات بقــدر أقــل تواضــعا مما وفقنا إليه، إنما نشعر فى إيمان وصدق بكل تلك العوامــل العلمية والوطنية التى تدفعنا إلى القيام مجملة مستنيرة لإحياء هذا التراث المجيد: تراث العلم، وتراث الفكر والحضارة المصرية إنما التاريخ ذكرى، وإن الذكرى تنفع المؤمنين.

* * *

٢- أصول الرهبنة المصرية:

أتفق عامة الكتاب فى تاريخ الرهبنة على أن أصول النظام الرهبانى المسيحى ظهرت لأول مرة فى تاريخ مصر المسيحية خلال القرون الأولى مـــن انتشار هذه الديانة فى العالم المتمدين، كما أنهم اتفقوا على أن مؤسس الرهبـــنة هو القديس انطونيوس فى القرن الثالث المسيحى فى صعيد مصر الأوسط.

ومـــع ذيوع تلك النظرية بين جمهور المؤلفين وأخذهم بها، لا نرى مـــندوحة مـــن التحفظ بعض الشيء فى معالجة هذا الرأى، لأن استعراض محـــتويات الكتـــب القديمة فى حياة الرهبان فى مصر المسيحية تدل دلالة واضحة على أن بذور التعاليم الرهبانية غرست على ضفاف وادى النيل منذ ظهور الديانة الجديدة بين المصريين، وانتشار المسيحية فى مصر وانتظام كنيســتها علـــى أسس ثابتة الدعائم كان أقدم مما تصوّر مؤرخو المدرسة القديمـــة، فقـــد ظهر من الكشوف البردية القبطية الحديثة وغيرها أن الناس أخـــذوا بقواعـــد هذه الديانة زرافات فى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الـــثانى المـــيلادى، ولا غـــرابة فى تهافتهم على اعتناق تلك الديانة واتباع بعضهم النظم الرهبانية فى هذا العصر السحيق، إذ كانت أذهانهم وأفكارهم وما ورثوه من التقاليد والآراء حتى فى العصر الوثنى المتأخر أساساً لتفهم معـــنى الديانـــة الجديـــدة واستساغة تعاليمها والإقبال عليها بشكل لم يتوفر لسكان الأقطار الأخرى من المسكونة.

لا نـــريد التعرض لتفاصيل هذا الموضوع الواسع لأنها خارجة عن نطـــاق هـــذه الرســـالة، ولذا فاننا نكتفى فيها بالإشارة إلى بعض الحقائق الأصـــلية فـــى الديانـــة المســـيحية وما كان يوازيها فيما وصل إليه العقل المصرى القديم فى نضاله الطويل للوصول إلى قواعد الديانة المصرية فى أدوارهـــا المتأخرة. ففكرة البعث وخلود الروح والثواب والعقاب فى العالم الآخر كانت من أسس الديانتين، كما أن كثيراً من الأفكار التى انطوت عليها الديانـــة الجديدة لم تكن غريبة على عقول المصريين. ثم إن الرهبان أيضا

سبقت المسيحية بينهم في العصور القديمة. فلا غرابة إذن في إقبال المصريين على المسيحية وكذلك الرهبانية دون جهد كبير.

وبالرغم من قلة الوثائق والأصول عن العصر المسيحي العتيق إذا قيس بما كتب في ذلك خلال القرنين الرابع والخامس، نجد بعض الأمثلة لوجود التعاليم الرهبانية في القرن الثاني، ونذكر من بينها فيما يلي مثالين شهيرين.

الأول أنه في عهد الإمبراطور انطونيوس بيوس (١٣٨ - ١٦١م) نسمع عن شخص يدعى فرونتونيوس يرحل إلى برية نتريا (وادي النطرون) وفي صحبته سبعون مسيحياً ليعيشوا عيش الرهبان، زاهدين في الحياة الدنيا وراغبين في التقشف والعزلة، كما يظهر ذلك في "حياة القديسين" (Acta Sanctirum) تحت تاريخ ١٤ أبريل؛ ويعلق العلامة والس بدج على ذلك بأن تلك الحملة الرهبانية المنظمة لم تكن بطبيعة الحال إلا واحدة من حملات متعددة كانت تحدث تباعاً دون أن تسجلها الكتب المعاصرة، وأغلب الظن أن ذلك راجع لحدوثها في الخفاء بغير ضوضاء أو إعلان لأن الديانة الجديدة وأساسها إنكار الذات وعدم المباهاة بأمثال هذه الضروب من العبادة والتقشف كانت تحض الزهاد والمعتزلين أو الرهبان على الاحتفاظ بأعمالهم سراً مكنوناً لا يعلمه إلا فاحص القلوب.

والمثل الثاني أصدق دليل على هذا التعليل، ويظهر جلياً في حياة الانبا بولا الذي هرب من الوادي في الصعيد الأوسط وتوغل في الصحراء الشرقية إلى أن ألقى عصاه في إحدى كهوف الجبال المطلة على البحر الأحمر وهو في سن مبكرة، ومكث بها إلى أن بلغ من العمر عتياً، إذ يقال إنه مات في العام الثالث عشر بعد المائة من حياته، ولولا أن عثر عليه القديس انطونيوس مصادفة في أعماق الصحراء لظل أمره مجهولا، ويمكننا الجزم بأن الأمثلة المجهولة من هؤلاء المعتزلة المعاصرين أكثر بمراحل من المعرفة.

وحـــياة هذا القديس تدعونا إلى التريث عند هذه النقطة لفحصها فى إلمامة سريعة تلقى ضوءاً على نظام هؤلاء المعتزلة من أقطاب الرهبانية المسيحية. وُلد الأنبا بولا حوإلى سنة ١٥٠م من أبوين موسرين، وتيتم وهو فـــى السادســـة عشـــرة، فتولى الوصاية عليه زوج أخته الذى كان يتحين الفرص للتنكيل به. وقد تثقف بثقافة عصره المزدوجة، تلك الثقافة الإغريقية والمصرية على السواء، ودرس أصول الدين المسيحى الذى تعلق به، ولما لاحـــظ أن زوج أخـــته قـــد صمم على تسليمه لأيدى الولاة فى أثناء إحدى موجات الاضطهاد التى كانت تجتاح المسيحيين فى العصر الرومانى، قرر بولا أن يهجر العالم ويتوجه إلى الصحراء حيث يعتزل الخلق إلى عبادة الله ومزاولة حياة التقشف الرهبانى، وأخيراً وصل فى تجواله إلى المنطقة التى بـــنى فـــيها الديـــر الـــذى حمل اسمه فيما بعد إلى اليوم، ويقال أن القديس أنطونـــيوس وجـــده هنالك وتحدث إليه قبيل وفاته التى وقعت كما يخبرنا المـــؤرخ بلاديـــوس فى "أيام ديسيوس وفاليريانوس" وكلاهما من أباطرة الـــرومان، الأول حكـــم من سنة ٢٤٩ إلى سنة ٢٥٣ والثانى من ٢٥٣ إلى ٢٧٠م، أى أنـــه مـــات مـــا بيـــن ســـنتى ٢٤٩ و٢٧٠م. وأغلب الظن أن أنطونـــيوس الذى وُلد حوإلى منتصف القرن الثالث كان شاباً حديث العهد بالحياة الرهبانية وقتئذ على نقيض ما جاء فى الرواية المألوفة من أنه كان يبلغ من العمر تسعين عاما عندما تلاقى مع الأنبا بولا، وإذا سلمنا بأن هذا الأخير عاش حقيقة ١١٣ عاماً حسب رواية بلاديوس فلا بد أن يكون ميلاده علـــى وجـــه التقريب فى منتصف القرن الثانى. وفى كتاب البستان من قلم بلاديـــوس المذكور وصف طريف للكهف الذى كان يقيم فيه بولا، ونظامه المعاشـــى، وأســـلوبه فى العبادة، وشخصيته، وكيف قضى نحبه فى سلام. فـــالكهف الـــذى اهتدى إليه كان واسعاً من الداخل ذا فوهة صغيرة يغلقها بحجر كبير، ويمتاز بنظافته الفائقة وانبساط أرضه ونعومة التراب المنثور علـــيه، وبجوار الكهف بعض النخيل الذى كان يقتات بثمره، ويرتدى برداء من الليف الذى يجمعه منه، وقد وجد بولا فى هذا المكان ذاك السلام الشامل والحـــياة الكاملـــة كـــان ينشـــدها، وعاش قرابة تسعين سنة فى هذه البقعة

الموحشـــة، ولكن هذه الوحشة لم تؤثر على حلاوة شخصيته كما يتضح من روايـــة لقائـــه مع القديس انطونيوس، وكان يقضى أيامه ولياليه فى التعبد والصـــلاة والتأمل الهادئ، فلما رقد إلى الأبد فى أثناء الصلاة وأنطونيوس علـــى مقربة منه احتار فى أمر دفن جثته لأن أرض الجبل الذى كان يعيش علـــيه صـــخرية، وهـــنا يروى بلاديوس قصة الأسدين الذين ظهرا وحفرا الحفـــرة الـــتى أنزل فيها جسد القديس بعد أن حصل انطونيوس على ردائه الليفى وحمله معه.

قصـــارى القول إن أصول الرهبنة فى مصر بعيدة الغور، وتاريخها اقـــدم مـــن تـــاريخ القديس انطونيوس، ولكنها فى بدايتها لم تكن من نوع الحركات الاجتماعية العامة المنظمة، وإنما أخذت وضعها الثابت المعروف، وصبغتها العالمية الواسعة النطاق، على يدى الأنبا انطونيوس الذى تطورت فـــى عهده ذلك التطور التاريخى حتى أصبح المؤرخون ينعتون هذا الدور من أدوار تاريخها بأسم "الرهبنة الأنطونية" نسبة إليه.

* * *

٣- الرهبنة الانطونية:

يمكـــن القـــول بـــأن هـــذا هو الدور الحق من أدوار تاريخ الرهبنة المصرية بشكلها المألوف، ذلك لأن ما سبقه فى الواقع يجب اعتباره بمثابة مقدمـــات مرتجلة مهدت لهذا النظام الجديد، وإن كانت هذه الأدوار الأولى متداخل بعضها فى بعض، لا نستطيع رسم حدودها المضبوطة فى نقط ثابتة معيـــنة، دأب الأنظمـــة والحـــركات الـــتى تنمو نمواً طبيعياً تبعاً لظروف الأحوال. ولب الرهبنة الأنطونية فى عهدها الأول كان ينطوى على العزلة الفـــردية التامة، وإغراق الراهب فى ضروب الزهد، ومبالغته فى التقشف والصـــوم وتعذيـــب الجســـد لخـــلاص الـــروح. وربما كانت حياة القديس انطونـــيوس ذاتها من أبلغ المثل لهذا النوع من الرهبنة، وقد كتب عنها فى تفصـــيل القديـــس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية وأسقفها الذى تزاور معه وعلم الشىء الكثير عنه.

وُلد الأنبا أنطونيوس حوإلى منتصف القرن الثالث الميلادى فى مدينة كومـا أو هرقليوبولـيس بمصر الوسطى من أبوين مسيحيين، وكان والده مشـتغلاً بالفلاحـة ومن ذوى اليسار والجاه يملك مزرعة واقعة فى وادى النهر الخصيب تبلغ مساحتها ثلاثمائة فدان. وعاش أنطونيوس فى بيت أبويه عيشاً مترفا بعض الترف، وتعلم منهما قواعد الدين المسيحى، وإن كان من المحقق أنه لم يأخذ بأى قسط من التعليم الدنيوى العام، إذ أن المعروف عنه أنــه ظــل أمياً لا يعرف القراءة أو الكتابة لآخر أيامه، ولم يتصل بالثقافة اليونانـية أيما اتصال، فظل مصرياً صميما فى طبعه وفى تفكيره. وحوإلى سـنة ٢٧٠م بينما كان فى العشرين من عمره، توفى أبوه تاركا له مع تلك الثروة العريضه أختاً صغيرة يقوم على تربيتها، والعناية بشئونها. غير أن أنطونـيوس الـذى استهوته قواعد العقيدة المسيحية كان كثير التردد على كنائسها، وبدأت تظهر عليه أعراض الاستخفاف بالحياة الدنيا، حتى أنه فى ذات يوم عندما كان فى الكنيسة سمع الشماس يردد قول الكتاب المقدس بأن المـرء إذا أراد الكمـال وجـب علـيه أن يبيع ما يملك وأن يوزعه على المعوزيـن ليكسـب بذلك ملكوت السموات. فاعتبر أنطونيوس هذا الكلام موجها اليه من الله، وسارع إلى إجابة الدعوة ببيع ممتلكاته إلا ما يكفى لسد رمق أخته، ووزع قيمتها على المساكين والمستورين. وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى قرر بيع البقية الباقية أيضا لتوزيعها على الفقراء عندما سمع الشـماس مـرة أخرى يردد الآية القائلة "لا تهتم بالغد، بل اجعل الغد يهتم بنفسـه، يكفى اليوم شره". ثم عهد بشقيقته إلى جماعة من العذارى اللواتى دأبـن علـى الاجـتماع بجحر الكنيسة للتعبد وتدريب النفس على القداسة، ورحـل هـو إلى سفوح الجبال الشرقية المتاخمة لحافة الوادى بعد أن عبر الـنهر، وهـنا لك بنى لنفسه صومعة أنفرد فيها، وكان أحيانا يخرج منها ليبحث عمن سبقوه إلى العزلة والتقشف لكى يتلقى منهم دروسه الأولى فى الرهبانية، وهكذا أخذت منه هذه الحياة الجديدة كل مأخذ، فجعل يتوغل فى الصحراء شيئاً فشيئاً للابتعاد ما أمكن عن سكان الوادى، وظل يواصل سعيه حتى استقر نهائياً فى الجبال الواقعة قرب ساحل البحر الأحمر، وعاش بقية

أيامـــه فـــى كهـــف على قمة جبل قرابة الدير الذى يحمل اسمه إلى اليوم، ومـــات حوإلـــى سنة ٣٥٥م وعمره آنذ ١٠٥ من السنين بعد أن طلب إلى تلامـــيذه أن لا يحنطوا جسده على طريقة أسلافه من المصريين وأن يدفنوه فى مغارته.

ولـــم يـــنزل القديس انطونيوس فى مدة الخمسة والثمانين عاما التى قضـــاها فى تلك البقعة إلى الوادى على ما نعلم إلا مرتين عندما شعر بأن إخوانـــه فى الدين هنا لك بحاجة إلى هدايته ومساهمته فى تشجيعهم عندما حاقت بهم المحن الكبرى التى منيت بها المسيحية فى أوائل عهدها بمصر. أمـــا المحـــنة الأولـــى فهى ذلك الاضطهاد الكاسح الذى أنزله الإمبراطور الرومانى مكسيمينوس بمسيحيى مصر سنة ٣١١م، فلم يجد القديس بداً من الخـــروج عـــن عزلـــته ليشـــد أزر المؤمنين ويقويهم فى أمانتهم لما بلغ الاضـــطهاد أوجه؛ فكان يزور السجون، ويتنقل فى المدائن معرضا حياته لأشـــد المخاطـــر فـــى شجاعة ورباطة جأش. والمحنة الثانية جاءت عند اســـتفحال هـــرطقة اريـــوس الكاهن السكندرى فى أثناء حكم الإمبراطور قســـطنطين الكبـــير، فهـــبط انطونـــيوس من الصحراء الشرقية إلى المدن المصـــرية ســـنة ٣٣٨ لكى يساعد القديس اثناسيوس فى كفاحه الدامى ضد الهراطقة من أتباع اريوس، ولا شك أن شخصيته كانت من أكبر الدعامات فى رد المصريين إلى حظيرة الإيمان المسيحى الحق وكبت هذه الضلالة أو البدعة الجديدة.

أمـــا نظام حياة القديس فى عزلته فكان بسيطا بالرغم من إغراقه فى التقشـــف، يتـــناول القليل من الخبز العفن المجفف وبعض الملح ولا يشرب غير الماء، وكان إفطاره فى معادة مرة واحدة عند غروب الشمس، وأحيانا كان يمضى ثلاثة أيام أو أربعة فى صيام كامل عن الطعام والشراب، وقيل أنـــه كـــان فى بعض الأوقات يمد فترة الصيام التام حتى تبلغ عدة أسابيع. وكان يقضى لياليه ساهراً مصليا، فإذا نام كان نومه على حصيرة من سعف النخـــيل. وكان رداؤه عبارة عن فروة غير مدبوغة يلبسها مقلوبة لكى يقع شعرها على جسده إمعانا فى تعذيب نفسه بخشونتها. ولم يكن يتدثر بغطاء

فـــى نومه إلا بعد أن أسنّ وأخذ منه الضعف مأخذه فكان يضع فوقه إحدى الفراء.

أمـــا شخصيته فقد أطال فى وصفها القديس اثناسيوس. كان حليما لا يغضب، بلغ من الحكمة وعمق التفكير مع بساطته مبلغاً رائعاً، وأسلوبه فى الكـــلام كان واضحاً وقوياً ومقنعاً بالرغم من أنه كان أميا ولم يتكلم سوى اللغـــة المصـــرية ولم يدرس علوم الإغريق وفلسفتهم، وكان ذهنه حاضراً وقريحـــته كمـــا يظهر من جدله مع من زاره فى عزلته من فلاسفة اليونان وحكمـــاء الوثنية، وظل إيمانه بعقيدته ثابتا كالصخر، كما بقيت نفسه هادئة تشـــع السلام على من حواليها، وكان شفيقا بالناس، رحيما بهم، قادرا على معالجـــة ما يصادفهم من الأزمات الروحية بدون أن يقسو عليهم، أو يبعث اليأس فى نفوسهم، واسع الإدراك، محبوباً من الجميع على السواء.

لا غرو إذن أن تجتذب مثل تلك الشخصية الفذة الحلوة أعداداً كبيرة مـــن الرهـــبان الذيـــن تتلمذوا عليه، وأصبح هو فى نظرهم المثل الأعلى للحـــياة الكاملـــة، يقـــتدون به، وينسجون على منواله، حتى أن الصحراء أصبحت تعج بجماعاتهم فى جبالها الشرقية. ولكن النظام الأنطونى ظل فى أساســـه نظامـــا فردياً، أساسه العزلة والتقشف والصوم، لأن تعذيب الجسد والحـــرمان كـــان فى نظرهم الوسيلة المؤدية لنجاة النفس وخلاص الروح وكان الأخوة من أتباع انطونيوس يتنافسون فى هذا الميدان، إلى حدود تفوق حد الحسبان.

غير أن نظام العزلة التامة الذى زاوله هؤلاء الجبابرة من المتوحدين كـــان مصـــيره الطبـــيعى أن يـــتطور تطوراً بطيئاً إلى نوع من الرهبنة الاجتماعية المخففة لمجابهة الصعاب المادية والروحية التى كانوا يتعرضون لها فى تلك القفاز، وأخذت بوادر هذا التطور فى الظهور رويدا رويدا حتى فى أثناء حياة القديس انطونيوس ذاته.

* * *

٤- الرهبنة الاجتماعية:

تعتبر الرهبنة الاجتماعية (Collective Eremiticism) الدور الثانى فى تطور الأنظمة الرهبانية المسيحية المصرية، وهى المرحلة المتوسطة بين التعاليم الأنطونية الأولى وقوانين الديرية الباخومية. ولاشك أن هذا التطور كـــان أمرا إنسانيا طبيعياً فى الظروف القاسية التى كانت تحيط بالمتوحدين الذين عمدوا إلى انتزاع أنفسهم انتزاعا كاملا من كل الصلات البشرية، ولم يحســبوا للمخـــاوف والأخطار التى كانت تتهددهم أى حساب. فمن الناحية الماديـــة وجـــدوا أنهم يعيشون فى صحراء جرداء، تندر فيها ينابيع الماء، وتكاد تكون خلواً من موارد الغذاء، ولابد لهم من الارتحال أميالا عدة لكى يحصـــلوا علـــى ما يسدد رمقهم من المأكل والمشرب مهما كان قليلا، فإذا نزلت بأحدهم نازلة المرض وعجز عن التنقل، كان مصيره الموت المحقق، ثـــم أن الصحراء إلى جانب ذلك كانت تجوس جنباتها الحيوانات الضارية، ويجوب أكنافها قطاع الطرق من أهل البادية وإنصاف المتوحشين، وكلاهما لا تعـــرف الرحمة لقلبه سبيلا. أما من الناحية الروحية فقد كان المتوحدون ولاســـيما الـــبادئون منهم فى سلم الرهبنة يتعرضون لأزمات نفسية عنيفة تودى بكيانهم المعنوى، ولدينا أمثلة – وإن كانت قليلة – من الرهبان الذين أصـــابهم الجنون، فكفروا بكل شئ وعادوا إلى المدينة يعيشون فيها عيشة غـــير طبيعية بعد أن قضوا أعواماً فى جوف الصحراء على الكفاف وقتل الغرائـــز الإنســـانية والتقشف والتأمل والصراع مع أنفسهم، ونذكر من بين هؤلاء فالنس (Valens) الفلسطينى وبطلميوس المصرى.

كـــان إذن من الطبيعى لهؤلاء المتوحدين أن يفكروا فى التخفيف من عزلـــتهم بعض الشىء تدفعهم لذلك الغريزة البشرية لحب البقاء، فأخذوا فى تركـــيز صـــفوفهم فـــى مناطق معينة حول الشخصيات الكبرى من الآباء الروحييـــن، ليتتلمذوا على أب لهم فى الروح أشتهر بالقداسة والعلم بأصول الديانـــة والـــتفقه فى الكتب المقدسة، وليسترشدوا بتعليمه ويتشبهوا به فى قدســـيته؛ وإن كان كل منهم لازال يحافظ على حياة التوحد التى وهب نفسه لهـــا فـــى مغارتـــه أو قلايته دون أن يتعرض له جاره، أو يقطع عليه أحد

زملائه حبل التفكير والتأمل والعبادة. ولكن مغاورهم وقلايتهم كانت قريبة بعـــض القـــرب من بعضها، تقوم حول قلاية أبيهم الروحى. وبهذه القربى أيضـــا يتغلـــبون على الصعاب المادية التى كانت تواجههم، فإذا ما نزلت بأحدهم نازلة المرض أو كارثة غير منظورة، كان له من جيرانه من الأخوة عون فى الشدائد والنوازل. وهم فى نفس الوقت يجتمعون إلى أبيهم الروحى بين آونة وأخرى ليشد أزرهم، ويحسن توجيههم، ويساعدهم فى التغلب على أزماتهم النفسية.

وهـــنالك عـــامل آخر دفعهم إلى هذه الحياة الاجتماعية المخففة، هو الاضـــطهادات الدينـــية الـــتى كانـــت الحكومة الإمبراطورية تثيرها ضد المســـيحيين للقضـــاء عليهم. فنجد أن المتوحدين بعد اضطهادات ديسيوس ودقلديـــانوس علـــى وجـــه أخص يجمعون صفوفهم عند اللزوم للدفاع عن أنفسهم، ومهما يكن من أمر هؤلاء الرهبان المسالمين، فإن كثرة أعدادهم – وقد بلغت الألوف المؤلفة – وهم مسلحون بعصيهم الثقيلة إنما كانوا يكونون جيشا لا يستهان به، ولا تستطيع أى حكومة أن لا تقيم لخطرهم على عمالها أى وزن.

وأهم المناطق التى تركزت فيها جماعات الرهبان بصحراوات مصر الشرقية والغربية نذكرها فيما يلى:

١) مـــنطقة بسبير(Pispir) فى الصعيد الأوسط، ومن الصعب تحديد مكانهـــا بالضـــبط، إلا انه يقال إنها كانت واقعة فى الجبال التى تبعد بعض أمـــيال عن الحافة الشرقية للوادى على مقربة من مدينة بنى سويف، وهى المـــنطقة التى بدأ فيها القديس أنطونيوس حياته الرهبانية الأولى، ثم انتقل مـــنها إلـــى الجبال النائية المطلة على البحر الأحمر، وتبعه إلى بسبير فما وراءهـــا عدد هائل من الرهبان الذين اجتذبتهم شخصيته فسعوا إلى التتلمذ علـــيه وعاشوا فى رعايته الروحية، وقد ازداد عددهم إبان حياته وفى شيخوخته حـــتى بلغـــوا الألوف، وهنالك وصف أدبىّ رائع للصحراء التى أزهرت بهم فى كتاب "تجاريب القديس أنطونيوس" (Les Tentations de St. Antoine) من قلم

الكاتب العظيم جوستاف فلوبير (Gustave Flaubert)، وهذا الكتاب وإن يكن من الآثار الأدبية التى قد يصطدم فيها الخيال ببعض الحقائق التاريخية إلا أنه يصور لنا الحياة العامة للزهاد والنساك فى ذلك العصر وفى تلك المنطقة فى صور من أجل وأروع ما أنتجته أقلام المؤلفين فى هذا النوع من القصص التاريخى.

٢) منطقة "جبل نتريا" أو وادى النطرون وكانت تعرف أيضا باسم برية شيهات التى ذهب إليها المتوحدون منذ أقدم العصور المسيحية فى القرنين الثانى والثالث، وتقع الآن إلى الغرب من منتصف الطريق الصحراوى الحديث بين مصر والإسكندرية تقريبا حيث يوجد على مقربة منها إلى اليوم دير البراموس الشهير من مؤسسات القرنين الرابع والخامس، ويروى الكاتب بلاديوس الذى زار هذه المنطقة حوالى سنة ٣٩١م أنه وجد هناك خمسة آلاف راهب يعيشون مع بعضهم مثنى وثلاثا وفى جماعات صغيرة، غير ستمائة ناسك يعيشون فرادى داخل الصحراء.

وكانت هذه المنطقة تنقسم إلى ثلاثة مراكز رهبانية: أولها جبل نتريا (Nitria)، وثانيها مستعمرة القلالى(Cellia)، وثالثها الاسقيط (Scetis) على التوالى من الشمال إلى الجنوب منحرفة صوب الشرق قليلا. ويعزى الفضل فى تأسيس الأولى إلى آمون الذى نزح إلى تلك المنطقة حوالى عام ٣٢٥م، بعد أن عاش ثمانية عشر سنة فى منزل الزوجية بالإسكندرية، وقصة زواجه قسرا وإقناعه زوجته أن تحيا معه حياة التبتل والعبادة سرا طوال هذه الفترة مشهورة. أما المركز الثانى فقد نشأ حول أبى مقار الكبير الذى وُلد بالإسكندرية فى فجر القرن الرابع، ثم مال إلى النسك فأخذ يتوغل فى صحراء مريوط (Mareotis) إلى أن استقر فى جهة القلالى وعُرفت بهذا الاسم لأن تلاميذه تكاثروا حواليه وبنى كل منهم لنفسه قلايته فى جواره ليتتلمذوا عليه، وقد اشتهر أبو مقار بسبقه المضطرد لغيره من النساك فى ضروب التقشف وتعذيب النفس وإنكار الذات حتى أصبح لا يتناول من الطعام اكثر من ثلاث أو أربع أوقيات من الخبز الجاف ومن الماء مالا يربو عن حاجته فى ابتلاع هذا الكفاف، وكان يعرض نفسه طوال يومه

لشـــمس الصـــحراء المحرقة، ويمنع نفسه من النوم، يقضى طوال ليله فى العبادة، فلما اكتظت القلالى بالرهبان من حواليه، هجرها إلى المركز الثالث وهـــو الاسقيط وكان أشد وعورة من سابقيه؛ وتبعه إلى هنالك عدد محدود من تلاميذه المقربين له والمعجبين به.

وكانـــت الحـــياة فى تلك المنطقة كما يصفها الرحالة والحجاج حياة اجتماعية استقلالية تذكرنا بعض الشيء بالمؤسسات الباخومية التى سنتكلم عـــنها فيما بعد؛ فقد كان بين الأخوة عدد من الخبازين الذين يعدون الخبز للرهـــبان، وعدد من النسّاجين الذين ينسجون التيل للبوسهم وكذا الزارعون وصـــناع النبيذ من الكرم الذى ينبتونه، كما كان بعض التجار يرتادون هذه المـــنطقة لشـــراء ما يزيد على حاجة الرهبان، وكان بينهم الأطباء للعناية بالمرضى؛ أما حياتهم الدينية فكانت موضع الاعجاب، إذ أن بلاديوس الذى يســـمع ترتيلهم للمزامير إذا ما أرخى الليل سدوله قد سما به الخيال إلى أن تصـــور انـــه انـــتقل من هذا العالم إلى "جنة عدن"، وقد بنى الأخوة كنيسة عظمى فى وسط المنطقة يجتمعون بها للصلاة معا ولتناول العشاء الربانى فـــى يومـــى السبت والأحد من الأسبوع، وفى ساحة هذه الكنيسة ثلاث من شجرات النخيل علق بكل منها سوط، الأول لعقاب الخطاة، والثانى لضرب اللصوص، والثالث لجلد الأغراب الذين يحيدون عن قواعد الجماعة.

٣) منطقة البهنسا وهى التى كانت تعرف فى العصر الرومانى بأسم أوكســـيرنكس (Oxyrhynchus) فى الصعيد الأوسط على مسافة ١٢٥ ميلا جنوب القاهرة كانت من المستعمرات أو المدائن الرهبانية الكبرى ولا تزال إلـــى الـــيوم مصدراً من المصادر الرئيسية للآثار القبطية الرومانية، وجاء وصفها فى "تاريخ الرهبان" المنسوب إلى هيرونيموس (Hieronymus) أنها كانت تعج بجماعات الرهبان، فى داخلها خمسة آلاف، وفى خارجها خمسة أخـــرى، يستمع الزائر إلى أصوات العبادة والتراتيل الدينية بها وهى تملأ عنان السماء أثناء الليل وأطراف النهار، وأعجب من هذا أنه كان بها أسقف فـــى رعايـــة عشرين ألف راهبة من العذارى، وهذا التقدير مع ما فيه من

المـبالغة الواضحة إنما يزودنا بفكرة عامة عما بلغته الحركة الرهبانية من التوسع فى القرون الأربعة الأولى من تاريخ المسيحية فى بلاد مصر.

٤) مـنطقة ليكوس (Lycus) بالقرب من أسيوط وقد أمها خلق عظيم اجتذبتهم إليها العجائب التى كان يصنعها الناسك يوحنا النجار المولود سنة ٣٠٥م والذى نزح للزهد فى جبل ليكوس سنة ٣٣٠ حيث أقام إلى أن مات سنة ٣٩٤. وقد اشتهر بين معاصريه بنعمة التنبؤ بالغيب وصنع المعجزات حتى ذاع صيته فى أقصى المسكونة، وسعى إلى الأخذ بمشورته أناس من جميع الطبقات ومن بينهم الإمبراطور ثيودوسيوس المتوفى سنة ٣٩٥. ومن ضروب الزهد التى كان يمارسها القديس يوحنا أن عاهد نفسه ألا يتناول من الطعام ما كان مطبوخا على النار بما فى ذلك الخبز، فكان زاده قاصرا على الأعشاب المجففة.

٥) مـنطقة انتيـنوى (Antinoë) التى تقع مكانها قرية الشيخ عباده علـى ضفة النيل الشرقية، وهى التى زارها الرحالة بلاديوس ما بين سنة ٤٠٦ وسـنة ٤١٢، وقضى بها أربعة أعوام كاملة يتنقل فى أرجائها نظرا لكثرة من سكنها من النساك، ففى حدود المدينة وجد أثنى عشر ديرا عامرة بالراهـبات، وخارجهـا ألف ومائتى راهب دائبين فى الأعمال اليدوية لسد حاجـاتهم المعيشية، وعائشين عيشة الزهد والنسك والتبتل والقناعة. ويذكر هيرونيموس أنه كان يأوى صحراءها المقفرة رجل قديس اسمه إيليا بلغ من العمـر مائة وعشر سنة قضى هنالك منها سبعين عاما متوحدا يقتات على ثلاثة دراهم من الخبز وثلاث زيتونات يوميا، وقيل إنه فى صباه كان يكتفى بأكلة واحدة كل أسبوع.

ويلاحـظ من تلاوة تاريخ النساك والمتوحدين أنه وإن لم تكن هنالك قواعد مكتوبة يسيرون عليها فى حياتهم الرهبانية، أو نظام موضوع يرسم لهـم خطة معينة يتبعونها كما سنرى فى قوانين باخوميوس، إلا أنه كانت هـنالك تقالـيد وعـادات مرعبة ألفوها أو استوحوها من آبائهم الروحيين، وجعلوهـا أساسـا لاجتهادهم فى ميدان النسك وفى مقدمة هذه العادات أو

التقاليد الهروب من وجه الناس إلى التوحد والبتولية وحياة الفقر المطلق والطاعة وتدريب النفس على الاحتمال والصبر والمحبة والصدق فى المعاملة وكان النساك يتبارون فى الصيام، وعلى كل حال كان المفروض أن لا يتناول الراهب غير الخبز المجفف وبعض الملح مرة كل يوم، وفى بعض الأحيان كان البعض يسمحون لأنفسهم بأكل الخضروات المسلوقة والفاكهة والعسل البرى متى وُجد، أما اللحوم فكانت ممنوعة تماماً، وكان النبيذ غير مرغوب فيه، واقتصر مشربهم على قدر من الماء. أما ملبسهم فكان من فراء الماعز غير مدبوغة ومقلوبة بحيث تقع خشونة الشعر على أجسادهم، ولكنهم أحيانا كانوا يرتدون برداء مصنوع من التيل الخشن. وكان نومهم على حصيرة من سعف النخل، إلا أن الكثيرين كانوا يفضلون الانبطاح على الأرض العارية أو على العشب والحشائش كما كان البعض يعرضون أجسامهم للعرى فى شمس الصيف المحرقة وبرد الشتاء الزمهرير. وكان السكوت التام والتزام القلالى أو المغاور للصلاة والتأمل من الضرورات الملازمة للناسك، وإحلال العبادة محل النوم أمر مألوف بينهم عموما، وقد ذهب القديس أرسانيوس إلى القول بأن نوم ساعة واحدة فى الليل تكفى الناسك. والصلاة عند المتوحدين اصطحبت عادة بالحزن العميق وأحيانا بالبكاء وصرير الأسنان. ويقترن احتقار الناسك لهذا العالم بإظهار المحبة المطلقة لبنى الإنسان والحيوان على السواء. وقد لوحظ على كثير من المتوحدين شغفهم بالحيوان حتى الضارى منه حتى أنست الوحوش لهم ولم تفزع من رؤيتهم. ولكن يجب أن نتذكر على الدوام أن هذه القواعد العامة من قبيل الاستنباط فحسب، وأن المتوحدين كانوا يمارسون العبادة كل على طريقته الخاصة وهم يتسابقون فى ميدان البطولة الروحية وإذلال البدن والحرمان وكبت الغرائز والتقشف والإمعان فى الوحدة. والمتوحدين عادة لم يكن من قواعدهم العمل اليدوى، كما كانوا يربئون بأنفسهم عن مطالعة الكتب أو اقتنائها خلافا لما سنبديه فى صدد قوانين باخوميوس، ذلك لأن الناسك كان فى غنى عن الاسترشاد بالكتب، وإنما كان الاسترشاد بالله وحده عن طريق التأمل والعبادة والصلاة وإعلاء الفكر والروح إلى الأبراج

السماوية، وليس شغل الناسك هو القراءة أو العمل اليدوى. وكان الناسك عادة قليل الحركة قابعاً فى عقر مغارته يقضى فيها السنين الطوال دون الخروج منها، معتمدا على أهل البر فى إيصال حاجات الجسد من مأكل بسيط إلى بابه. والعجب العجاب هو أن أولئك الزهاد كانوا يعيشون أعمارا طويلة تتجاوز القرن فى أمثلة لا تعد ولا تحصى.

٥- قوانين باخوميوس والحياة الديرية:

تعتبر الديرية الباخومية ثالث الأدوار الكبرى وخاتمتها فى تطور الحياة الرهبانية فى مصر التى اصطلحوا على تسميتها بحياة الشركة. وللمرة الأولى فى تاريخ الرهبنة نسمع عن أديرة منظمة ذات قوانين وضعية، ونظم محبوكة، تخضع لها الجماعة كبيرها وصغيرها. وهذا الفصل الجديد فى تطور التعاليم الرهبانية من أروع الفصول وأهمها فى كل تاريخها السابق واللاحق، سواء فى ذلك مصر المسيحية أو أمم الشرق والغرب بلا استثناء. ولكى ندرك كنه هذه التعاليم الفذة، لابد لنا من دراسة حياة القديس باخوميوس بالقدر الذى تؤهلنا له الأصول والوثائق التاريخية وهى قليلة ومتضاربة، لأن فى هذه الدراسة مفتاح ذلك النظام الذى طلع به على العالم.

وُلد باخوميوس فى بلدة كينوبوسكيون (Kenoboskion) بمنطقة طيبة، ويقال إن مكانها الآن بلدة قصر الصياد الواقعة فى مديرية قنا بصعيد مصر الأعلى، وكان ميلاده على وجه التقريب فى سنة ٢٩٠م أو على وجه التحقيق ما بين سنتى ٢٨٥، ٢٩٥ من أبوين وثنيين، ومن ذلك نستنتج أن باخوميوس قضى سنينه الأولى فى التقاليد والعبادات الوثنية، ولكننا لا نعلم تمام العلم كيف تربى باخوميوس فى صباه، إذ أن كل ما وصل إلى علمنا بعدئذ هو أنه انخراط فى سلك الجندية الرومانية وهو فى سن العشرين، واشترك فى الحروب التى أثارها الإمبراطور مكسيميانوس على قسطنطين سنة ٣١٠، ولكن هذه الحملة كانت قصيرة الأجل لاندحار الأول وقتله فى نفس السنة بأمر قسطنطين، وبذلك انصرف باخوميوس إلى الحياة المدنية،

ومـــع أن خدمته الحربية كانت مقتضبة على هذا الوجه، إلا أن تأثيرها فى حـــياته كان بالغا إلى أقصى حد. وأول آثارها انها أخرجته من الجو الوثنى الـــذى كـــان يعـــيش فـــيه بـــبلدته، واتاحت له فرصة الاختلاط والتعرف بالمســـيحيين وعاداتهم ودينهم فى مناطق اخرى. وقد حدث ان الكتيبة التى كان يعسكر بين أفرادها ذهبت إلى مدينة لاتوبوليس (Latopolis) وهى إسنا الحديـــثة، فخـــرج سكانها إلى الجند يطعمونهم ويقضون حاجاتهم فى دعة ودماثـــة خلـــق، فتعجب من ذلك باخوميوس وسأل عن هؤلاء الناس الذين اكـــرموهم كمـــا لو كانوا أهلا لهم وليس بينهم سابق معرفة، فقيل له إنهم مسيحيون، فما أنصرف عن الجندية إلا وعكف على دراسة قواعد هذا الدين الجديد، وانتهى الأمر به إلى اعتناقه المسيحية فى سنة ٣١٤. وبذلك وجدت الديانـــة الجديدة واحدا من أكبر زعمائها. غير ان الحياة العسكرية كان لها اثر آخر فى تكوين شخصية باخوميوس، فتعلم فيها النظام والطاعة والعيشة الاجتماعية والعمل البدنى مما نلحظه من الصفات التى امتازت بها قوانينه الرهبانية فيما بعد.

ثم ملكت عليه تلك الديانة كل مشاعره حتى قرر ترك العالم، واعتنق الرهبانـــية، وتبع القديس بلامون وتتلمذ عليه، وحاول بلامون بادئ ذى بدء أن يـــنهى باخومـــيوس عـــن حياة النسك والتوحد لأنها حياة قاسية محفوفة بالأتعاب والآلام التى تعدو حدود التصور، ثم وضح له بلامون نظامه مبدياً أنه لا يتناول من الطعام إلا كسرة واحدة من الخبز الجاف مع قليل من الملح مـــرة يومياً فى أثناء الصيف ومرة فى كل يومين من فصل الشتاء، وأنه لا يستعمل الزيت ولا يشرب النبيذ، وأنه يقضى نصف الليل أو الليل برمته فى ترديد المزامير والكتب المقدسة. ثم نصحه أن يفكر طويلا قبل الأقدام على هـــذا الـــنوع مـــن العيش لأن كثيرين قبله ظنوا أنهم يستطيعون ممارسته، ولكـــنهم ارتـــدوا، والـــردة أمر غير مرغوب فيه لأن من وضع يده على المحراث لا يجب أن ينظر إلى الوراء. لكن باخوميوس طلب من المعلم أن يطلب إلى السيد المسيح أن يهبه الجلد والقوة لكى لا ينوء كاهله بهذا العبء الفـــادح، وأن يســـاعده علـــى ممارسة حياة النسك حتى الموت. عندئذ قبله

بلامون تلميذاً له. وقد كان دور التلمذة عنيفاً فى مجمله، مليئاً بتعذيب الجسد والصيام وسهر الليالى، وقيل إن بلامون وجده فى ليلة من الليالى وقد أخذته سنة من النوم، فأيقظه وأخرجه من قلايته وكلفه بأن يقضى بقية الليل فى نقل أكوام الرمل من جانب من الصحراء إلى جانب آخر، قائلا له اجتهد فان العمل والجهد البدنى يدفع الشيطان عن إفساد ثمرة أتعابك. وكان باخوميوس موضع إعجاب أستاذه الذى رضى فى النهاية عما وصل إليه تلميذه من السمو ودرجة الاعتماد على النفس، فطلب اليه أن يذهب ليحيا حياته فى وحدة تامة وأن لا يتلاقيا بعد الآن إلا دفعة واحدة فى السنة الواحدة. ويقال إن الفترة التى قضاها فى رعاية بلامون سبعة أعوام كاملة.

انصرف باخوميوس عندئذ إلى جهة مقفرة فى منطقة طابنا (Tabenna) بالقرب من قنا فى مواجهة دندره ليواصل فيها حياة التقشف والتوحد، وكان كفاحه فيها شديداً، وقيل إنه مرة قضى أربعين ليلة متوالية دون أن يذوق طعم النوم، عاكفا على العبادة والصلوات. وأخيراً تقول الروايات الدينية إنه قد جاءه الوحى من الروح القدس على يد ملاك أنبأه بأنه أتم فترة التجربة كاملة، وأنه لا حاجة له بالبقاء فى مكانه، بل عليه أن يتجول فى القفار ليجمع الأخوة المتوحدين، والنساك الذين يهيمون على وجوههم فى الأرض، وأن يسكنهم معا فى دير يقام لهم، وأن يخضع الجميع لقانون واحد. ثم دفع له الملاك بلوح نُقشت عليه الوصايا التى يجب على الأخوة أن يسيروا بموجبها وعددها ستة، والكلام فيها موجه فى صيغة الأمر إلى باخوميوس، ننقلها فيما يلى مع قدر قليل من التصرف:

(١) دع الرجل (والمقصود الراهب) يتناول من المأكل والمشرب ما يشاء، وعلى قدر قوة هؤلاء (الرهبان) ممن يأكلون ويشربون تلزمهم بالعمل؛ ولا تنهاهم لا عن الأكل ولا عن الصوم؛ أما الضعفاء والصائمون فتطالبهم بالأعمال الخفيفة.

(٢) وعليك أن تقيم لهم القلالى يسكنونها معا ثلاثة ثلاثة.

(٣) وعليهم جميعا أن يتناولوا الطعام معا فى قاعة واحدة.

(٤) وعليهم أن لا يناموا منبطحين على الأرض، لكن عليك أن تصنع لهم المقاعد، حتى إذا ما استلقوا فوقها أمكنهم أن يسندوا رءوسهم عليها.

(٥) وعليهم فى أثناء الليل أن يلبسوا جلباباً بغير أكمام، وأن يشدوا أوساطهم بحزام، ويجب أن يعطى لكل منهم طاقية لغطاء رأسه. وعليهم أن يتناولوا العشاء الربانى فى يوم السبت وفى أول يوم من الأسبوع (يوم الأحد) وطواقيهم فوق رءوسهم دون أن يكون عليها أغطية أخرى، وعلى صدر كل طاقية منها صليب مشغول من القرمز.

(٦) وعليك أن تقسم الرهبان إلى أربع وعشرين مرتبة (أو درجة)، وأن تميز كل مرتبة بحرف من الحروف الأبجدية اليونانية من الألفا إلى الأوميجا (أى من الألف إلى الياء)، لكل مرتبة منها حرف.

هذه هى الوصايا السته كما أوردها بلاديوس فى كتابه "بستان الرهبان"، وقد عقب فيها الكاتب على الفقرة الأخيرة بما يفهم من منطوقه أن كل حرف يرمز به إلى صفة من الصفات تشترك فيها طبائع جماعة الرهبان الذين ينتمون إلى هذا الحرف أو القسم، فالبسطاء فى الروح مثلا يرمز لهم بحرف "ايتا"، وصعاب المراس والمعاندون يرمز لهم بحرف "اكسى" وهكذا بحيث يستطيع رئيس الدير ان يعرف من هذا الوضع صفة كل راهب وطبيعته دون كبير عناء.

بعدئذ يذكر بلاديوس أن ملاك الله أضاف شفويا إلى ما جاء فى اللوح المكتوب أنه إذا جاء إلى الدير راهب غريب يرتدى بزى مخالف لزيهم، لن يدخل معهم إلى المائدة. وعلى الرجل الذى يبتغى قبوله راهباً فى الدير أن يُكلف بالعمل اليدوى ثلاث سنين قبل أن يُمنح (زى الرهبان فى هذا الدير) وحلقة الرأس (التى تميز هؤلاء الرهبان) أى حلق ذؤابة شعر الرأس فى المكان الذى يضعون عليه طواقيهم (Tonsure).

وعلى الرهبان إبان تناولهم الطعام أن يضعوا على رءوسهم القلانس التى تحجب رءوسهم ووجوههم حتى لا يرمقوا بعضهم بعضاً وهم يأكلون.

وعليهم أن لا يتجاذبوا أطراف الحديث وهم على المائدة، وأن لا يتطلعوا من جانب لآخر.

كذلك أمر الملاك باخوميوس أن يطلب إلى رهبانه ترديد إثنتى عشر مـزموراً فى كل يوم، وإثنتى عشر أخرى فى كل مساء، وإثنتى عشر ثالثة إبان الليل، وعندما يتقدمون للطعام يرتلون المزمور الكبير.

ولكن باخوميوس الذى بُهت من خفة الأعباء المفروضة على الرهبان قال للملاك: "إن الأجزاء التى عينتها للقراءة قليلة جداً". فأجابه الملاك قائلا: "حقاً إن الأجزاء التى عينتها قليلة، وما ذلك إلا لكى يكون فى وسع الضعفاء مـن الرهبان تنفيذ القوانين دون أن يتقاعسوا عنها؛ أما الرهبان الذين بلغوا الكمـال فـأن اجتهادهم لا يحدده قانون بأى حال، لأن أذهانهم فى الأوقات متجهة نحو الله؛ غير أن القانون الموضوع فلهؤلاء الذين لم تكتمل أذهانهم حتى يمكنهم أداء الفروض وعلى وجوههم بهجة".

ومهمـا يكـن مـن شئ فأننا ننقل هذه الرواية لا على سبيل الرواية الدينـية، وإنمـا نظـرا لما لها من الأهمية التاريخية الفائقة، فقصة اللوح المكـتوب والوصايا الستة وظهور الملاك بها لباخوميوس لاشك مستقاة من العهـد القديـم وقصـص موسى والوصايا العشرة، ولكن منطوق القواعد الرهبانـية الـواردة فيها هو ما نسعى لتسجيله، لأن هذه النواة المبدئية هى الأساس الذى بنى عليه القديس باخوميوس قوانينه الهائلة التى أحدثت انقلابا هائلا فى الأوضاع الرهبانية المألوفة إلى ذلك الوقت، وأثرت أبلغ التأثير فى توجـيه الأجـيال القادمـة فى كل أقطار المسكونة، لأنها أصبحت الأساس العظـيم الـذى ابتـنى عليه الخلف الصالح تلك الأنظمة الديرية التى كانت الوسيلة الوحيدة الناجعة للاحتفاظ بنور المدنية والحضارة فى عصور الظلام الأولـى بعـد انهيار الدولة الرومانية ونزول جحافل المتبربرين فى أكنافها بالغرب والشرق.

باخومـيوس الذى عانى فى السنين الأولى من حياته الرهبانية كل ما كان يعانيه النساك والمتوحدون من الويلات، انتفع بتجاربه الأولى المفزعة

كــل الانتفاع، وتفتحت عيناه إلى ما فيها من أعباء مقزعة لا طائل تحتها، وأدرك أن الــتقرب إلى ذات الله العلية، وأن منجاة النفوس من شرور هذا العــالم، وأن كسب ملكوت السموات وجنة الخلد فى العالم الآخر، أدرك أن كل ذلك لا يتحتم من أجله أن يُصلِى الراهب نفسه ضروبا من تعذيب الجسد تفوق التصور.

حقــاً إن باخومــيوس كــان جباراً مثل هؤلاء الجبابرة الذين كانوا يقضــون عشــرات السنين الطوال فى عقر كهف مظلم أو قبر مهجور أو غــرفة مهملــة، فى بطن صحراء موحشة أو برية مخيفة، ولكنه كان إلى جانب ذلك إنساناً يتميز عليهم بسعة الأفق وتقدير الممكن والغير ممكن فى طبيعة البشر، ولذلك ارتاع من هول ما كان يجرى فى أكناف الصحارى من ضــروب البطولة التى لا تدعو إليها الحاجة، ولا تحتمها قواعد الدين، فثار ثورتــه الهادئــة الناضــجة على تلك التقاليد، وبدأ فى وضع قوانينه التى أصــبحت هدى ونبراسا يضئ الطريق للخلق العظيم من الرهبان، فاهتدوا بذلــك الــنور الساطع الجديد، وأزدحموا حوله زرافات ووحدانا من كل فج عمــيق. وعــندما أســس ديره الأول قرابة دندره، كان أول من تتلمذ عليه واهــتدى بهديه ثلاثة من المتوحدين هم بسنتيسس (Psentaesis) وسوروس (Surus) وبشويس (psois). وما هى ساعة أو ضحاها إلا وأتاه الرهبان من كــل حــدب وصوب للانضمام إلى هذه الحركة الجديدة، مما يدل على أن العالم كان فى أشد الحاجة إلى هذا البعث الجديد فى تطور النظام الرهبانى الانفــرادى، وإلى تلك الحركة الديرية الاجتماعية المنظمة فلما ضاق نطاق الديــر الأول برهــبانه، أخذ باخوميوس فى تأسيس المؤسسات الأخرى فى منطقــتى قــنا وطيبة، فهذا دير فى بيو (Pbau)، وذاك آخر فى مونكرزس (Monchosis)، وتلــك أديــرة أخــرى فــى ثيبيو (Thebeu) وبانوبوليس (Panopolis) وتاسى (Tase) وتسمانى (Tismanae) وباخنوم (Pachnoum) ولاتوبوليس (Latopolis) وهكذا امتلأت الصحراء بجماعات الرهبان الذين يحيون حياة اجتماعية إنسانية دينية على جانبى الوادى فى تلك المناطق من صعيد مصر.

ويمكننا دون كبير عناء أن نتصور العبء الثقيل الذى وقع على كاهل هذا الزعيم الأكبر كنتيجة لذلك التوسع المضطرد السريع فى هذا النظام من الحـــياة الديــرية، فباخومـــيوس كان دائم التنقل من مكان إلى مكان واعظاً مرشـــداً مـــنظماً. وبكـــثرة تلك المؤسسات أصبحت القواعد الأصلية التى أوردناها نقلا عن بلاديوس لا تكفى لضبط حكومة تلك الطائفة الكبيرة وذلك الجـــيش الهائل من الرهبان، فجعل باخوميوس يزيد عليها ما تمليه الحاجة وما تتطلبه الظروف التى نجمت عن تغير الأحوال الديرية. وربما كان هذا هـــو الســـر فـــى أننا لا نجد قوانين باخوميوس فى دورها الختامى مكتوبة بأكملها فى مجموعة محبوكة الأطراف، أو مرسوم شامل جامع مانع كما هو الحـــال فـــى قوانين القديس بندكت من القرن السادس بإيطاليا، لأن دستور الجماعـــات الباخومية ككل الدساتير العظمى لم يسبق الحوادث، وإنما كانت نصوصه نتيجة طبيعية لمجابهة ما نجم عن هذه الحوادث والتطورات. لذلك أصـــبح لزاما علينا أن نستنبط هذا الدستور العجيب مما لدينا من الأصول والـــتواريخ والآثار التى وصلتنا من الرحالة والحجاج الذين زاروا الأديرة الباخومية ودوّنوا فيها مشاهداتهم عنها، مثل بلاديوس وهيرونيموس ويوحنا كاسيان وجيروم وغيرهم.

وأخـــيرا جاءت ساعة الرقاد الأبدى إلى هذا الزعيم الأكبر، بعد حياة حافلـــة بجلائل الأحداث والأعمال. عندما وقع الطاعون فى مصر على ما قـــيل ســـنة ٣٤٨، وامـــتدت لهبه إلى الأديرة الباخومية تحصد الكثير من الأخوة، فكان باخوميوس مثال الزعيم الحق، يتنقل بين تلاميذه من المصابين عـــندما وقعت الكارثة بهم فى كل مكان، لتمريض المرضى والمساهمة فى دفن الموتى، ولتقوية الجميع فى إيمانهم بالصلاة، غير مكترث بما يحفه من المخاطـــر، حـــتى إذا ما فات عيد الصعود من تلك السنة إلا وبدأ هو أيضا يشعر بأعراض المرض تهده هداً، فجمع أبناءه حوله وأوصاهم أن يتمسكوا بـــأهداب الـــنظام الذى وضعه، فلا يفتروا فى الصلاة أو العمل، وأنه متى جـــاءت الساعة فلهم أن ينتخبوا من يشاءون لرياستهم، ولكنه يقترح عليهم مجـــرد اقتراح أن يكون خلفه بترونيوس (Petronius)، ويتضح من ذلك أن

باخوميوس لم يكن مستبداً فى حكومته، بل ديمقراطياً إذ ترك لجماعته حرية انتخاب من يرونه صالحاً لزعامتهم. وفى النهاية توفى باخوميوس يوم ١٥ مـــايو حسب التقويم اليونانى أو ٢٢ مايو حسب التقويم القبطى، والغالب أن وفاتــه حدثــت فى سنة ٣٤٨م وإن كان تحديد العام المضبوط لا يزال فى نظرنا موضعاً للبحث والتنقيب. وكان عمر القديس باخوميوس وقتئذ سبعة وخمسين عاماً، وهو عمر قصير جداً إذا قيس بأعمار الرهبان والمتوحدين الــذى كانوا عادة ينوفون على القرن من الزمان. وبعد دفنه فى مكان معين مـــن الجبل نقل جثته أحد تلاميذه سراً إلى بقعة غير معلومة تنفيذاً لوصيته حتى لا يكون جسده محلا للتبجيل أو العبادة.

وقبل أن نتصدى لتحليل قوانين باخوميوس، يجدر بنا أن نلقى بنظرة عاجلــة علـــى ما وصلت إليه أديرته من الاتساع فى حياته وبعد مماته إلى أوائــل القرن الخامس، وذلك من الإحصاءات التى وردت فى كتب الرحالة من هذا العصر.

بلاديـــوس ينبئنا بأن تلاميذ باخوميوس وأتباعه بلغوا ثلاثة آلاف فى أثـــناء حـــياته، وسبعة آلاف فى سنة ٤٢٠م وهى السنة التى أتم فيها كتاب "بســتان الرهـــبان". ويوحنا كاسيان (Cassien) الكاتب الفرنسى الذى زار مـــناطق الرهـــبان المصريين حوالى نفس التاريخ يقدر عددهم بنحو خمسة آلاف راهب باخومى. ومن مؤلفات هذين الكاتبين نستنبط أن الدير الباخومى كـــان عادة يسكنه عدد يتراوح بين المائتين والثلاثمائة راهب، ولو أن دير بـــبو (Pbau) كان يحتوى على ستمائة راهب حوالى منتصف القرن الرابع وما بين الف وثلثمائة وألف وأربعمائة راهب فى ختام ذلك القرن. وقد ذكر القديـــس جـــيروم (St. Jerome) الذى كتب فى عام ٤٠٤م أن عدد رهبان باخومـــيوس بلغوا آنئذ خمسين ألف راهب، وهو تقدير مبالغ فيه، وإن كان يدلـــنا من الناحية التاريخية عن أن تلاميذ باخوميوس زادت أعدادهم زيادة هائلـــة بسرعة خارقة، وأن تلك الزيادة المضطردة فى حياة باخوميوس هى الـــتى حتمـــت عليه وضع أسس ثابتة قوية لذلك النظام نجمله فى الفقرات الآتية:

١- شروط القبول:

كان على الشخص الذى يريد أن ينضم إلى دير من أديرة باخوميوس أن يقضـــى ثلاثـــة ســنين تحت الاختبار، لكى يثبت فى أثنائها قدرته على ممارسة حياة البتولية والطهارة والخضوع لأحكام القانون. وفى هذه الفترة أيضـــاً كـــان لزاما على المبتدىء أن يتعلم القراءة والكتابة، وأن يحفظ عن ظهر قلب عشرين مزموراً من مزامير داود النبى فى العهد القديم ورسالتين مـــن رســـائل العهد الجديد، فمتى تم له ذلك وُزعت ملابسه على الفقراء، واســتعيض عـــنها بالملابس الجديدة من الدير، وسُمح له بالانتقال من دار الضيافة الواقعة عند المدخل إلى قلالى الرهبان فى داخل الدير.

٢- الملابس:

كانت تمتاز بالبساطة التامة، فالراهب يرتدى قميصاً قصيراً من غير أكمـــام يصـــل إلى الركب، وله حزام يشد به وسطه، وعلى كتفيه وظهره علقت فروة من فراء الخراف أو الماعز (وكانت تعتبر من مميزات الرهبان فـــى ذلـــك الوقت)، وفوقها عباءة خيطت بأعلاها قلنسوة الرأس التى كانوا يرســـمون علـــى جبهتها علامة الدير وهى عبارة عن صليب من مختلف الألـــوان للدلالـــة على المؤسسة التى ينتمى إليها الراهب، وفى قدميه حذاء (صندل) مفتوح. وهذه الملابس بكاملها إنما كان يرتديها الراهب عند سفره خـــارج الدير فقط، بينما كان وهو فى الدير يكتفى بارتداء القميص القصير والحـــزام والطاقية التى أشرنا إليها فيما سبق، وكان القميص مصنوعا فى العادة من التيل الخشن، وكان الراهب يسير عارى القدمين.

٣- الطعام:

كان يقدم للرهبان فى قاعة المائدة مرتين فى كل يوم، ومواعيد تقديمه فـــى الظهر وفى المساء، ولكن لم يكن الحضور إلى القاعة إلزامياً، وبعض الرهبان المتقشفين كانوا يفضلون البقاء فى قلاليهم ولا يتناولون سوى دفعة واحـــدة مـــن الخبز والملح والماء فى كل يوم عند غروب الشمس، ولو أن باخومـــيوس لم يكن راغباً فى تشجيع الإسراف فى الزهد من هذه الناحية.

والطعام عادة يتكوّن من الخبز والخضر والحساء والجبن والفاكهة، فالرهبان الباخوميون إذن كانوا نباتيين لا محل لأكل اللحوم عندهم، كما أنهم كانوا لا يشــربون النبيذ والخمر، اللهم إلا إذا كانت ظروف الراهب المريض تدعو إلى التجاوز عن هذه القيود باعتبار اللحم أو الخمر من الأدوية اللازمة فى المــرض. وكــان الرهــبان يدخلون قاعة الطعام حفاة الأقدام وهم لابسون القمــيص والفــروة والعباءة والطاقية والقلنسوة، ويأكلون ما يقدم إليهم فى ســكون دون أن يــنظر الواحد منهم ذات اليمين وذات اليسار، وفى أعلى القاعة واحد من الأخوة يقرأ فصولا من الكتب المقدسة.

٤- النوم:

القــاعدة فى النظام الباخومى هى سكنى الرهبان ثلاثة ثلاثة فى كل قلاية من قلايات الدير، وآثار القلايات الكاملة التى لا تزال موجودة فى بقايا ديــر القديــس سمعان (أنبا هدرة) الواقع على التلال الصحراوية المواجهة لمديــنة أســوان تــدل دلالة واضحة على ذلك، إذا نجد فى كل منها ثلاث مصــاطب لهــا رأس مرتفعة مصنوعه من الطين على شكل وسادة. وفى الوصــايا الســت يرد ذكر المقاعد ذات المساند للرأس فى حالة النوم، وقد اســتنتج بعــض الــناس ان رهبان باخوميوس استعاضوا عن النوم الكامل بالغفوة على مقعد، ولكننى اعتقد أن هذا التفسير يثير الشك فى ذهن الباحث، ويغلب على الظن أن المقصود بالمقاعد التى فُسرت حرفيا بالكراسى لم تكن ســوى المصاطب التى تستند فيها الرأس على وسادة مبنية من نفس المادة التى عملت منها المصطبة، وذلك لأن باخوميوس أراد أن يخفف من أتعاب الــنوم الذى اعتاده النساك بالانبطاح أرضا وبدون أى مسند للرأس. ومهما تكن الحقيقة، فلا شك أن الأخوة كان مفروضاً عليهم أن لا يناموا إلا الهزيع الأول من الليل، ففى الساعة السادسة التى هى منتصف الليل كان عليهم أن يقومــوا للتســبيح والصــلاة والتأمل إلى أن يصبح الصبح، وعليهم أن لا يــتجاذبوا أطراف الحديث داخل قلاليهم. وكان من المسموح لهم أن يناموا على سقوف القلالى فى ليالى القيظ الشديد.

٥– العمل اليدوى:

كانـــت الأعمال اليدوية، فى المؤسسات الباخومية، إجبارية لا يعفى مـــنها اى راهـــب حـــتى رؤساء الأديرة أنفسهم، وكانوا يجلسون فى غير ساعات العمل المخصصة لادارة الأديرة للاشتراك فى الأشغال التى يزاولها بقـــية الأخـــوة مثل جدل الحصر والسلال من سعف النخيل. ويُعد العمل البدنى من المميزات الرئيسية التى خرج بها باخوميوس على المألوف عند النساك الأقدمين، وذلك لحكمة مزدوجة: أولا أن العمل وسيلة لكسب القوت الضرورى للراهب الذى يجب أن لا يكون عالة على المجتمع أو على غيره من الناس، وثانيا لأن للعمل فوائده الروحية الكبرى، فهو يشغل العامل عن التفكـــير فـــى الدنيا وشرورها. ومن الأعمال الشائعة بينهم على ما ذكرنا صـــناعة الحصـــر والمقـــاطف من سعف النخيل وفتل الحبال من الليف، يبـــيعونها جملة إلى سكان المدن المجاورة، أو يستبدلونها بحاجات معاشهم، أو يســـتعملون دخلهم منها فى الإحسان على الفقراء والبائسين. لكن الأديرة الباخومـــية كانت فى نفس الوقت وحدات مستقلة، وقد دعا اتساعها، وزيادة عـــدد سكانها إلى التشعب والتخصص فى الصناعات القائمة بها، لكى يقوم كـــل دير بسد حاجاته، وذكر بلاديوس أنه رأى فى أحد الأديرة المجاورة لمدينة بانوبوليس (Panopolis) خمسة عشر حائكا وسبعة حدادين وأربعة نجارين وأثنى عشـــر راعـــياً للجمـــال عدا المشتغلين بالحرث والزرع والعجن والخبز والطبخ وغـــير ذلـــك. ثـــم لا يفوتنا فى هذا الصدد أن ننوه بوجود الكتّاب والنُسَّاخ الذين تخصصـــوا فـــى كتابة الكتب ونسخ المخطوطات بمكتبة الدير، وهذا يقودنا إلى المسألة الحيوية التالية وهى مكانة العلم والتعليم فى أديرة باخوميوس.

٦– التعليم:

وكـــان إلى جانب العمل اليدوى الشعبة الثانية من الثورة التى أحدثها القديس باخوميوس على القديم. فبينما كان القدامى من المتوحدين يحتقرون القـــراءة والكـــتابة ولا يرغبون فى اقتناء الكتب ويتجنبون الدرس والتعليم، عمـــل باخوميوس على تطليق هذه الفكرة من نظامه بصفة قاطعة، فقضى علـــى الأمية فى أديرته قضاء مبرما، وجعل معرفة القراءة والكتابة شرطا

مـــن شـــروط الدخول فى الدير ولابد على الراغب من تحصيلها فى سنى الـــتجربة والاختـــيار الأولى. ثم أنه نظم ثلاثة دروس يومية فى ذلك عند الســـاعات الأولـــى والثالثة والسادسة من النهار للمبتدئين، ودروساً أخرى عامـــة يعقدها رؤساء الأديرة بأنفسهم يومى الصيام الأسبوعى أى الأربعاء والجمعـــة فـــى تفسير الكتب المقدسة والتعاليم المسيحية، وكان حضورها إجـــبارياً علـــى كـــل الأخوة. بيد أنه لا يستهوينا الكلام فى هذا الموضوع للمـــبالغة فى قدر التعليم والعلوم الإنسانية بالأديرة الباخومية، لأن التعليم لم يكن مقصوراً منه أكثر من توفير الأدوات اللازمة للراهب فى قراءة الكتب المقدســـة وكتـــب الصلوات وتاريخ الرسل والآباء والتعاليم الدينية البحتة. فالغـــرض من التعليم إذن كان دينيا قبل كل اعتبار وليس دنيوياً بأى حال. ومهمـــا يكـــن من شئ فان التعليم فى حد ذاته كان له أكبر الأثر فى السمو بالأديرة الباخومية وما شابهها من المؤسسات التى ظهرت فى القرون التالية فـــى مخـــتلف الـــبقاع والأقطار حتى أصبح الكثير منها يعتبر من المراكز الممـــتازة فى عالم التعليم والعلم، وأصبحت الأديرة بعدئذ الحصن الحصين الـــذى حفظـــت فيه مؤلفات آباء الكنيسة والآداب القديمة من عوادى الدهر علـــى مر العصور. ومحتويات المكتبات الديرية كانت تتكون فى العادة من الكتـــب المقدسة، وكتب الوعظ، وأقوال الآباء، ورسائل التأمل والتصوف، وحـــياة القديسين، والشروح، وكتب الصلوات، وغير ذلك من موضوعات الأدب الدينى، ولكنا أحيانا نعثر بينها على القصص والتاريخ والأدب الذى هـــو علـــى هامش الدين ويمت للدنيا بصلة بعيدة أو قريبة، وكانت المكتبة مفتوحة على مصراعيها لكل قارئ يريد الاستفادة بما فيها.

٧- العبادة:

وكان لها نظام ثابت، كما كانت تنقسم إلى قسمين، العبادة أو الصلاة الاجتماعية والعبادة أو الصلاة الانفرادية. أما الصلاة الاجتماعية فكانت تقام بالكنيســـة مرات ثلاثاً كل يوم فى الصباح الباكر وعند الظهر وفى المساء، ويحضرها الرهبان بكامل عددهم. أما الصلاة الانفرادية فكان أمرها موكولا للرهـــبان فى صوامعهم، يتابعون فيها عباداتهم وتأملاتهم حسب اجتهادهم،

وعلـــى كل حال كان مفروضا على الراهب أن يصحو للصلاة من منتصف الليل إلى الفجر – ويحتفل بالقداس الإلهى الكبير يومى السبت والأحد حيث يتناول الرهبان العشاء الربانى – أما الإسراف فى التعذيب والعويل وصرير الأســنان الــذى كان جزءا من التعاليم الأنطونية فان باخوميوس لم يشجع رهبانه على مزاولته بالرغم من أنه لم يحرمه تحريما باتاً.

٨- العقــاب:

كــان مــن لزومــيات الجماعات الكبرى أن توجد القوانين الرادعة للخارجيــن على النظام أو المستهترين به، ولذلك لم يجد باخوميوس بداً من اســتعمال الشــدة مع المخالفين حتى فى أتفه الأخطاء. وكان العقاب على درجات، أما الدرجة الأولى فهى اللوم والتوبيخ العلنى والحرمان من وجبات الطعــام للأخطــاء الصغرى كالضحك أو النظر يميناً أو يساراً أثناء تناول الطعام، والدرجة الثانية وهى العقاب البدنى أو الجلد بالسياط وحبس الراهب فــى قلايــته فكــان مــن نصيب المتأففين والمتذمرين ومن على شاكلتهم، والدرجـــة الثالثة وهى الحرمان والطرد من الدير فكانت توقع على كل من يقــترف جــريمة مــن الجرائم الكبرى التى تعدو التذمر والتردد فى طاعة الرؤساء ولمن لا يُرجى لهم صلاح.

٩- الإدارة:

وفـــى تنظــيمها الدقيق تتضح عبقرية باخوميوس النادرة، ومقدرته الفائقة فى تأسيس حكومة ثابتة الأركان، ذات دستور محبوك الحلقات. وقد قسم باخوميوس الإدارة إلى قسميها الطبيعيين وهما الإدارة المحلية لكل دير والحكومة المركزية لجميع الأديرة. وفى كلا الإدارتين كانت الطاعة المطلقة أســاس الدســتور، وقد ذكر لنا المعاصرون أمثلة عجيبة للتدليل على روح الطاعــة العمــياء بين الرهبان، منها أن الرئيس إذا طلب واحداً من الأخوة وهــو يكتب ترك القلم عند آخر حرف كان يكتبه وسارع إلى تلبية أمره ثم يعــود إلى إكمال الكلمة التى لم يتم كتابتها. وذلك راجع بلا نزاع إلى تلك التعاليم التى اكتسبها باخوميوس وهو فى سلك الجندية الرومانية. أما الإدارة

المحلـية للديـر فكانــت توكــل إلى رئيسه، ولكل رئيس نائب يساعده فى الإشــراف على الأعمال اليومية العادية التى يتطلبها الدير، ثم أنه كان لكل دير أمين لا يزال حتى اليوم يدعى "ربيته" فى الأديرة القبطية، وربما كانت هذه التسمية مشتقة من كلمتى "رب البيت" باعتبار صاحبها أمينا على خزائن الديـر ومخازنــه وللمكتـبة أيضــا خازن وكان من النساخ عادة، وهنالك المعلمـون والخـبازون والـنجارون والبـناؤون والحـدادون والزارعون والناسـجون والجمالون وغيرهم من الفئات التى تتطلبها ظروف الحال فى كل دير حسب المنطقة التى يكون فيها، ولكل من هذه الفئات رئيس يشرف على عملها تحت رعاية رئيس الدير أو نائبه، ولما كثر الرهبان وتنوعوا فى الأديـرة الباخومية قسُموا إلى أسر وكل أسرة منها تضم رهبان أمة معينة، ومــن المعلـوم أن حـياة الشركة فى تلك الأديرة اجتذبت الرهبان من أمم متبايـنة مثل السريان واليونان واللاتين وغيرهم، وكان لكل أسرة معلم من جنســها يقـوى على التفاهم مع أبناء جلدته وإرشادهم، ومن الجائز أن هذا الـنظام هـو الذى ورثته الجامعات فى العصور الوسطى حيث انتشر فى رحــباتها نظــام الأمــم، وكــان منها فى جامعة باريس خمس أمم تشمل الفرنســيين والإنجليز والنرمنديين والبيكرديين والنرمان والبريطان، وربما أُخذ عن هذا النظام أيضا نظام الأروقة الذى ساد الجامعة الأزهرية إلى عهد قريــب مــثل أروقــة الصعايدة والبحروة والمغاربة والشراقوة والأحباش وغــيرهم. ثم أن باخوميوس قرر أن الدير الذى يعُتبر وحدة قائمة بذاتها لا يجــب أن يكــون فى معزل عن الأديرة الأخرى. وهنا يبدأ نظام المركزية الدقــيق ويــتدرج إلى أن يصل به إلى الإدارة البيروقراطية العليا فى الدير الرئيســى الــذى يقيم فى رياسته أب الشركة أو الرئيس الأعلى وهو خليفة باخوميوس. وكان كل ثلاثة أو أربعة من الأديرة المتقاربة يكونون ما يسمى بالقبــيلة، ويشترك رؤساؤها فى انتخاب واحد من بينهم ليكون زعيما لتلك القبيلة، وهم يجتمعون من وقت لآخر للتشاور فيما يلاقونه من صعاب وفيما يهمهم من الأمور. وجميع الرؤساء وزعماء القبائل يخضعون خضوعا تاما مطلقــاً لا رجعــة فيه ولا نقاش ولا استئناف للرئيس العام، وإشراف هذا

الرئـــيس العـــام يـــأتى عـــن طريقتين، الطريق الأول هو الزيارة، وكان باخومـــيوس دائم الحركة دائم التنقل بين أديرته للتفتيش عليها والعلم بدقائق أحوالهـــا، ولا شـــك أن بترونيوس الذى خلفه فى الرياسة بعد مماته ثم من تلاهمـــا مـــن الرؤســـاء كانوا ينسجون على منوال أبيهم الروحى الأكبر. والطـــريق الـــثانى مركزى يتلخص فى عقد اجتماعين عامين فى كل سنة، وكـــان جمـــيع رهبان المؤسسات الباخومية يحضرون هاتين الجمعيتين فى الديـــر الرئيسى فى بيو (Pbau) أو دير الرياسة العليا إذا انتقلت منه لغيره. وتحـــدد للاجتماع الأول موسم القيامة للاحتفال بعيد الصعود وهو من أهم أعـــياد القـــبط إن لـــم يكـــن أهمها قاطبة، والاجتماع الثانى يقع فى الثانى والعشرين من شهر مسرى من الشهور القبطية وهو يوافق الثالث عشر من شـــهر أغســـطس، والغـــرض مـــن هذا الأخير بحث حالة الأديرة الداخلية والخارجية وتقديم التقارير الخاصة بكل دير منها، وبعد طرح مسائل الأديرة علـــى بســـاط البحـــث ومحاســـبة كل رئيس عما قدمت يداه فى أثناء العام المنصـــرم، يقـــرر المجلس السياسة العليا التى يجب على الرؤساء أتباعها لحسن سير العمل والنظام والعبادة فى جميع الأديرة، ثم يعلن الرئيس العام أســـماء الرؤســـاء الفرعيـــن الجدد كما يعلن التنقلات بين رؤساء مختلف الأديرة، وأخيراً فى جلسة ختامية يحضرها الرهبان قاطبة، تُعقد فيه صلاة جامعـــة، وفى مشهد رهيب مؤثر يعلنون مغفرة الخطايا والصفح العام عن ذنوب المذنبين، ويبارك الرئيس الأعلى جميع الحاضرين.

هـــذا هو مجمل قوانين باخوميوس التى حاولنا أن نجمعها فى صعيد واحد، ولكن من العبث الادعاء بأن هذا هو كل ما ينطوى عليه ذلك النظام، فـــان هنالك موضوعات صغرى لا يتسع المقام لإحصائها. خذ مثلا العناية بالمرضـــى والضعفاء، فقد خصص لهم نظام باخوميوس الإنسانى موضعا يجمع فيه شملهم، ويوليهم من العناية ما هم أهل له، فيعفيهم من قيود الطعام المفروضـــة علـــى عامـــة الأخوة، ويعودهم الأطباء الجثمانين والروحيون للأشراف على حالتهم. ثم موضوع الزوار والأغراب والحجاج وكان يوجد مـــنهم بلا شك سيل متواصل على أديرة باخوميوس، وكانت القاعدة السائدة

فـــى الأديرة هى الترحيب بضيوفهم ومعاملتهم بالحسنى والإكرام، فيقابلهم الرهـــبان ويغسلون أقدامهم، ويقدمون لهم الطعام والشراب اللازم لهم، كل ذلك فى بيت الضيافة الملاصق لمدخل الدير وداخل جدرانه بدون أن يكون على اتصال برحباته وقلاليه الداخلية المخصصة للرهبان. وخلاصة المقال أن حـــياة الشـــركة كانـــت فـــتحا جديداً مبينا فى تاريخ الرهبانية، أصولها الرئيسية هى البتولية والطهارة وحياة الفقر والطاعة والعبادة والعمل اليدوى والأخـــذ بقســـط من التعليم وقبس العلوم الدينية. وكان هذا النظام العجيب الكامل مظهراً رائعاً للحكم الرشيد المستنير فى زمن كانت الفوضى ضاربة إطـــنابها فـــى أرجاء الإمبراطورية الرومانية التى أخذت هيبتها فى الزوال والـــتدهور، وحـــل فـــى أرجائهـــا محل السلام الرومانى ذلك التخبط الذى اصطحب بغزوات المتبربرين فى القرن الخامس الميلادى.

كانـــت تلـــك الأديرة الباخومية مثلا أعلى فى الأمن والسلام والنظام والحـــياه الراضـــية، فى عالم منهار ملأه الفزع والفوضى، وشمله القنوط والدمار. وكان إذن اتجاه أنظار الناس إلى هذه المؤسسات التى هرعوا إليها بالمئيـــن والآلاف أمراً طبيعياً فى ذلك العصر الذى سادته الروح الدينيةـــ واخذ الفكر المسيحى فيه على الخلق قلوبهم وألبابهم. وكان كل دير من هذه الأديـــرة عـــبارة عـــن حصن زاخر بالحركة والنشاط، تحيط به الجدران الرومانـــية الســـميكة الشاهقة التى تبلغ حوالى الثلاثين مترا فى الارتفاع، لحماية سكانه من غارات التفتيش التى كان يشنها عمال الحكومة عليهم فى زمـــن الاضطهاد، ومن عدوان المعتدين من عصابات النهب والسلب التى كانت تموج بها فلول الوادى. ومدخل الدير ليس إلا فتحة مستطيلة صغيرة لا يســـتطيع أكثر من رجلين أو ثلاثة دخولها دفعة واحدة، فضلا عن كونه محصـــنا ببابين من أفلاق الخشب الكثيفة المبطنة بألواح الحديد والمسامير ذات الـــرءوس الغلـــيظة زيادة فى التحفظ، وعلى قمة السور ممشى داخلى طويـــل للحراس والخفراء، وفوق الباب فتحة يطل منها البواب عندما يدق نـــاقوس الديـــر إذا طـــرقه طارق بواسطة حبل قد تدلى إلى الخارج لهذا الغرض. وبجانب الباب فى ملاصقة السور من الداخل بيت الضيافة لايواء

الغـــرباء الذيـــن لم يسمح لهم بالتنقل فى رحبات الدير الداخلية المخصصة للرهـــبان والـــتى كان بها عدد كبير من المبانى المختلفة، أهمها الكاتدرائية الكـــبرى عـــدا الكنائس الصغرى، وقاعة الاجتماعات المخصصة للمجامع وللاستقبال والدروس العامة، والمكتبة وغرفة المائدة وكانت عادة مستطيلة تتوسطها المائدة الطويلة وعلى جانبيها أحيانا دكتان طويلتان وكل هذه بنيت مـــن الحجر المنحوت خصيصاً لهذا الغرض، والمطبخ الرحيب، والأفران، ومخـــازن الغلال والملح والملابس وغير ذلك من الأدوات، والصوامع أو قلالى الرهبان وكان عددها كبيراً تقام إلى جانب السور فى صفوف طويلة، وفـــى الدير مساحة واسعة خالية من المبانى تُزرع فيها الأشجار والبساتين، ويجلس فيها الرهبان لمزاولة الأعمال اليدوية مثل صناعة الحصر والسلال وغـــيرها، وبها أبيار المياه تقام عليها السراقى والشواديف، وحظيرة البهائم المســـتعملة فى الحرث والزرع وإدارة السواقى. وفى قلب الدير وسط هذه المبانى حصن مربع شاهق متصل مع سقف أحد المؤسسات الأخرى بقنطرة مـــتحركة مـــن دور من أدواره العليا، يلتجئ إليه الرهبان وقت الضرورة القصـــوى عـــندما يقـــتُحم الدير، وفى هذا الحصن كنيسة ومخازن للطعام المجفف المحفوظ بها وبئر للارتواء منه عند الحصار. وكل هذه الأجزاء لا تزال واضحة فى الأديرة الرومانية العامرة بأرض مصر.

* * *

٥- الانبا شنودة ونظامه:

لا نـــزاع أن العالم يدين بالفضل الأكبر فى تأسيس حياة الشركة على ذلك الوجه الإنسانى للقديس باخوميوس. ولكن من الخطأ أن يُظن أن مصر حتى فى هذا العصر المتقدم كانت خلوا من الأديرة إلا ما أنشأه باخوميوس. ذلـــك لأن الحـــركة الديرية كانت قد بدأت جذورها تمتد فى مختلف البقاع بالديـــار المصرية، وكان نموها أمراً طبيعياً للأسباب التى أوضحناها، وقد ظهرت معالمها بأشكال متنوعة بالرغم من أنها لم تبلغ درجة الكمال والدقة والـــنظام الـــذى يـــرجع لعبقرية باخوميوس. مثال ذلك ما حدث فى وادى

النطرون حيث أخذ تلاميذ آمون وأبى مقار وغيرهما من القديسين فى إنشاء الأديرة التى لا يزال شاخصا من بينها أربعة أديرة تُعتبر من دُرر الصحراء الغربـية هى دير البراموس وأنبا بشوى والسريان وأبى مقار. ولا شك أن للصلة الدائمة بين قديسى هذا العصر أكبر الأثر فى ازدهار الحركة الديرية. ونحـن نعلـم أن باخوميوس زار آمون فى وادى النطرون، وأن أبا مقار الكبير زار باخوميوس فى الصعيد الأعلى، وكانت زيارة هذا الأخير خفية، ولكـن أمـره لم يخف على باخوميوس إذ شاهده وهو يصوم أربعين يوما كاملـة، فـأدرك أنـه لا يستطيع إتيان هذا الأمر العظيم إلا أبو مقار وهذا الـتزوار بين أولئك القديسين كان بلا غرو مصدراً لتبادل الأفكار واقتباس المبادئ والتعاليم والمُثل العليا، مما أثر تأثيراً مباشرا على نشر حياة الشركة فـى درجـات مخـتلفة بين مختلف الجماعات الرهبانية التى سكنت القفار والصحارى.

وكان من بين هذه المراكز العديدة مركز آخر على جانب عظيم من الأهمـية والخطورة فى تاريخ الديرية والقومية المصرية على السواء، ولا زال مـع الأسـف هـنالك قصور فى البحث والتنقيب فى مختلف مناحيه، ومعلوماتـنا بتفاصيله إذا قيست بما نعلمه عن الجماعات الباخومية سطحية وتافهـة لأسباب سنجملها فيما بعد. وهذا المركز الجديد كان يقع فى قرابة سـوهاج أو بالأحرى قرب بانوبوليس وهى مدينة أخميم الحالية حيث أنشأ الأنـبا شنوده نظاما اجتماعيا شبيها بحياة الشركة لدى باخوميوس، غير أنه كان أشد عنفا من نظام زميله ومعاصره فى منطقتى طيبه وقنا. وشنوده كان رجـلا شـديد المـراس بالطبع، وكان من أئمة العاملين على تهذيب اللغة القبطـية، وآدابهـا الدينية من التأثيرات البيزنطية. وهذه الحركة فى الواقع جـزء من حركة أوسع منها بدأت فى حجر الكنيسة القبطية، وتتلخص فى يقظـة الوعـى القومـى المصرى، والعمل على تحقيق استقلال مصر من الناحية الدينية عن القسطنطينية، تلك الحركة التى أخذت فى الاضطراد حتى شملت الحياة الاجتماعية المصرية، وتطورت فى النهاية إلى درجة الطموح إلى الاستقلال السياسى عن الدولة البيزنطية. من ذلك يتضح أن شنوده كان

لحـد مـا مـن بناة أول مشروع استقلالى لهذا الوطن منذ انهياره فى عهد الوثنية القديمة على يد قمبيز الفارسى سنة ٥٢٥ ق.م.

والأنبا شنوده كما ذكرنا عاصر الأنبا باخوميوس فى أثناء سنى نسكه الأولى. وُلد فى سنة ٣٣٣ وتوفى عند ظهر اليوم الثانى من أيام شهر يوليه سـنة ٤٥١م، وكـان قد طعن فى السن وبلغ الثامنة عشرة بعد المائة، ذلك بالـرغم من إغراقه فى التقشف والعيش على الكفاف. ويلوح للباحث أنه لم يرض عن نظام باخوميوس كل الرضى، فاعتبر أن فيه تساهلا كبيراً. ومع احتفاظه بتعاليم الشركة أدخل عليها من التعديلات ما جعل حياة الأخوة فى رعايـته أصـعب وأشد مما كانت عليه الأوضاع المقبولة عند باخوميوس. وكـان شـنوده يعـادى كل شئ بيزنطى، وهذا يفسر لنا موقفه العنيف من نسـطوروس والحـركة النسـطورية فى القسطنطينية، كما يفسر لنا الفرق الهائل بين مؤسساته ومؤسسات باخوميوس من زاوية أخرى، إذ بينما كانت هـذه الأخـيرة دولـية فى طابعها يقصدها المصرى والبيزنطى واللاتينى والفلسـطينى والليبى والأفريقى على السواء، أصبحت الأولى قاصرة على المواطنيـن مـن الرهبان المصريين الأقباط فحسب. وهذا الوضع الضيق يوضـح لنا أيضا قلة المعلومات التى أشرنا إليها فى كتب الرحالة والحجاج الذيـن درجـوا علـى زيارة مؤسسات الآباء المصريين فى أقصى القفار المصـرية، لاسـيما بلاديوس الذى لم يورد فى كتاب "بستان الرهبان" أى إشـارة للأنبا شنوده أو جماعاته الرهبانية. وليس من المعقول أن بلاديوس كـان جـاهلا بوجودهـا، وأغلب الظن أنه لم يستسغ مبادئها، فآثر أن لا يتعرض للكلام عنها وعن مؤسسها.

ومـن الغريب الذى لا نستطيع إيضاحه أو تعليله، هو أنه بالرغم من موقف الأنبا شنوده القومى البحت، تقف إمبراطورة بيزنطية عظيمة موقف الصـدارة مـن تخلـيد ذكـراه، وتدعيم نظامه، ورعاية أتباعه، تلك هى الإمبراطورة هيلانه زوجة الإمبراطور قسطنطين الكبير، فقد أبقت له "الدير الأبيض" الذى لا تزال كنيسته موجودة وتقام فيها الشعائر الدينية حتى يومنا هـذا، والـذى اصـبح المركز الرئيسى لجماعات الأنبا شنوده. فهل كانت

الإمـــبراطورة بهذا العمل تريد استمالة باخوميوس إلى القسطنطينية؟ أو هل كانـــت حـــركة شـــنوده لم تزل في عهدها الأول غير واضحة الاتجاهات والنوايا التي تتعارض مع الميول البيزنطية؟ هذا ما لا نستطيع الإجابة عليه إلـــى الآن، والمستقبل وحده كفيل بجلاء الغموض الذى تنطوى عليه قوانين أنبا شنوده وعلاقاته الدقيقة مع من عاصره من الحكام.

٦- أنظمة باخوميوس فى العالم المعاصر وفى التاريخ:

لـــيس من العجب بعد ما أوضحناه أن يذيع صيت باخوميوس، وأن تنتشر قوانينه في الديار المصرية وفيما وراء حدود مصر. فإننا نجد الأديرة الباخومـــية تُبتـــنى مـــن أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال فى طول الديار المصـــرية وعرضـــها. وهذا هو دير القديس سمعان (الأنبا هدرا) لازالت آثـــاره شاخصـــة فـــى مواجهة مدينة أسوان، بالرغم من أن صلاح الدين الأيوبـــى أعمـــل فـــيه معاول الهدم سنة ١١٧٢م، كما يقال إن قرابة مدينة كانوب عند مصب فرع الدلتا الكانوبى على ساحل الإسكندرية الشرقى كان يوجـــد ديـــر باخومى زاهر، وهذا هو معبد "أبو صير" القديم على مسيرة عشـــرات مـــن الكيلومـــترات علـــى ساحل البحر الأبيض المتوسط غرب الإســـكندرية فى منطقة مريوط وقد حوله النساك إلى دير جليل فى العصر الـــرومانى مازالت آثار قلاليه وصوامعه قائمة بجوار أسواره من الداخل، وأســـس كنيسته فى رحبه المعبد الوسطى منظورة ملموسى. ثم أن القديس باســـيليوس الكبـــير الـــيونانى الأصل وصاحب النظام الديرى الذى يُقترن بمؤسسات جبل آثوس فى بلاد اليونان، إنما يرجع الفضل الأول فى تعاليمه وفـــى إدخال الأنظمة الجديدة بتلك البلاد إلى باخوميوس، ومن المعلوم أنه عاش عدة سنين فى أديرته بالصعيد وأنه تتلمذ عليه.

يُلاحظ كذلك أن القديس أثناسيوس الكبير بطريرك الكنيسة السكندرية قـــد حمل التعاليم الباخومية إلى أوربا الغربية فى رحلتيه المعروفتين عندما نُفـــى عـــن الإســـكندرية، ولاسيما فى رحلته الثانية عندما نفاه الإمبراطور قسطنطين إلى روما، حيث قضى هنالك القدر الأكبر من الفترة الواقعة بين

ســـنة ٣٤٠ وسنة ٣٤٦، وفى هذه المرة الأخيرة عرض على البابا يوليوس الأول أســـقف رومـــا نتـــيجة الأعمال الهائلة التى كان باخوميوس يقوم بها فى مصر، فكانت موضع الإعجاب والتقدير، وبذلك مهد للاقتباس من قبسها، والهدى بهديها. كما أن القديس جيروم (St. Jerome) ترجم قوانين باخوميوس وآثاره إلى اللغــة اللاتينـــية فـــى عام ٤٠٤ ونشره بين الرهبان الإيطاليين، بينما نقل يوحنا كاســـيان فى أثناء النصف الأول من القرن الخامس حياة الآباء المصريين وأقوالهـــم وأقاصيصهم وأنظمتهم فى أربعة مجلدات لاستعمالها بين الرهبان المقيمين فى قفار غرب أوربا وعلى وجه أخص أولئك الذين كانوا يسكنون جنوب بلاد الغال (فرنسا)، ثم أنه حاول فعلا تطبيق تعاليمهم فى الدير الذى أسسه فى مدينة مرسيليا على ساحل فرنسا الجنوبى.

وهـــنالك راهب غربى آخر يدعى ديونيسيوس الصغير المتوفى سنة ٥٤٥ (Dionysius Exignus) أو بالفرنســـية (Denys - Le-Petit) ترجم إلى اللغـــة اللاتينـــية تـــاريخ حياة باخوميوس وقصة أنظمته وقوانينه عن اللغة الأغريقية فى أثناء النصف الأول من القرن السادس. وهذه الترجمة وإن لم تكن مصدرا من الطراز الأول لتاريخ حياة الشركة، إلا أن وجودها وتداولها مـــع غـــيرها من التراجم السابقة فى أوربا ليدلنا دلالة واضحة على مدى انتشـــار الأفكـــار الباخومـــية والتمهيد لإدخالها فى النظم الرهبانية بالغرب لاسيما وأن أوربا كانت وقتئذ على عتبة قيام حركة الديرية البندكتية.

وربمـــا كان أبقى آثار قوانين باخرميوس وأهمها فى أوربا هو ذلك الأثر الذى انطبع به نظام الديرية البندكتية. وإذا كان القديس باخوميوس قد عمل على تكييف الحياة الرهبانية على أسس اجتماعية تتفق وظروف مصر فى القرن الرابع، فإن بندكت اقتفى أثر سلفه فى وضع قانونه الجديد لكى يناسب أحـــوال إيطاليا فى القرن السادس. ودير مونت كاسينو (Monte Cassino) فـــى أواسط إيطاليا لا يكاد يختلف اختلافا بيناً فى مجمله عن أديرة قنا فى الصعيد الأعلى. ولا يتسع المجال هنا لمقارنة تفاصيل قوانين وأنظمة هذين القديسين، لأن ذلك موضع دراسة خاصة مطوّلة، ولكن ما يعنينا هنا فى هذا الصـــدد هو إثبات ما يدين به القديس بندحت للقديس باخوميوس من حيث

اقتباس الكثير من أفكاره فى حياة الشركة وفى النظام والعمل البدنى والعقلى والطاعـــة المطلقة للرؤساء وتثقيف الرهبان إلى جانب الشروط الأصلية فى الحياة الرهبانية كالبتولية والطهارة والفقر، وقد قيل أن الأول نقل فى بعض الأحـــيان نقلاً حرفياً من قوانين الآخر. ونظراً لما كان يتمتع به بندكت بين اللاتيـــن مـــن مركز ممتاز، فقد أنتشرت التعاليم الباخومية عن طريقه فى أوربـــا انتشـــاراً واســـعاً وسريعاً، ومنذئذ أخذ التاريخ الرهبانى فى الغرب صبغة مصرية جديدة هى صبغة إنسانية وروحية فى نفس الوقت.

غـــير أن حـــياة الشـــركة التى يرجع تأسيسها وتنظيمها إلى القديس باخومـــيوس فـــى القرن الرابع لم تقتصر آثارها على الديرية البندكتية فى القـــرن السادس، وإنما تعدتها إلى أوربا فى جملتها خلال القرون الوسطى التالـــية. وإن للباحـــث فى زوايا التاريخ الأوربى بالقرن العاشر أن يتساءل بحـــق عمـــا إذا كانت تعاليم باخوميوس قد أثرت تأثيرا مباشراً فى حركة الإصلاح الكلونى (نسبة إلى Cluny الواقعة فى فرنسا على مقربة من حدود ألمانيا)، تلك الحركة الكبرى التى كان لها أثرها الدائم فى توجيه المدينة فى العصـــور الوســـطى، وفـــى إحـــياء تلك الروح الفذة التى هدمتها النزعة الانفصـــالية والاســـتقلال الذاتى بين مؤسسات القديس بندكت، إذ أن قانون بندكـــت الأصـــلى كـــان تجاوز عن النصوص التى ربطت مختلف الأديرة الباخومـــية برباط واحد، حتى يتم التعاون بينها، وحتى يصلح المحسن بينها مـــن زلة المسىء. وكان هذا التجاوز مصدر الزلل والتدهور فى كثير من الأديرة البندكتية، لذلك عمد آباء كلونى إلى الاستيحاء بوحى الماضى البعيد مـــن تعالـــيم باخوميوس فى توطيد أواصر الصلات بين الأديرة الكلونية، فجعلـــوا مـــن رئـــيس ديرهم الأصلى زعيماً وراعياً ورئيساً عاماً يخضع لســـلطانه رؤســـاء الأديـــرة الفرعـــية قاطبة، ويدينون له بفروض الطاعة المطلقـــة. ثـــم أنهـــم لم يقتصروا فى إصلاحهم على ذلك، بل قرروا عقد اجتماعيـــن ســـنويين لجمـــيع الرؤساء بقصد الشورى فى أمورهم، وتقديم الـــتقارير عـــن أعمـــالهم فى أديرتهم، وإسداء النصح المتبادل بين رئيسهم الأعلـــى وبيـــنهم، ورســـم السياسة العليا التى يسيرون بمقتضاها فى عامة

أعمالهم والكلونيون فى كل هذا يذكروننا بأحداث القرن الرابع وبقوانين باخوميوس وأنظمته التى تحمل أوجه الشبه العجيبة لها. وان هذا العجب ليتضاءل أو يبطل إذا تذكرنا أن المؤلفات اللاتينية التى كتبها يوحنا كاسيان والقديس جيروم وغيرهما عن آباء الصحراوات المصرية وعن قوانين باخوميوس وأنظمته ظلت منتشرة تتداولها أيدى الرهبان المتعلمين فى بلاد (غاله) التى هى منبت الحركة الكلونية خلال القرون الوسطى، فكان طبيعيا أن يرجع المصلحون فى الغرب إلى ما جاء بها من تعاليم الأوائل والأخذ بها.

وليس من العبث أو البهتان أن نقول إن حركة قيام الجماعات الرهبانية الجديدة المحكمة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر مثل أخوان جراندموت (Grandmont) والكارثوزيان (Carthusians) والسترشيان (Cistercians) وغيرها كثير انما جاءت فى أثر الحركة الكلونية، كما تلاها فى عهد لاحق جماعات الفرنسسكان والدومنيكان التى لا يزال فضلها معروفا إلى اليوم. ليس من العبث والبهتان أن نقول أن تلك السلسلة من أولها لآخرها يمكن اقتفاء أصولها ومنابعها فى وحى باخوميوس المصرى. وإذا سلمنا بذلك، أصبح لزاما علينا أن نسلم أيضاً بأن النهضة الأدبية الفكرية الأولى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، تلك النهضة التى تُقترن بقيام العلوم الإنسانية ونشأة الجامعات فى العصور الوسطى، انما هى أثر من آثار تلك الهيئات الديرية التى يرجع تكوينها فى الأصل إلى عبقرية باخوميوس.

واننا أذا أمعنا النظر فى تاريخ الرهبانية العام على ضوء هذه الحقائق، لأدركنا فى وضوح تام أن مصر التى ولدت هذه الحركة الإنسانية الهائلة فى صحراواتها وقفارها، إنما ظلت تهيمن على كل ما تلاها من حركات الإصلاح الديرى بأوروبا قرنا بعد قرن زهاء العصر الوسيط.

عزيز سوريال عطيه

حول تكوين الحياة الرهبانية فى مصر

مــن المعــروف أن آباءنا النساك والرهبان الأولين عاشوا منعزلين فــى أطــراف القــرى المصــرية بعيداً عن كل اتصال بالعالم الخارجى، وأنهــم بذلــك لــم يتأثروا كثيراً ولا قليلا فى حياتهم التى أستنوها لأنفسهم بالأنظمة الرهبانية التى كانت معروفة من قبل فى الهند وغرب آسيا وبلاد الإغريق.

ومن المعروف أيضا أن مبادئ الحياة الرهبانية المصرية مشتقة من تعالــيم الديانــة المســيحية مباشرة، وإنها بذلك مغايرة تمام المغايرة لشتى وجهــات النظر التى قامت عليها تلك الجماعات غير المسيحية التى اتخذت مــن الزهد والتقشف والحرمان وما إليها حياة لها، والتى كانت منتشرة فى بعض المدن المصرية أو على مقربة منها خلال العصر الاغريقى الرومانى وأشهرها: طائفة المتقطعين لعبادة سرابيس وهى المعروفة باسم (Katoikoi) وكــان أفرادها يعيشون بجوار بعض المعابد المصرية، خصوصاً سرابيوم منف. وطائفة المتأملين وطالبى الشفاء من الأمراض النفسية وهى المعروفة باســم (Therapeutae) وكــان أفــرادها يعيشون فى ضواحى بعض المدن المصــرية، خصوصاً على ضفاف بحيرة مريوط غرب الإسكندرية. ومهما يكن من أمر ففضلا عن اختلاف أساليب وغايات هاتين الطائفتين وسواهما عــن مــبادئ الرهبنة المسيحية، فانها فنها جميعاً كانت قد تلاشت أخبارها وعفت آثارها قبل الرهبنة المسيحية بقرنين من الزمان، دون تخلف أية بينة أو مجرد قرينة تشير إلى أن النساك والرهبان الأولين نقلوا أنظمتهم عنها أو حــتى تأثروا بها تأثيراً مباشرا. وكل ما يمكن قوله فى هذا الشأن أن تعدد هذه الجماعات يدل دلالة واضحة على ازدياد الميل نحو الاتجاه بالحياة إلى الناحية الروحية فى أوائل العصر المسيحى بصفة خاصة.

وعلـــى كـــل حال فليس أدل على كل ما ذهبنا إليه، من أن الرهبنة كـــنظام مســـيحى خضعت لمختلف ضروب التطور التى تتعرض لها عادة كافـــة الحـــركات الدينية والاجتماعية وما إليها، من حيث أنها بدأت بحياة العـــزلة الفـــردية ثم تدرجت إلى حياة التعاون المحدود إلى أن انتهت بحياة الشركة الديرية.

نستطيع إذن أن نقول إننا حيال نظام دينى اجتماعى أوحت به التعاليم المســـيحية الحاثـــة على الزهد فى مباهج العالم والاهتمام بالروح والسعى لخـــلاص الـــنفس، وان هذا النظام يرجع بأصوله إلى مصر حيث تكونت عناصـــره ونما نمواً طبيعياً ثم تطور وازدهر وامتد إلى كافة أرجاء العالم المســـيحى. فهـــل هناك عوامل ومؤثرات مهدت لنشأة هذا النظام ثم لنموه وتطوره بين المصريين دون سواهم من الشعوب المسيحية؟ هذا ما نريد أن نعنى به فى هذا البحث.

العقائد المصرية القديمة:

ســـيطرت العقـــائد الدينية على عقول قدماء المصريين وتغلغلت فى نفوسهم وحياتهم حتى نسجت خيوطها فى كيانهم الأدبى كله. وكانت عقيدة الحياة بعد الموت أهم هذه العقائد وأقدمها جميعاً، فقد أدرك المصريون منذ فجـــر التاريخ أن حياة الإنسان ليست من العبث بحيث تنتهى فى هذه الدنيا الفانية، وهداهم ذلك بطبيعة الحال إلى التفكير فى الآخرة وإلى اعتبارها دار الخلـــود. لذلـــك بنوا لدنياهم بيوتاً من اللبن والخشب، بينما اتخذوا لأخرتهم القبور المنحوتة فى الصخر أو الأهرامات المشيدة بالأحجار الكبيرة، ولذلك أيضـــا حـــنطوا جثث موتاهم ووضعوا معها التماثيل لإرشاد الأرواح إلى أصـــحابها وغـــير ذلك من الأمور المعروفة، التى كانوا يتوسلون بها إلى المحافظـــة على الجسم وصيانته من الفساد والفناء بعد الموت ضمانا لبعثه وخلوده فى الحياة الأخرى. ولكن لعله من الأنصاف للتاريخ ولهم أن نقول إن تفكـــيرهم فـــى الآخرة لم يكن ماديا خالصا على النحو الذى يبدو أمامنا لأول وهلة، وأغلب الظن أن تفكيرهم هذا كان روحيا ولكنهم لم يستطيعوا

التحرر جملة من المظاهر والاتجاهات المادية. على أنه من حقهم علينا أن نتذكر بأن أساليب تفكيرهم هذه ترجع إلى فجر التاريخ أى إلى طفولة الإنسانية حيث كان الفكر البشرى لا يزال فى أولى مراحل نضوجه وتكامله.

ومهما يكن من شئ فيبدو أن نظرة المصريين إلى الحياة الأخرى أصبحت روحية خالصة لا تحتمل لبسا أو تأويلا، وذلك قبل مضى وقت طويل، إذ لدينا فى متون الأهرام وهى أقدم وأغنى المصادر لتاريخ العقائد المصرية (حوالى ٣٠٠٠ ق.م.) وفى كتاب الموتى فيما بعد، نصوص صريحة تدل دلالة واضحة على أنهم باتوا يؤمنون بأن مصير الإنسان فى الآخرة يترتب على سلوكه فى هذه الدنيا، وأن كل شخص مسئول عن تصرفاته إن خيرا وإن شرا، وأن هناك حسابا يتلوه ثواب أو عقاب. وإليك نص يقول فيه صاحبه: "... لقد كنت قائما بواجباتى نحو أبى وأمى، محباً لأخوتى وأخواتى، ولم أصنع شراً بأحد خوفا من دينونة أزويريس".

واليك أيضا فقرة من وصية تركها أحد ملوك الأسرة التاسعة لابنه: "... إن من عاش عيشة التقوى والفضيلة كان نصيبه الخلود فى الحياة الأخرى، وإن من جاوزت حسناته سيئاته أمام اوزيريس طابت له الحياة الأخرى، أما من لم يضبط نفسه فى الحياة الدنيا فان مصيره إلى التهلكه".

وظلت بعض هذه العقائد وما يتصل بها من أفكار وتقاليد متغلغلة فى نفوس المصريين طوال عصور تاريخهم، حتى أتت المسيحية فإذا المصريون أكثر الناس إدراكا لمبادئها واستجابة لتعاليمها، وإذا هذه المبادئ وتلك التعاليم تلهب الجانب الروحى فى عقيدة الحياة بعد الموت، وإذا انطونيوس وزملائه الأفذاذ يتطلعون إلى أمجاد الآخرة فيستنون لأنفسهم حياة التقوى والفضيلة والانفراد لعبادة الله، وإذا صفوف لا يكاد يحصيها العد من الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، والشيوخ والشبان على السواء، يتبعونهم وينسجون على منوالهم راضين مغتبطين بما تتطلبه هذه الحياة من زهد وتقشف وحرمات وما إلى ذلك بسبيل.

على أن أثر العقائد المصرية وما يتصل بها من تقاليد وأفكار لم يقف عـــند هذا الحد، فقد ظلت بقاياها متأصلة فى عقائد المصريين وعاداتهم بعد تحولهـــم إلـــى الديانـــة الجديدة، ويظهر ذلك جليا فى بعض عادات وأقوال الرهبان المصريين، إلا أن هذا الأمر لا يعنينا هنا، وعلى كل حال فلا نزال متأثرين حتى فى وقتنا الحاضر، ورغم تباين الظروف واختلاف العصور، بكثـــير من مظاهر العقائد المصرية القديمة خصوصا فى تقاليدنا وطقوسنا الجنائزية وليس هذا بمستغرب من شعب رفى محافظ كانت عقائده من وحى الطبيعة المصرية الخالصة.

ظروف الحياة العامة:

يبدو غريبا فى نظر الكثيرين أن تنشأ الرهبنة بين المصريين أنفسهم مـــع مـــا عـــرفَ عنهم من ميل شديد للمرح والسرور، والواقع أن قدماء المصريين كانوا يحبون الحياة المرحة البهيجة ما فى هذا شك، ولا يعوزنا الدلـــيل على ذلك فيما خلفوه لنا من رسوم، تمثلهم أحيانا جلوسا تحت ظلال الكروم يأكلون ويشربون ويستمعون للموسيقى، وتمثلهم أحيانا أخرى يتلهون بصيد الطير والسمك وما إلى ذلك من ألوان الحياة المرحة المترفة، بيد أننا إذا تذكـــرنا ذلـــك وجـــب ألا يفوتنا فى الوقت نفسه أن حياة المصريين فى العصـــر الرومانى غيرها فى العصر القديم، بل تكاد تبعد عنها بعد الأرض عن السماء.

والآن فلنرجع خطوة إلى الوراء. لما تخلفت مصر عن القيام بالدور الرئيسى على مسرح التاريخ القديم، كانت قد شاخت فعلا، ومن ثم أصبحت مطمـــح أنظار الشعوب الفتية، فتوالت عليها غزوات الأثيوبيين والآشوريين والفـــرس، غـــير أنها كانت فى كل مرة تصبر على المكارة، حتى تحين الفرصة المناسبة فتنقض على غاصبيها وتكرههم على الفرار. إلى أن شاء ســـوء طالع المصريين أن يتصلوا بالإغريق فكان اتصالا مشئوما لم ينجوا مـــن آثـــاره أو يـــبرءوا مـــن شروره وآثامه أبداً. كان فى الأصل اتصالا اقتصاديا بدأ منتصف القرن السابع ق.م. أو نحو ذلك، ولكنه مهد ولا شك

للاستعمار السياسى الذى تم على يد الاسكندر (٣٣٢ ق.م.) وخلفائه البطالمة من بعده. ومن نكد الدنيا أول من وفد منهم إلى مصر كان خليطا من القرصان والباعة المتنقلين، توطنوا أولا فى بعض الموانى الساحلية ثم سرعان ما تكاثروا وتغلغلوا فى كافة أنحاء البلاد وفى شتى نواحى الحياة المصرية جميعاً، حتى إذا ما أتى البطالمة كان المصريون خاضعين لا لأسرة أجنبية أو لملوك غرباء فحسب، بل ولجيش لا يكاد يحصر من الإغريق المدنيين الذين استولوا على أحسن الأراضى وأخصب الضياع وأرفع المناصب والوظائف، فتركوا للمصريين فلاحة الأرض وبعض الوظائف والحرف الصغيرة التى أثقلت بدورها بالتبعات والضرائب حتى أصبحت ممارستها متعذرة، وبعبارة أخرى كان كل الغنم للإغريق وكل الغرم على المصريين. وليت شرهم اقتصر على ذلك فهناك ما هو أجل خطراً وأبعد أثراً، إذا امتدت أيديهم إلى ديانة المصريين فمسخوها بعقائدهم المادية التى خلت من كل معنى روحى حتى فى أزهى عصورهم. ثم قصروا التعليم على أضيق الحدود حتى لا يتنبه الوعى القومى، وفرضوا لغتهم على المصريين، وانتشر نساخهم فى طول البلاد وعرضها يكتبون للأهالى الرسائل والوثائق بالإغريقية، ومن ثم طغت هذه اللغة فانتشرت الأسماء الأغريقية أو المصطبغة بها. وماذا بعد الدين واللغة والأسماء! لقد دمروا القومية المصرية أو كادوا فلم تقم لها قائمة جدية منذ ذلك الحين. ولدينا وثائق كثيرة من القرن الأول قبل الميلاد توضح هذه الحال المنكرة توضيحا صريحا.

ثم أتى الرومان فكانوا شر خلف لشر سلف، فبينما عبث السابقون بكل شئ على نحو ما رأينا، إذ باللاحقين يزيدون الطين بلة. فقد اتسمت سياستهم فى الحكم بالسوء والظلم والاستعباد، كما غشيت حياتهم العامة والخاصة على السواء مظاهر البذخ والصلف والسطوة التى أخفت تحتها شر أنواع الفساد والإثم والانحطاط الخلقى لذلك كان من الطبيعى أن تسير الحالة مسرعة من سيء إلى أسوأ فى شتى نواحى الحياة، حتى بلغت أخيرا منتهى السوء فى القرن الثالث الميلادى، حينما شاع الفساد فى كافة أرجاء

الإمبراطورية الرومانية المتداعية على ما هو معروف. وكان من جراء ذلك أن تكـررت ثـورات المصريين، وتعرضت بعض أقاليم بلادهم للغزوات الخارجـية من حين إلى حين، وقامت القرى تحارب بعضها بعضاً. وأدى ذلـك كله إلى اختلال الأمن بشكل لم يسبق له مثيل حتى ليقول أحد الأهالى فـى وثيقة مؤرخة عام ٣٠٧م "... لقد خطفوا زوجتى وأولادى قسرا". أما سوء الحالة الاقتصادية فحدث عنه ولا حرج، إذ كان قوامها نظام للضرائب بلـغ من الاستبداد والظلم الصاروخ دركا لم يعرفه التاريخ من قبل، ووقع وزر ذلك بالطبع على رؤوس المصريين الذين كانوا ينوءون بما يرزحون تحـته مـن أعباء لا تحتمل زيادة لمستزيد. ومع ذلك فقد أثقلت كواهلهم بتبعـيات وضرائب جديدة، حتى أصبح الوفاء بها مستحيلا أو كالمستحيل، وكـان معـنى ذلك الجلد والسجن ورهن الأطفال أو بيعها كالرقيق. وهكذا كانـت الحال: جوع وجهل وبؤس ورق بين المصريين" يقابله ترف وبذخ وإثم وفساد بين السادة الروم، من إغريق ورومان.

تصور كل هذه الحال المنكرة التى ظل شرها متصلا سبعة أو ثمانية قـرون مـن الـزمان، تدرك كيف أصبح المصريون متعبين حقا، مثقلين بالأحمـال فعـلا: فما أن اعتنقوا المسيحية واستمعوا لنداء السيد المسيح له المجـد: "تعالوا إلى يا كافة المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم"، حتى لاح لهم فى الأفق البعيد قبس من رجاء هداهم سواء السبيل، فاذا المصريون يسـتجيبون ويذهبون إليه بعيدا فى البرارى والقفار، وإذا البرارى والقفار المجدبـة تنبت التقوى والفضيلة والمبادئ الخلقية السامية. وهكذا تمخض الشر عـن الخير. فقد رأى النساك والرهبان الأولون أن أحاديث الناس تفيض هزلا ومجونـا وفحشـا فدفعهم ذلك إلى أن ينطووا على نفوسهم فى عزلة وصمت وتـأملات وصلوات ورأوا أن الثراء لا يتأتى عن طريق الحق والصدق فآثروا الفقر الاختيارى والتجرد من الأطماع. ثم رأوا أن رغبات الجسد وأهوائه تستبد بعقـول الـناس وتستهوى قلوبهم حتى أصبحت منتهى غاياتهم فى هذه الحياة الدنـيا، فساقهم ذلك إلى إذلال الجسد بالزهد والتقشف والحرمان سعيا إلى تهذيب نفوسهم وترقيتها حتى تكون أهلا للخلاص.

عوامل أخرى:

وهـنالك عوامـل أخرى كان لها أثر يختلف قوة وضعفا فى تكوين الحياة الرهبانية نشير إلى أهمها فيما يأتى:

١- كـان نتـيجة الاضـطهادات الدينـية التى شنها الأباطرة على المسـيحيين فى مصر وغيرها خصوصا فى القرن الثالث، أن آثر البعض الالـتجاء إلـى الصحارى تخلصا منها أو تجنبا لما تجره فى أذيالها عادة من مظالم وشرور، وهذا يتمشى على كل حال مع طبيعة الأمور ويلائم منطقها، إذ لم يكن من المعقول أن يقبل الشعب بأكمله على أدة التعذيب وسيف الجلاد. فلما انقشعت غمرة هذه الاضطهادات المروعة، عاد البعض إلى حياتهم السابقة بينما آثر البعض الآخر حياة الزهد والعبادة فظلوا حيث كانوا.

كذلك كان لهذه الاضطهادات تأثير من ناحية أخرى، إذ من المعروف أن مـا عانـاه الشهداء من ضروب التعذيب وما أظهروه من إيمان عجيب وبطولـة روحية فائقة، كل ذلك وما إليه أثار ولا شك جوا من الغيرة التى أذكت الوازع الدينى فى قلوب الكثيرين، حتى أنه بعد زوال عصرها كان لا يزال هناك بعض المتحمسين الذين كانوا يتوقون للاستشهاد باعتباره أقصر طريق إلى السماء. فلما فاتتهم فرصة ذلك آثروا حياة الزهد والعبادة مادامت ستؤدى فى النهاية إلى نفس الغاية.

٢- لاشـك أن شخصيات مؤسسى الرهبنة وزعمائها كانت عاملا له أثر لا يُنكر فى تكوين النظام الرهبانى. فلقد اجتذبوا الناس إليهم، لا بعلومهم ومعـارفهم فقد كانوا كالأميين أو أميين فى بعض الحالات، بل بنقاء قلوبهم وصـفاء أرواحهـم حتى كانت الحكمة تنساب من بين شفاههم فى سذاجة طبيعـية رائعة، كما عرفوا أيضا بالطهارة والقداسة وصنع المعجزات، مما انـتزع الإعجـاب والإجـلال مـن معاصريهم ومن الأجيال المتعاقبة من مواطنيهم ومن أهل الشرق والغرب جميعا. فلا غرابة إذن أن نجد مثل هذه الشخصيات تجتذب قلوب المشوقين إلى التشبه بهم واتباع مثالهم.

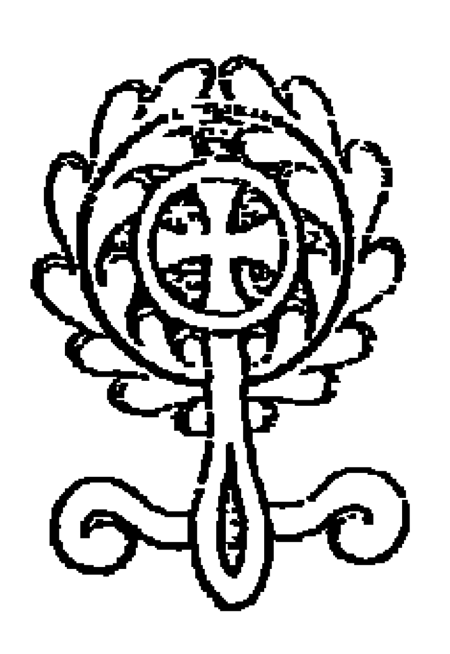
٣- مـــن المظاهـــر الاجتماعية المغرية فى النظام الرهبانى أنه كان قائمـــا علـــى أســـس اشـــتراكية شعبية بحيث كان يجمع الأغنياء بالفقراء والمتعلميـــن بالجهلاء فى صعيد واحد، يعيشون عيشة واحدة ويسعون لغاية واحدة، فى جو مصرى خالص، بعيداً عن رطانة الإغريق وعن سياط جباة الضرائب. وإلى جانب هذا كان الاندماج فى سلكه ميسورا للجميع والأماكن موفـــورة لمن يشاء. ويمكن الإشارة أيضا إلى قرب الصحراء من الراغبين فـــى العزلة، حيث تمكنهم الطبيعة المصرية من العيش طيلة أيام السنه فى الخلاء دون عناء، وما إلى ذلك من الأمور المساعدة إلى حد ما.

* * *

لعلنا نستطيع الآن أن نتبين مما رويناه كيف أن فكرة الزهد فى الحياة والاهتمام بالروح والسعى لخلاص النفس التى أوصت بها التعاليم المسيحية، وجـــدت مـــن المصـــريين دون سواهم من الشعوب المسيحية آذانا صاغية وقلوبـــا واعـــية وإدراكا روحيا عميقا، نتيجة للعقائد المصرية القديمة التى ظلت بقاياها متأصلة فى نفوسهم على مر الأيام.

ولعلـــنا نســـتطيع أن نتبيـــن أيضا كيف تضافرت العوامل السياسية والاقتصـــادية والاجتماعـــية وغـــيرها على تنمية وتطور هذه الفكرة بين المصـــريين دون ســـواهم من الشعوب المسيحية حتى استوت على أيديهم نظاما دينيا اجتماعيا رائعا، امتدت أضواؤه إلى أطراف الدنيا جميعا فأنارتها بالمـــبادئ الخلقـــية والمـــثل العليا التى لم تعرفها الإنسانية من قبل، والتى أصبحت منذ ذلك الحين خير هداية للأجيال.

بانوب حبشى



تقرير رئيس الجمعية

الذى وافقت عليه الهيئة العامة بتاريخ ٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧

سادتى:

كانت الثقة الكريمة التى تفضلتم بها على الهيئة التأسيسية عندما اجتمعت بحضراتكم فى مثل هذه الأيام من العام الماضى، خير حافز لها على القيام بتحقيق الأغراض التى أضطلعت بها، وفى مقدمتها نشر الثقافة التاريخية فى أوسع مدى مستطاع. وهو كما تعلمون نحو جديد من الخدمة العامة كانت جمعيتكم أول من نبه الأذهان إلى حاجة الشعب الملحة اليه، لماله من نتائج بعيدة الأثر وجليلة الخطر فى حياة الشعوب والافراد، على السواء.

وفى هذا المجال الخاص أخذت جمعيتكم تنهض بأعبائها فى جو من الهدوء تظلله أجنحة السلام والمحبة والاستعداد لخدمة الجميع، متوسلة إلى ذلك بوسائل ثلاث: المحاضرات والرحلات والمطبوعات:

١ – المحاضرات:

افتتح محاضراتنا هذا العام المؤرخ المعروف الدكتور عزيز سوريال عطية أستاذ التاريخ بجامعة فاروق الأول. وقد استهل الأستاذ حديثه "على هامش التاريخ القبطى" موضحاً أهمية هذا التاريخ باعتباره فصلاً فائق الأهمية فى تاريخ الوطن العزيز، ثم أخذ يقلب أمامنا صفحات هذا السجل الحافل بجلائل الأحداث. ووقف وقفة طويلة عند دخول المسيحية إلى مصر مبيناً إقبال المصريين على اعتناقها وترحيبهم بها. ثم تدرج إلى الحديث عن الكنيسة القبطية وكيف اكتملت مقوماتها قبل غيرها فحقت لها بذلك الزعامة اللاهوتية على الكنائس الأخرى. وأشار إلى النفوذ الكنسى الذى بدأ فى الإسكندرية وأنتهى به المطاف فى روما. ثم ذكر طرفا من أخبار بعض البطاركة الأولين وعصر الشهداء والمجامع المسكونية. وأخيراً وقف طويلا مرة أخرى عند تاريخ الرهبنة المصرية متبسطا فى الكلام عن نشأتها

وتطورهـا وتأثيرها على تاريخ المسيحية والحضارة ثم اختتم الأستاذ العالم محاضـرته مشـبها الكنيسـة القبطية بمتحف حى للمسيحية البدائية، وألح بوجوب الاحتفاظ بتقاليدها وطقوسها لأنها ملك للأجيال.

وكانت المحاضرة الثانية للدكتور منير شكرى وكيل الجمعية عن "أبى الإصلاح العظيم أنبا كيرلس الرابع". فبعد أن أفاض فى الحديث عن سيرته العطـرة استنادا إلى أوثق المصادر التاريخية، استطرد إلى تحليل شخصيته فـألقى لنا أنوارا وضاءة على جوانب العظمة فى هذه الشخصية الفذة التى تألق نجمها فى منتصف القرن الماضى. ثم انتقل إلى الحديث عن مشاريعه الإصـلاحية فـى شـئون الدين والدنيا جميعاً. واستخلص من كل ذلك أن الشعب القبطى متأهب دائماً للسير قدما فى طريق التقدم والرقى متى تهيأ له مثل هذا الراعى المصلح الأمين.

أمـا محاضـرنا الثالث فكان الأستاذ لبيب حبشى كبير المفتشين بمصلحة الآثـار المصـرية، الـذى تفضل وعرض علينا تاريخ مدينة مارمينا العجايبى بمريوط عرضا تاريخيا شائقا، مبينا كيف أنها لم تتكون كالعادة لأسباب اقتصادية أو عمرانية أخرى، بل تتفرد بنشأتها فى قلب الصحراء حول قبر شهيد مصرى، ثـم تطور الأمر تدريجيا حتى أصبحت أشهر موطن للحج فى القرون المسيحية الأولـى. وبعد أن تنقل الأستاذ بين مختلف العصور التاريخية التى تعاقبت على هذه المنطقة، اختتم حديثه منوها بما لها من أهمية أثرية فائقة.

ويهمـنى أن أسـجل بمنـتهى الغبطة إقبال الشعب على سماع هذه المحاضرات إقبالا رائعاً مما يدل دلالة واضحة على مدى تشوقه إلى تراث الآباء والأجداد.

٢- الرحلات:

أصـبحت الرحلات التاريخية فى وقتنا الحاضر مظهرا من مظاهر النشـاط الثقافى لا يقل أهمية عن المحاضرات والمناظرات وما إليها. لذلك اعتبرتها جمعيتكم إحدى الوسائل التى عولت عليها منذ البداية.

وقـد نظمنا للأعضاء خلال الصيف الماضى رحلتين إحداهما لمدينة مارمينا الأثرية بمريوط والأخرى لديرى البراموس وأنبا مكاريوس بوادى النطرون. وكلتاهما من المناطق الأثرية الحافلة بالذكريات التاريخية الخالدة. فبيـنما تذكـرنا الأولى بعصر الشهداء إذ تمثل لنا الثانية حياة الرهبنة وما انطوت عليه من أمجاد.

٣- المطبوعات:

وقفـت جمعيتكم أغلب جهودها هذا العام على أعمال الطبع والنشر. فواصـلنا إصـدار النشرات التى اعتدنا توزيعها فى كثير من المناسبات ثم تهـيأت ظروفـنا المادية قليلا فأخرجنا إلى حيز مشروع "رسائل مارمينا"، الذى ظل حلما جميلا متعذر التنفيذ حتى وفقنا الله فحققناه بمعاونة لفيف من أئمة الدراسات القبطية. ويبدو أن هذه الرسائل قد سدت فراغا ملحوظا إذ ما كاد يظهر أول أعدادها فى أبريل الماضى حتى قوبل بالترحيب الكريم من مختلف الأفراد والهيئات والمجلات المعنية بالدراسات القبطية، وهكذا كان الحـال مـع الرسالة الثانية التى نشرت فى سبتمبر. ويطول بى الحديث لو أشـرت إلى كل ما كتب فى هذا الشأن، وإنما اكتفى بالتنويه بأن كثيراً من الجمعـيات والهيـئات قد تفضلت مشكورة بموافاتنا بمطبوعاتنا على سبيل المـبادلة مـع رسائلنا. ومع أن هذه المطبوعات تكلفنا جهدا ومالا، إلا أنه يجب ألا يغيب عن أذهاننا ما تفيده الجمعية بسبب ذلك من زيادة مطردة فى عـدد أعضائها، فضلا عن أنها توزعها مجانا على أعضاء الجمعية. وفوق ذلـك فان الاغراض التى نسعى لتحقيقها أسمى من أن يقف فى سبيلها جهد أو مال.

ولـم يخل برنامجنا بطبيعة الحال من بعض نواحى النشاط الأخرى خصوصا فيما يتصل ببعض أعمال البر، وبالاستجابة لرغبات الهيئات التى طلبت تزويدها ببيانات ومعلومات تاريخية وما إلى ذلك، الأمر الذى يوحى باكتمال شخصية جمعيتكم وتوطيد مركزها الأدبى.

ويسـرنى أن أنـتهز هـذه الفرصة فأوجه خالص الشكر والامتنان لحضـرات الأساتذة والأصدقاء الكرام الذين تفضلوا علينا بمحاضراتهم أو بأبحـاثهم، وللجمعـيات والهيـئات الـتى تكرمـت بالموافقة على إهدائنا مطـبوعاتها وفـى مقدمة الجميع جمعية الآثار القبطية وعلى رأسها الرجل العظـيم حضرة صاحب العزة الأستاذ مريت بك بطرس غالى الذى تفضل وبعـث لـنا بمجموعـة كاملة من مطبوعات هذه الجمعية الفذة التى كان تأسيسها ولا شك فاتحة عهد جديد فى تاريخ الدراسات القبطية وستكون هذه المجموعة نواة "مكتبة مارمينا" بمشيئة الله.

وكذلـك اقـدم شـكر جمعيتـنا للأفـراد والهيئات والجماعات التى ساهمت معنا فى أعداد الاحتفالات التى أقمناها أحياء لذكرى بعض القديسين وأبطـال الـتاريخ وأخـص بالذكر جمعية نهضة كنائس الكرازة المرقسية بالإسكندرية.

حضرات السادة – هذه صفحة أعمالنا خلال هذا العام نعرضها على حضـراتكم غير طامعين فى تقديركم إذ لم نؤد سوى جانبا مما أخذنا أنفسنا به، وعلى كل حال فان كان فيها ما يستحق ذلك فالفضل بعد الله راجع إلى تعضيدكم وتأييدكم.

أمـا حسـابات الجمعية التى تفضل بالاضطلاع بمراجعتها مشكورا حضـرة الخبير المحاسب الأستاذ نصحى عوض، فبيانها حتى آخر نوفمبر كالآتى:

	مليم جنيه
بلغت الايرادات	٢٦٦,٦٦٠
المصـــروفات	١٤٢,٦٦٥
فيكون الرصيد	١٢٣,٩٩٥

جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية
أعضاء مجلس إدارة الجمعية لعام ١٩٤٨:

حضرات الاساتذة:

ابراهيم نصر الله		حنا غبريال.	
بانوب حبشى	(الرئيس)	كامل لطفى	
بديع عبد الملك		ملاك ميخائيل	(امين الصندوق)
برهوم حنين	(السكرتير)	الدكتور منير شكرى	(نائب الرئيس)
بطرس ميخائيل		موريس مكرم	
الدكتور تادرس منقريوس		موريس يوسف حنا	(السكرتير)
جرجس عطا الله		نسيم فوزى	

والاستاذان رزق الله قديس ونصحى عوض لمراقبة الحسابات.

طلـــع بالعـــبء الاكبر فى الاشراف على طبع هذا المؤلف حضرة الاستاذ بديع عبد الملك عضو مجلس إدارة الجمعية.



صورة اعضاء جمعية مارمينا مع البابا كيرلس السادس



مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية

١- رسالة مارمينا فى عيد القيامة (نفذ) (١٩٤٧)
٢- رسالة مارمينا فى عيد النيروز (نفذ) (١٩٤٧)
٣- رسالة مارمينا عن الرهبنة القبطية (نفذ) (١٩٤٨)
٤- صور من تاريخ القبط (نفذ) (١٩٥٠)
٥- صفحة من تاريخ القبط (نفذ) (١٩٥٤)
٦- أديرة وادى النطرون (نفذ) (١٩٦٢)
٧- المرجع فى قواعد اللغة القبطية (نفذ) (١٩٦٩)
٨- القديس أثناسيوس الرسولى معلم الكنيسة (نفذ) (١٩٧٨)
٩- عبقرية أنبا باخوم وأثرها على الرهبنة
والحضارة الغربية (نفذ) (١٩٨١)
١٠- رسالة مارمينا فى عيد النيروز بمناسبة
مطلع القرن التاسع عشر القبطى (نفذ) (١٩٨٣)
١١- رسالة مارمينا فى الدراسات القبطية
(الجزء الأول : طقوس الكنيسة القبطية
الأرثوذكسية وعقائدها) (كمية محدودة) (١٩٨٦)
١٢- صور من تاريخ القبط
(الجزء الثانى) (كمية محدودة) (١٩٩٠)
١٣- مارمينا العجايبى ومدينته العجيبة (كمية محدودة) (١٩٩١)
١٤- قراءات فى تاريخ الكنيسة المصرية
١٥- مقتطفات من تاريخ الكنيسة
١٦- رسالة مارمينا فى الدراسات القبطية
(الجزء الثانى)
١٧- رسالة مارمينا عن الرهبنة القبطية
(طبعة ثانية)